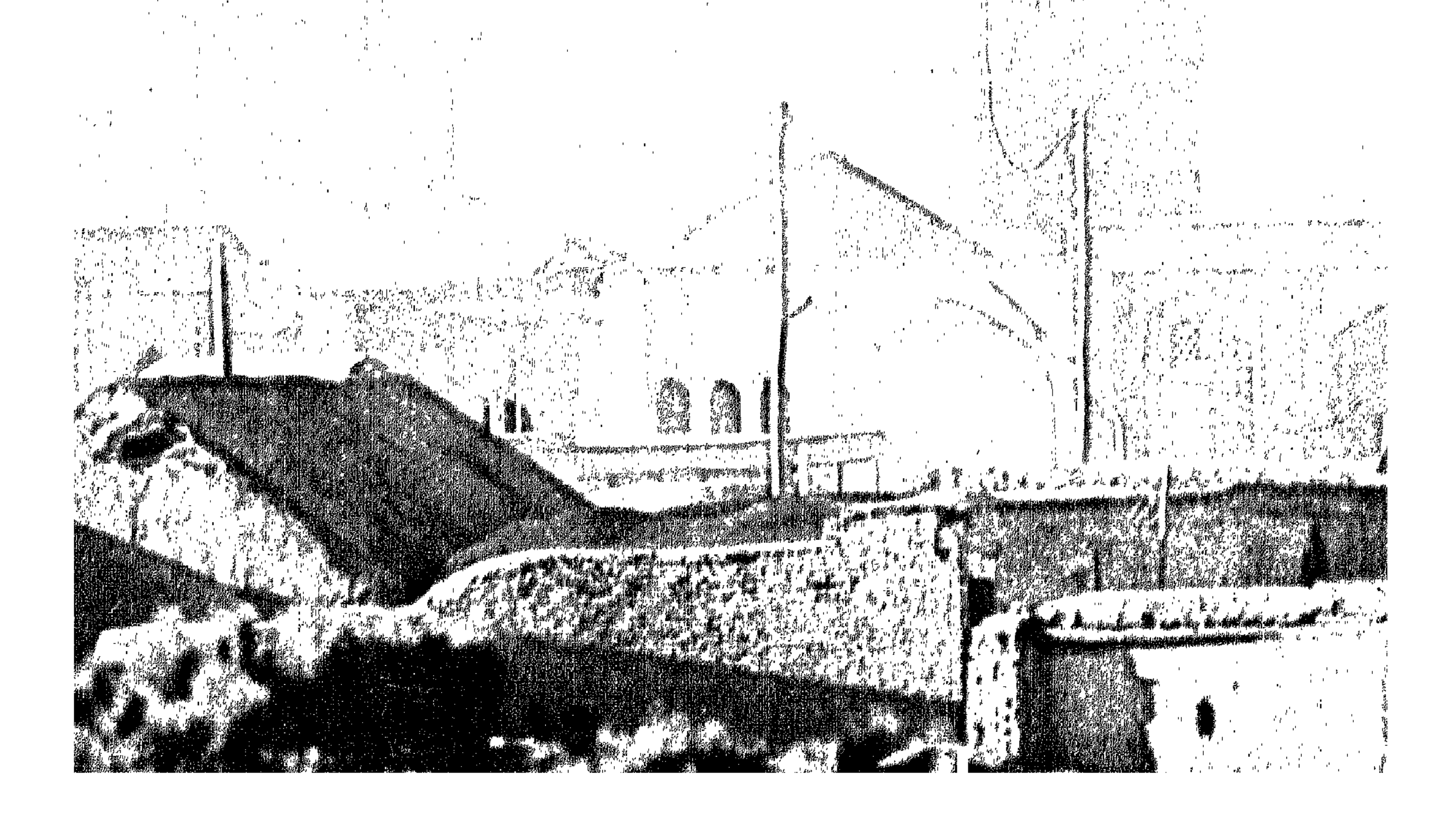
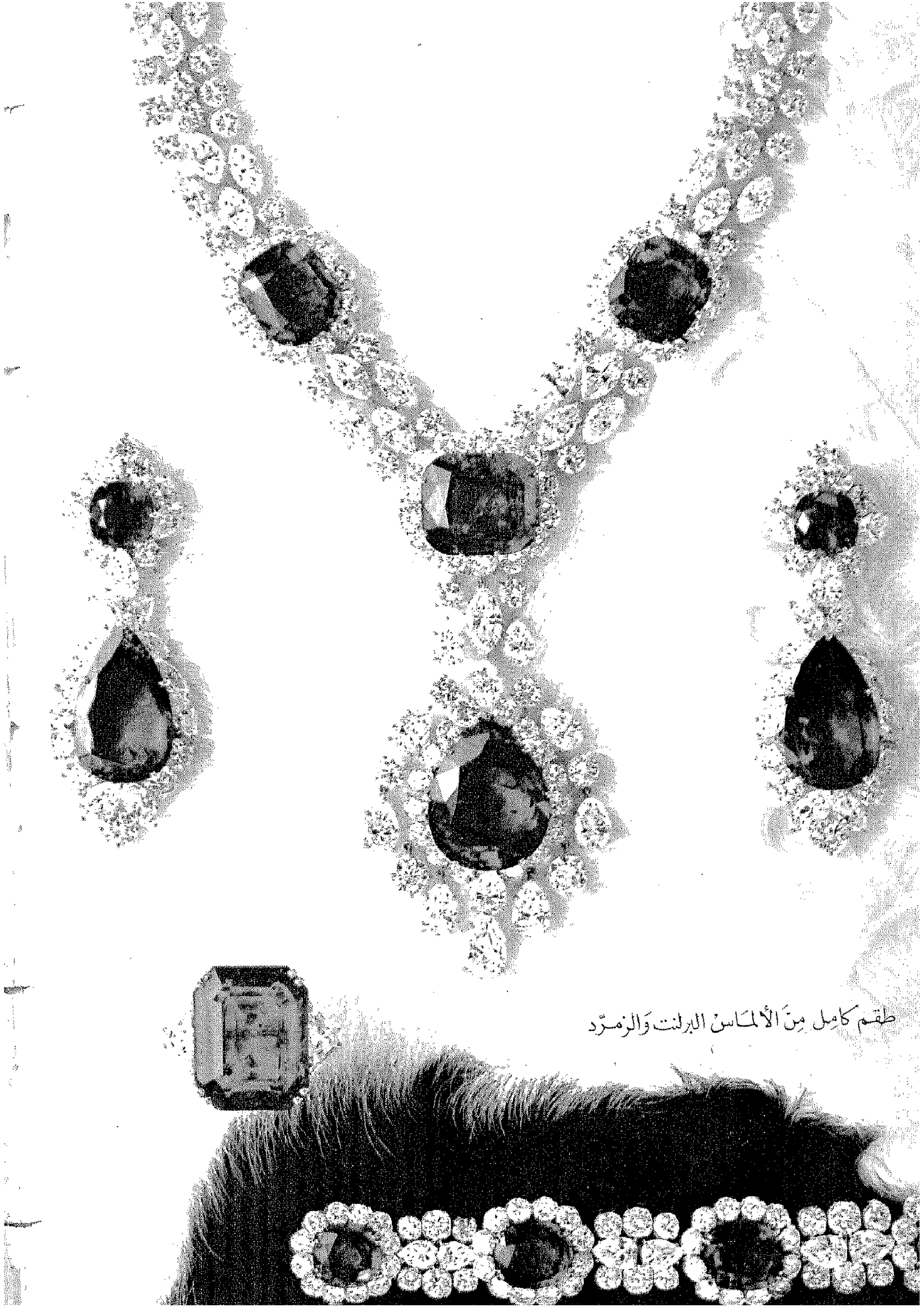
تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصوّرة تبحث في التاريخ العربي

السنة الاولى - العدد السابع - آيار "مايو" ١٩٧٩ - الموافق جماد الثاني ١٣٩٩





طقم كامِل مِنَ الألماس البرلنت وَالزمرّد

تاريخ العرب والعالم

مجلة شهرية مصورة تبحث في التاريخ العربي

تصدر عن دار النشر العربية

رئيس التحرير : فاروق البربير — المستشار : د. أنيس صايغ

المدير المسؤول : محمد مشموشي

ص.ب : ٥٩٠٥ – بيروت ، لبنان
بناية أبو هليل – شقة ١١
شارع السادات – تلفون : ٣٤٦٢٧٦

الإشراف الفني :
شركة سيغما للتصميم والطباعة
الإنتاج :
مطبعة المتوسط ش.م.ل.
التوزيع :
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات

ثمن النسخة

لبنان : ٤ ل.ل	سوريا : ٦ ل.س
العراق : ٧٠٠ فلس	ليبيا : ٨٠٠ درهم
السعودية : ٧ ريال	الكويت : ٥٠٠ فلس
الأردن : ٥٠٠ فلس	أبوظبي : ٨ درهم
دبي : ٨ درهم	قطر : ٧ ريال
البحرين : ٧٠٠ فلس	مسقط : ٨٠٠ بيزة

الإشتراكات

في لبنان	٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية	١٥٠ ل.ل
في الدول العربية	٧٥ ل.ل
في أفريقيا وأوروبا	١٠٠ ل.ل
دول العالم الأخرى	١٥٠ ل.ل
المؤسسات والدوائر الحكومية في العالم العربي	٢٠٠ ل.ل

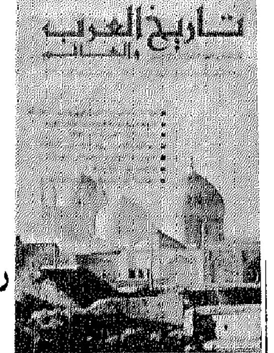
HISTORY OF THE ARABS AND THE WORLD

EDITED BY FARUK BARBIR
A MONTHLY ILLUSTRATED
MAGAZINE PUBLISHED FROM
SADATE ST. ABOU HLEIL
BLG. P.O.B. 5905
TEL. : 346276
BEIRUT, LEBANON

VOL. 1
N°. 7 May, 1979
PRICE : 4 L.L.
ANNUAL SUBSCRIPTION :
50 $ IN NON-ARABIC
SPEAKING COUNTRIES

في هذا العدد

المقالات الواردة توزّع حسب التبويب الفني للمجلة. ولا علاقة لذلك بمكانة الكاتب. مع حفظ المكانة الاجتماعية للكتاب. تراعي في الالقاب الصفات العلمية فقط.



قباب جوامع اصفهان الزرقاء تتحدى الجبال الشامخة

راجع مقالة «حضارة ايران الفارسية» ص ٤٨



وثيقة عربية عمرها اربعة قرون :

الصناعة النسيجيّة والنُسّاج

د . ليلى الصباغ

● تقديراً من مجلة «تاريخ العرب والعالم» للمؤتمر الثاني لتاريخ بلاد الشام الذي عقد أخيراً في دمشق (راجع العدد ٤ من المجلة . كانون الثاني - يناير - ١٩٧٩) أعد مركز الدراسات والابحاث في المجلة صورة ملخصة من ثلاثة من البحوث التي قرئت في المؤتمر . وكانت على جانب كبير من الأهمية والاثارة . على أن تنشر متتالية في المجلة .

وفي هذا المجال تود المجلة أن تؤكد انها تقدر جميع البحوث المقدمة إلى المؤتمر . كما أنها تقدر الجهود الكبيرة التي بذلتها جامعة دمشق في سبيل انجاح هذا المؤتمر . وتتمنى أن تستمر الجهود في جميع أنحاء الوطن العربي لدرس تاريخ العرب دراسة متعمقة مكثفة تضمن للعرب رؤية أوضح لتاريخهم وثقة أكبر بأن هذا التاريخ يكون ركيزة أصيلة لانطلاقهم في مجال بناء تاريخهم الحديث بنـاءً سليماً ثابت البنيان .

وفي العددين الماضيين نشرنا بحثا عن قضية الحدود بين فلسطين ومصر وأثرها في جذور الصراع العربي الصهيوني . وفي هذا العدد ننشر للدكتورة ليلى الصباغ . دراسة عن وثيقة عربية شامية من القرن العاشر الهجري (السادس عشر الميلادي) عن الصناعة النسيجية والنسّاج .

● الوثيقة في الواقع هي رسالة صغيرة أو «تعليق» كما سمّاها صاحبها. لا يزيد حجمها عن أربع ورقات وربع الورقة، وفي كل ورقة صفحتان. وهذا التعليق هو بعنوان «ضوء السراج فيما قيل في النساج»، لمؤلفه المؤرخ الدمشقي العلامة «شمس الدين أحمد بن طولون الحنفي». الذي استقبل القرن العاشر الهجري وهو في السادسة عشرة من عمره (ولد عام ٨٨٤ هـ/١٤٧٩م) وعايشه لثلاث وخمسين سنة، (توفي عام ٩٥٣هـ/١٥٤٦م) كان خلالها كما نعته العلامة برهان الدين بن عون مفتي الحنفية «الشيخ العالم المتقن المقرر المحدث الفقيه، المقرى، ... زين الطالبين، فقيه المحدثين». هذا بالاضافة الى أعمال ادارية تسنمها اثناء تلك الفترة، عمقت تجاربه العلمية تلك.

كما عمل في نطاق التدريس، معيداً، فمدرساً في خمس مدارس، وفي المسجد الأموي، وتولى مشيخة بعض الخانقات، والامامة في بعض المساجد، والخطابة. ولقد عرضت عليه مناصب القضاء عدّة مرّات، فرفض، وكذلك أفتاء الحنفية. فهو اذن رجل عاش في خضم مجتمعه، واسهم في نشاطه العلمي، وتغلغل في دقائق أحواله، وكان في الوقت ذاته يدوّن كل صغيرة يلاحظها فيه، حتى بلغت مؤلفاته في موضوعات تاريخية، وأخرى متنوعة، وفي ميادين شتى ٧٤٦ مؤلفاً. ومن هنا كان «ابن طولون» مصدر ثراء لتاريخ بلاد الشام في النصف الأول من القرن العاشر/السادس عشر، وخلال منعطف هام فيه، وهو مرحلة دخول العثمانيين الى بلاد الشام، وبداية استقرارهم فيها.

والوثيقة المطروحة «لابن طولون» اليوم، نسخة واحدة، وهي بخط المؤلف نفسه كما يبدو، ولا يعرف بالضبط تاريخ لكتابة ابن طولون لها، وإن كان المرجح أن كتابتها كانت قبل سنة ٩٤٣هـ، عندما داهمه المرض.

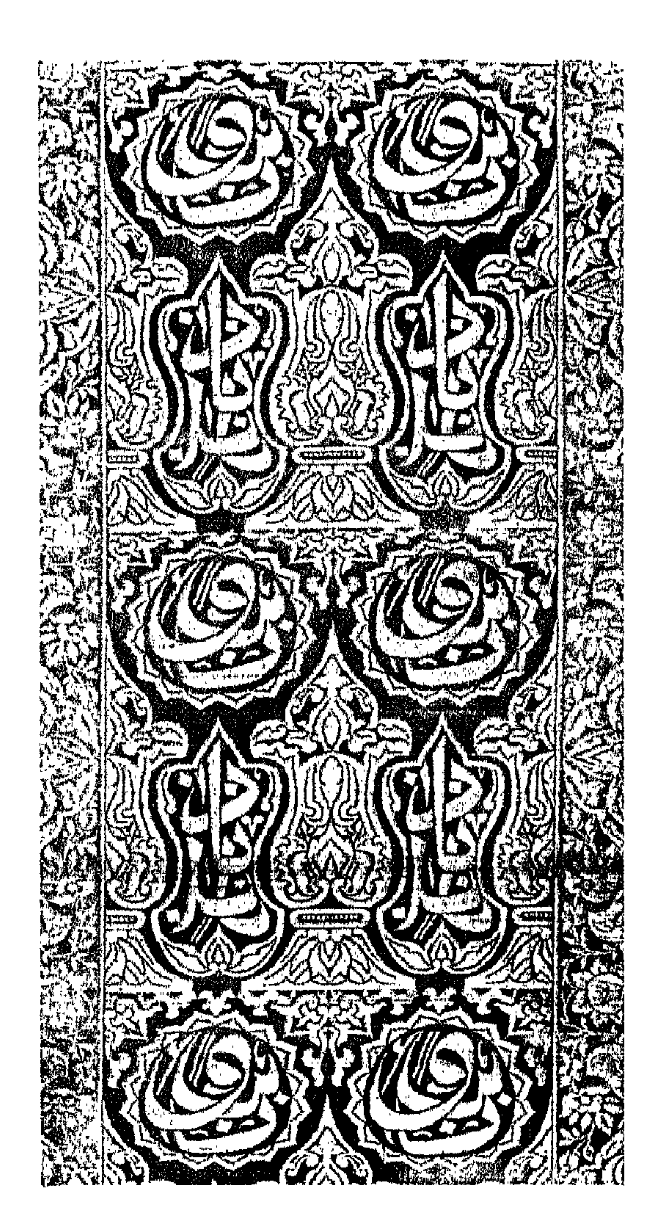
مضمون الكتاب

والتعليق كما يتبين من عنوانه يتحدث عن فئة من فئات المجتمع العاملة في الميدان الاقتصادي الحرفي، وهي «فئة النساج». وهو بمجموعه أشبه بمقال متكامل من الأدب الاقتصادي-الاجتماعي، ومن ثم فالطابع التاريخي البحث فيه، المحدد بالمضمون الزمني والمكاني ضعيف. وقد افتتحه على عادة ذلك العصر بالبسملة والحمدلة، والصّلاة والسلام على الرسول وصحبه وأزواجه. الاّ أنه لم يطل في هذه الفاتحة كعادته في الايجاز البليغ.

ومن الفاتحة انتقل ابن طولون مباشرة الى الموضوع، فعرّف بالمعنى اللغوي لكلمة «نسيج» التي اشتقت منها كلمة «النساج»، وبيّن معناها الحقيقي والمجازي، وبعض مشتقاتها، ثم شرح الكلمة المرادفة لها وهي «الحياكة» بالطريقة ذاتها، وأنهى شرحه بايراد الحديث النبوي الذي تدخل فيه لفظة «حاك» وهو: «الاثم ما حاك في صدرك وكرهت أن يطّلع عليه الناس».

ويمكن تصنيف محتوى «التعليق» في فصلين صغيرين: الفصل الاقتصادي تقني يمكن أن يعطى عنوان «حرفة النسيج وأنواعها» والفصل الثاني اجتماعي وعنوانه المحتمل «موقف الفقهاء المسلمين من النساج».

ففي الفصل الأول يتحدث ابن طولون عن «أنواع الحياك»، ويبين بفكره الشمولي المستقصي أن أنواع الحياك قد تفوق ألف نوع. ويقتصر على إبراز خمسة عشر نوعاً منهم فقط، وهم: حياك القطن، وحياك الكتان، وحياك الحرير، وحياك المناشف، وحياك العبي، وحياك الصوف، وحياك البسط، وحياك البلاسات، وحياك النوارات، وحياك الزوامل، والحباكون، وحياك الجوخ، وحياك الحصر، والمناخلية، والغرابلية. ويفصل في سبعة منهم. وأول المفصل فيهم حيّاك القطن. ويميز فيهم كذلك بين سبعة أصناف بحسب صنف النسيج الذي يحيكونه: «فمنهم من ينسج البطاين»، ويسند هذا العمل الى النباطية، ومنهم من ينسج المتوسط كأهل بعلبك. ومنهم من ينسج الرفيع العال كأهل الموصل. وبذلك يميز «ابن طولون» بين ثلاثة أنواع من خيوط الغزل المستخدمة في النسيج: الغليظ، والمتوسط، والرفيع. (وبالطبع فان نوعية ما ينسج من الخيط الغليظ هي دون ما ينسج من المتوسط، بل ان ما ينسج من الرفيع منه يكون صنفا «عالياً» ورقيقاً أشبه ما يكون بالحرير). والى الانواع يضيف ابن طولون أربعة أخرى أولها: الملون من الثياب ويصنعه أهل الكرك، وثانيها نسيج العمايم، وثالثها الأزُر، ورابعها اللّحف، وهذه الانواع الثلاثة الأخيرة أشتهر بنسجها أهل اليمن. ويستدرك مؤرخنا فينسب



قطعة من الحرير «البروكار» صنعت في الشام في القرن السابع عشر (متحف برلين).

ما ينسج من العمائم والأزَر الى دمشق أيضاً. وفي محلة قبر عاتكة خارجها.

والقسم الثاني من الحياك الذي يفصّل إبن طولون في فئاته هو حياك الكتان ويقسمهم الى أربعة اختصاصات: حياك الكتان الابيض وأحسن ما يحاك منه بدمشق وحياك الكتان «الأزرق المصمت». وحياك الكتان الملوّن كالظهور. وحياك الكتان مع الحرير المسمى بالتفاصيل. وأحسن من يصنع الأنواع الثلاثة الأخيرة مصر.

والفئة الثالثة من الحياك التي يقدم «ابن طولون» معلومات أوفى عن انتاجها هي حياك الحرير. إذ يعدّد أربعة عشر نوعاً منها، بعضه معروف ولا نزال نتداول أسماءه الى اليوم، وبعضه الآخر لا يُعرف كثير عنه.

فمن الانواع المنسوجة المعروفة: اللباسات، ومناديل النساء، والقمصان، والكمخة، والمخمل، والأطلس، والحرير مع القطن، والحرير مع الكتان، والحرير مع الذهب، والحرير مع الفضة، أما تلك التي تبدو مبهمة الصورة فهي ما يسميه ابن طولون «عمل الدار» (ولعله لعمل أغطية لاثاث الدار)، و«الهرمزي» (ولا يعرف شكله على التحديد)، و«والرش» (ولعله الحرير المرشوش بخيوط الذهب والفضة مثل البروكار). و«النيل في النجيل» (ولعله حرير متموج بين الزرقة والخضرة).

والنوع الرابع من النساج الذي يسعى مؤرخنا لطرح بعض الضوء على انتاجه، هو حياك الصوف. وفي هذا المجال يذكر حقيقة تاريخية لاتمارى وهي ان غالب ما يعمل (من الصوف) ببلاد الفرنج ثم الروم. حيث كان الاتراك العثمانيون في زمن ابن طولون. ويشير مؤرخنا الى النوع المجلوب من تلك البلاد وهو «المختم». ويضيف أنه رأى من يصنعه بدمشق. ويوضح ان نوعاً منه كان يسمى بالمغربي، ويصنع من الصوف والحرير. ويبدو انه كان يرد من المغرب أو ان صناعته كانت الصناعة المغربية، أو لعل بعض المغاربة كان يعمل فيها.

ومثلما بين ابن طولون أنواع حياك الصوف، فانه فعل في حياك البسط. وطرح في هذا الميدان اسماء لثلاثة أصناف منها، تبدو غامضة المدلول والاستخدام وهي الزلية، والكركية، وعسل الشريف. وكذلك عمل مع «نساج النوارات» فوزعهم الى أربع فئات: «فمنهم من يعمل التي تلبس من الوبر. ومنهم من يعمل التي للاخراج، ومنهم من يعمل التي للحزم. ومنهم من يعمل التي للعذارات، الى غير ذلك.

والفئة السادسة التي يقدم ابن طولون بعض شرح اضافي حول عملها هي حياك الجوخ. ومثلما أكّد أن حياكة «الصوف هي من عمل بلاد الفرنجة والروم». فانه فصل في حياكة الجوخ. إلاّ أنه أضاف أنه رأى من يقلد هذه الحياكة من مادة القطن. ويقوّم انتاجها بقوله انه «ليس في حسنه وماويّته».

والفئة السابعة والأخيرة من الحياك التي يعطي بعض تفصيلات عن نوعية عملها هم عمال الحُصُر. فيوضح بأنهم يعملون اما بالقش الغليظ، أو الملون، الى غير ذلك.

أدوات الحياكة:

وينتقل ابن طولون في مخطوطته الى الجزء التقني الثاني من الصناعة النسيجية ويبدأه بتعريف بالأدوات التي يستخدمها الحايك، مع شرح لوظيفة كل جزء منها: كالمنسج أو المطواة، والمكوك، والماسورة، والمشط، ويضيف في النهاية عمل الصبي.

أما القسم الثالث من تقنيات الصناعة النسيجية، فهو المواد الخام التي تعتمد عليها. ومرة أخرى تظهر نظرته الشمولية الى جميع مواد النسيج على الرغم من التحديد المبدئي الذي طرحه سابقاً. وهو عندما يقدم المادة الخام، يصفها وصفاً مقتضباً على عادته. فيتحدث عن صفة نبات القطن والكتان والقنب. ويشير الى نوع مماثل تتخذ منه العدول وهو «الخبازاء»، وهو نوع لم تشر المعاجم اليه. ثم يذكر «الحرير والصوف والشعر والوبر كذلك الذهب والفضة» «وهما يؤخذان ويجعلان سبايك ثم يمدان حتى يصلحا للنسج بانفسهما أو مع الحرير».

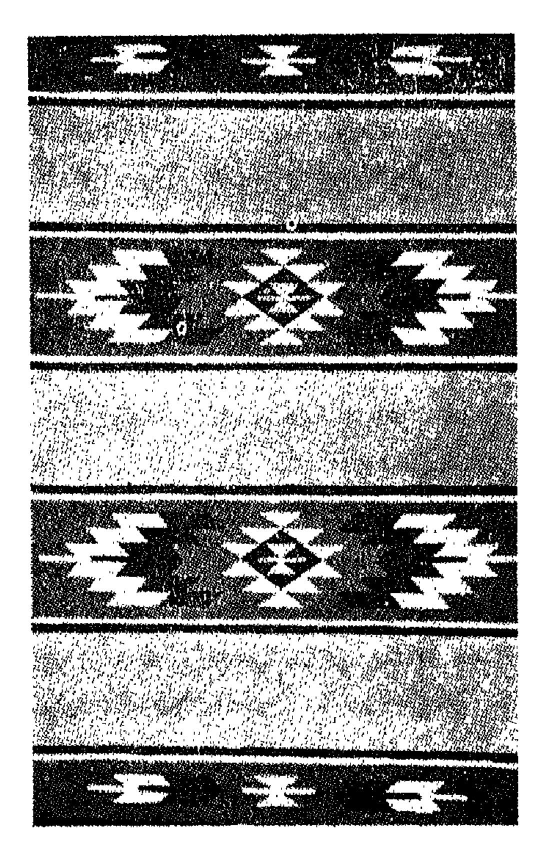
وبعد ذلك يشير المؤلف باقتضاب الى ان هذه الاشياء يغزلها الغزّالون والغزّالات. وكأني به أراد أن يؤكد دور المرأة في صناعة الغزل ويبرزه. عندما اتبع هذه الجملة بتقديم نماذج لبعض الغزّالات من الشخصيات الاسلامية المعروفة كأخت بشر بن الحارث الصوفي وميمونة بنت الأقرع. ومع ان ابن طولون لا يتطرق الى الغزالات في عصره. إلاّ أن الوثائق الأجنبية في القرن الحادي عشر الهجري/السابع عشر الميلادي، ولا سيا الفرنسية منها. تؤكد ان غزل القطن في بلاد الشام كانت تقوم به النساء في بيوتهن وخلال فصل الشتاء. حيث لا يكن مشغولات بمواسم الصيف الزراعية. إلاّ أن الصورة التي يطرحها الأوروبيون في ذلك الوقت عن النساء الغزالات، من حيث الأمانة في بيع غزولهن تبدو مغايرة جداً للتي يطرحها إبن طولون عن الغزالات التقيات الورعات. فالغزالات في النصف الثاني من القرن الحادي عشر الهجري مثلاً كن يبللن غزلهن بالماء حتى يزيد وزنه. بينا الغازلة التي يقدمها لنا إبن طولون رفضت أن تبيع غزلها لأن الشاري الذي سيقوم ببيعه ثانية قد لا يبيّن للشاري الثاني أن قسماً منه قد غزلته صاحبته ويدها مسترخية بسبب صيامها. وقسماً آخر غزلته ويدها شادة، بل إن الغازلةالثانية أتت الى «أحمد بن حنبل» الفقيه الكبير المعروف تسأله هل عليها أن تبين لشاري غزلها أن قسماً منه قد غزلته على ضوء السراج، وقسماً آخر على ضوء القمر. ومع ان ابن طولون لا يقوّم نوعية الغزل في بلده، إلاّ أن الأوروبيين كانوا يؤكدون شدّة اتقانه وامتيازه، بل ان المرأة قد أوجدت لها تقنية خاصة لغزل الأنواع الثلاثة من القطن الغليظ والمتوسط والرفيع، بان تثقب ظفر باهمها الذي أطالته الى ثلاثة ثقوب كل واحد بثخن الخيط المطلوب. وكانت تمرر منه الخيط حتى يكون باستواء واحد ودون زغب.

ومن مرحلة الغزل يقوم ابن طولون بنقلةٍ الى تقنية النسيج. فيوضح السدى واللحمة، والمعنى اللغوي لكل من الكلمتين، الحقيقي منه والمجازي. ويختم ذلك باقتضاب مبيناً أن النساج على الأغلب من الرجال، إلاّ أنه قد تنسج المرأة.

ومرة أخرى، وكأني بابن طولون يود أن يثبت احتراف المرأة للنسيج، أو أن يظهر شرعية عملها، وموافقته لاصول الدين. فيقدم نموذجاً لامرأة نسجت بُرْدة أهدتها للرسول الكريم (ص). وقبلهـا منها.

واتماماً للحديث عن الصناعة النسيجيـة من الوجهة الفنية. فان مؤرخنا يتعرض لأنماط الملابس التي تصنع من أنواع النسيج. ويلاحظ في عرضه لهذه الانماط بانه يقصرها بصفة خاصة. على ما عرف أيام الرسول الكريم (ص) ولا يزيد عليها شيئاً مما هو قائم في عصره مثل «البردة» و«الحجاب» و«الجبة». و«الثوب». و«الأزار». و«الرداء». و«السراويل». و«المنديل». و«الحلة». و«الكساء». و«القباء». و«القميص». وهو في الواقع لا يصف أي واحد منها. بل يكتفي بذكر ما دار حولها من حديث أو فعل نبوي أو صحابي.

ولا بد ان يلحق بالقسم الاقتصادي التقني من مخطوطة ابن طولون. «غريبة» هي عبارة عن «احصاء» لعدد الانوال في مدينة الاسكندرية عام ٧٩٧هـ/١٣٩٤م. وعام ٨٣٧هـ/١٤٣٣م. فيبين بأن عددها في العام الأول كان ١٤٠٠٠ نول. بينما أصبح في العالم الثاني. ٨٠٠ نول. ويحاول أن يوازن هذا الاحصاء في ميدان الصناعة النسيجية في الاسكندرية، بذلك التباين في احصاء عدد قرى مصر بين عهد الدولة الفاطمية والمملوكية: اذ كان العدد في



نموذج لبساط عربي قديم.

بداية عهد الدولة الأولى عشرة آلاف. بينما بلغت في احصاء كتّاب الجيش الفين ومائة وسبعين. وان هذا الانتهاج «الاحصائي» يدل على العلمية الوضعية في فكر ابن طولون.

المحتوى الاجتماعي:

ان كل ما ذكر آنفاً هو محتوى القسم الفني–الاقتصادي للصناعة النسيجية. أما محتوى القسم الاجتماعي فيدور كله تقريباً حول المشكلة الاجتماعية للحيّاك المتمثلة بنظرة الازدراء التي أحاطهم بها المجتمع الاسلامي أو قل فقهاؤه. وابن طولون لا يعرض المشكلة فقط. بل يسعى بنافذة أخرى من نوافذ فكره العلمي الواقعي ان يجد حلاً لها. وان ينصف الحياك.

ويبدأ ابن طولون عرض المشكلة ببيانه ما قيل فيهم: وأول هذه الأقوال بان الحياك تائهو العقل وأنهم بذلك كالمعلمين. ويستشهد بحديث ينسب الى الرسول (ص): «لا تستشيروا الحاكة ولا المعلمين. فان الله تعالى سلب عقولهم». وكذلك التفسير المنقول عن ابن عباس من انهم هم المقصودون بكلمة «الارذلون» الواردة في الآية الكريمة في القرآن الكريم. «واتبعك الارذلون» (الشعراء: ١١١)، ثم القول المتداول عن ابن سيرين: «ان صحبة الحياك في اليقظة شؤم. وفي المنام سفر فيه خيبة»، والقول الآخر المروي عن عبدالله بن عمر: «ان الحاكة رأس كل فتنة وأصل كل بلية».

ولا يذكر لنا «ابن طولون» سبباً لهذه التهم للحياك سوى سبب ديني اجتماعي. وهو أن مريم العذراء هي التي دعت على الحاكة، بتتويه عقولهم، وذلك لأنها سألت بعضهم عن ابنها عيسى. وقد تاه منها في الطريق، فأرشدها لغير السبيل الصحيح. بينما دلّها الخياطون عليه، ومن ثم دعت لهم وباركتهم. وبذلك كان النساج تائهي العقول. والخياطون مباركين. يستأنسهم الناس ويطمئنون اليهم. ويتابع ابن طولون ما نجم عن ذلك من قضايا اجتماعية أكثر استفحالاً. ومنها هل يتمتع هؤلاء الحياك بحقوق الانسان الكامل. من حيث الكفاءة في النكاح والشهادة؟ ويستعرض مؤرخنا آراء الفقهاء. كآراء الحنابلة. وأبي حنيفة. وأبي يوسف. والمناقشات التي دارت حول هذه الامور. ويخلص في النهاية –وهو الحنفي المذهب– الى ان المختار هو قول ابي حنيفة. «لان دناءة الصنعة لا تنقص الانسان ولا تحطه عن رتبته. فانها ليست ملازمة. فاشبهت الضعف والمرض» ويتبنى رأي استاذه «الجمال بن المبرد الصالحي الحنبلي». وهو رأي واقعي عقلاني ثوري وهو أن الحياكة «صنعة فضيلة». فهذا يؤكد المبدأ الاقتصادي–الاجتماعي الذي يربط قيمة المهنة بمدى حاجة المجتمع اليها؛ ثم تابع رأيه قائلاً: «لان حاجة الناس الى الصنعة تدل على فضلها. وكلما كثرت الحاجة اليها كان فضلها أكثر. ولا شك ان الحياكة يحتاج اليها كل أحد. الحي والميت. الذكر والانثى والآدمي. وغيره من الحيوانات التي تحتاج الى لبس».

وبالمنطق نفسه يستمر ابن طولون في مناقشة أي أنواع الحياكة أفضل. فيبين أن «أفضلها حياكة القطن لأنه لبس الحي والميت، ثم الصوف لأنه لبس الاغنياء والفقراء، والاحرار والعبيد، والرجال والنساء والآدميين والدواب، ثم الكتان لكثرة الانتفاع به بعد ذلك. وأردأها الحرير والذهب والفضة ونحو ذلك».

وعلى الرغم من إدخاله عامل الدين مرة أخرى في الحديث عن «حياك الحرير والذهب والفضة»، إلا انه يبقى أكثر ميلاً للواقعية والعلمية في تسويغه ضعف

فضلهم عندما يقر بأن صناعتهم «قاصرة النفع» لأنها من «امور النساء» فقط، ولانها تحتاج مع الرجل الى صبي «يخلو به الحايك، وتتدلى سيقانه فوق رأسه. وهذا أمر محرم».

وكـأن «ابن طولون» أراد أن يدعم رأيه الثائر ذاك، ويقنع المجتمع حوله به، فسعى لتقديم نماذج من كبار الفقهاء الحنابلة والشافعية ممن عملوا في النسيج، وكان الناس يقدّرونهم، ويرحبون بما يصنعون.

وحتى هنا تكون مخطوطة ابن طولون قد استكملت عناصرها الاساسية، الاّ انها في الواقع تحوي أموراً أخرى يمكن النظر اليها على انها تزيينات جانبية، ذات فائدة لابراز الصورة، وفي الوقت نفسه تكون عنصراً عاماً في التخفيف من جفاء الطرح الاقتصادي الاجتماعي والتقني. ويمكن اجمال هذه الزخرفات بأمرين: أولها: الاستشهاد بالشعر: فقد سعى المؤرخ كي يأتي في ختام كل فقرة تقريباً عالجها موسعاً أو موجزاً، بيت أو بضعة أبيات من الشعر، تحتوي بعض معنى مما قدم في الفقرة، وتتضمن بعض غَزَل. وثاني الزخرفتين تفسير المنامات. فقد أفرد جزءاً من دراسته لتفسير مختلف الأمور التي قد يراها النائم أو النائمة في ميدان الحياكة والحاكة، والملابس وألوانها. ومع أن هذه الفقرة بعيدة عن صلب الدراسة الواقعية لابن طولون، وعن روحها، إلاّ انها تكوّن في الحقيقة جزءاً طريفاً يعكس كثيراً من القيم الاجتماعية والأفكار السائدة في عصره، وبصفة خاصة الذوق اللوني للمجتمع والمؤثرات الدينية فيه: فما طرح في هذا الركن على سبيل المثال ان «الثياب البيض في النوم ان لبسها فهو شعار الدين والصلاح وان كانت بين يديه فخير يساق اليه» والازرق من الثياب لا يحمد لأنه لون من لون أهل النار. قال الله تعالى «ونحشر المجرمين يومئذ زرقاً». ومن تحرق ثوبه «نال مـالاً هو من امرأة. وان تفتق طلق امرأته» الى غير ذلك. ولا يقتصر ابن طولون على سرد ما يذكره مفسرو المنامات بل ينقد ما يقال. ويبين حكمه الخاص. فالمفسرون يقولون مثلاً ان رؤية اللون الاصفر من غير الحرير مرض. إلاّ ان مؤرخنا يعلق فيقول: «وعندي ان الاصفر سرور لقوله تعالى «صفراء فاقع لونها تسر الناظرين».

وعلى الرغم من قيمة المخطوطة بوجه عام. إلا أن الباحث المتلهّف لمعلومات وافية عن الصناعة النسيجية في بلاد الشام في النصف الأول من القرن العاشر الهجري/السادس عشر للميلاد، قد لا يرى فيها كل ما يشفي غليله. وما أخاله إلاّ وقد تمنى لو ان ابن طولون كان أكثر دقة في تحديد الزمان والمكان عند تقديمه لمعلوماته الفنية والاجتماعية عن تلك الصناعة وأصحابها، حتى يكون أكثر اطمئناناً لمعاصرة المعطيات التي تتضمنها المخطوطة ولعله تمنى أيضاً. وهو المهتم اليوم بالدراسات الاحصائية بنوع خاص، لو ان مؤرخنا، وهو ابن الشام، والملاحظ الدقيق لمجرى الامور فيها، قد خصّ مدن قطره، بل دمشق التي يعيش فيها على الأقل. «بغرائب» معاصرة. كتلك «الغريبة» الاحصائية التي أوردها في تعليقه عن الاسكندرية، والتي أشرنا اليها سالفاً. أو لو أن ابن طولون قدم بعض المعطيات عن «طائفة النساج» في عصره ووجودها ومدى نشاطها أو مدى تحسسها بالمشكلة التي عرضها، وكذلك عن الصباغة النسيجية. وأنواعها، وألوانها. تلك الصناعة التي اشتهرت بها بلاد الشام منذ العصور الوسطى. ويبدو انها ظلت محافظة على تلك الشهرة في العصر الحديث.

القيمة التاريخية للمخطوطة:

وخلاصة القول. لعل باحثنا كان يود. وهو الذي زودته الوثائق الاجنبية بعض ملامح صورة عن الصناعة النسيجية في بلاد الشام خلال النصف الثاني من القرن العاشر وخلال القرن الحادي عشر/النصف الثاني من القرن السادس عشر والقرن السابع عشر. ان يربط تلك الملامح بصورة أكثر تكاملاً ووضوحاً لهذه الصناعة في النصف الأول من القرن وهي المرحلة التي عاصرها ابن طولون. فقد بينت له تلك الوثائق مثلاً بأن الصناعة النسيجية في بلاد الشام صناعة عريقة الجذور وانها ظلت فعالة ونشيطة حتى أواخر القرن السابع عشر بل وأبعد. ولا سيما الحريرية والقطنية منها. وان الصناعة الأخيرة كانت منتشرة في معظم المدن الشامية. ولكل مدينة شهرتها بصنف منها. وان الأوروبيين بقوا راغبين بها. ومتهافتين على استيرادها كالنسيج البعلبكي. والخام. والحموي. والديمة. ونسيج الجبل. وذلك حتى أواخر القرن السابع عشر. ويـؤكـد «المركيز دونوانتيل» مبعوث فرنسا لزيارة اسكالات الشرق. في رسالة له. «أن فرنسا كانت تستورد من القماش «الحموي» الابيض والازرق. وكان

يستخدم في مدن البروفنس وقراها شراشف للاسرة. وقمصاناً، وصداري. وكان لا يجري زفاف دون أن يكون في جهاز العروس قطعة أو قطعتان منه. ومن الامور التي توصل اليها الباحث عن الصناعة النسيجية السورية خلال العصر الحديث. وعبر الوثائق الاجنبية أنها كانت متقنة في جميع مراحلها: الغزل والصناعة والنسيج. حتى أن بعض الدول الاوروبية ظلت تستورد أنواعاً من المنسوجات الحريرية كالتافتا. وما يسميه الفرنسيون ببورص دمشق. حتى أواخر القرن السابع عشر، على الرغم من توسع الصناعة الحريرية الاوروبية وارتقائها وبصفة خاصة في ايطاليا وفرنسا في القرن الخامس عشر. وتقدر بعض الوثائق قيمة المنسوجات الحريرية المصدرة من حلب سنوياً بـ ١٠٠.٠٠٠ دوكات في مطلع النصف الثاني من القرن السادس عشر ومن ملامح الصورة التي كونها الباحث في الصناعة النسيجية الشامية خلال القرنين السادس عشر والسابع عشر أيضاً، بأنها كانت ترتكز على دعامة اساسية أبقت عليها قوامها، وهي اعتمادها على المواد الخام التي تنتجها البلاد، بل واشتهرت بها. وهي القطن والحرير بصفة خاصة، هاتان المادتان اللتان شرع الاوروبيون يستوردونها بكميات وافية خلال العصر الحديث كله. ويتنافسون فيما بينهم للحصول عليها.

ولكن. ومع ان الباحث قد لا يجد في مخطوطة ابن طولون كل ما يبغي. ويرضي فهمه. فان هذه المخطوطة تكوّن خلفية متكاملة لبحثه في الصناعة النسيجيـــة في بلاد الشام خلال القرن العـــاشر الهجري/السادس عشر الميلادي بصفة خاصة مع أنها تتحدث عن الصناعة النسيجية والنساج حديثاً عاماً. وبأطار غير محدد بدقة زماناً «ومكاناً» فان مما لا شك فيه. أنها منبثقة من عصر المؤلف. أي لا بد أن ابن طولون، وهو يعدد أنواع النسيج وأدواته، ومواده، لم يكن ناقلاً وانما كان في ذهنه علله وعصره، ولا سيما أنه وضع نفسه أحياناً شاهد عيان؛ هذا، وان الاسماء التي أعطاها لعديد من المنسوجات والتي لا تطلعنا الكتب العربية المعاصرة له أو التي قبله بكثير عنها أو قليل. تدل الى حد ما على اطلاع مباشر عليها. ومن محيطه.

وعلى هذا يمكن مبدئياً النظر الى المخطوطة على أنها وثيقة تقدم صورة شبه متكاملة عن مجموع الصناعة النسيجية وبعض قضاياها في عصر ابن طولون. ومن ثم فهي ورقة عمل هامة للباحث. توجه نظره الى نواح قد تغيب عن ذهنه عندما يبحث في وثائق متفرقة ليستخلص منها نتفاً يقوم بتركيبها. هذا مع العلم ان الوثائق الأوروبية خلال هذه المرحلة قليلة ولا بد من التأكيد في هذا المجال. على ان المشكلة الاجتماعية التي طرحها ابن طولون قد لا يخطر ببال الباحث أن يتطرق اليها. أو يفسر بها بعض الظاهرات. على الرغم من قدمها، وتوافر المعلومات عنها في كتب الحديث والفقه. فالمخطوطة توضح روح التجديد في نسيج الحرير. وتعرف الدارس على أنواع جديدة من المنسوجات يذكرها ابن طولون. كما توضح التخصص الدقيق في الصناعة النسيجية في عصره. فكأني بها تؤكد كذلك «العمل الفردي» لا «الجماعي» في ميدانها. وبذلك تكون الصناعة النسيجية الحريرية بصفة خاصة لم تكن قد دخلت بعد مرحلة تجميع الانوال في مكان واحد من قبل رب للعمل. ومن ثم «فالنول» وهو أداة النسيج. كان لا يزال ملكاً فردياً لصاحبه. وهو العامل عليه. كذلك تلقي المخطوطة أضواء مصححة على بعض تفسيرات المؤرخين المعاصرين لأنواع من النسيج. هذا بالاضافة الى توجيهها النظر الى مناطق عرفت بشهرتها بنوع من النسيج لم تكن معروفة. كالكرك مثلاً. ويجب ألاّ ينسى في هذا الباب ما اشير اليه سابقاً بأن هذه الوثيقة تبرز عمل المرأة في ميدان الصناعة النسيجية ولا سيا في باب الغزل.

وأخيراً تثير الوثيقة تساؤلات هامة لذهن الباحث. نتيجة طرح مشكلة النساج. وهو هل كان النساج من أهل الذمة تحوم حولهم القضية ذاتها ولا سيما أنها ربطت عند ابن طولون بلعنة مريم العذراء للنساج؟ وفي الواقع لقد أثار هذا الموضوع في الذهن ما طرحه المؤرخ «سوفاجه» عن نساج القطن والحرير والسجاد في حلب بأنهم من المسيحيين. وما أشار اليه «غب ويوين» في أحد هوامشه. من أن أحد الباحثين قد ذكر أن معظم العاملين في نسج الحرير في القاهرة من اليهود. فاذا كان ما قيل ملامساً لبعض الحقيقة. فهل يكون سبب ذلك. المشكلة التي طرحها ابن طولون. ونظرة التحقير التي كان يحيط بها بعض الفقهاء المسلمين النساج مما أبعد المسلمين عن احتراف هذه المهنة وتركها لأهل الذمة؟ إن هذا التساؤل الذي تثيره المخطوطة نفسها في الواقع يفتح في هذا الميدان باباً جديداً للبحث والتقصي. ●



هذا الموضوع مرشح لبرنامج من لبنان

اتفاقية

سايكس-بيكو

١٦ أيّار (مايو) ١٩١٦

أو الاتفاقية الفرنسيّة البريطانية السّرية حول مناطق النفوذ في المشرق العربي

العقيد الدكتور ياسين سويد

● كانت الحرب العالمية الأولى توشك ان تنتهي. وقد بدأ الحلفاء يستبقون انتصارهم على الدولة العثمانية بتقاسمهم لتركة «الرجل المريض» فيما بينهم. رغم ما أعلنه هؤلاء الحلفاء من ان أهم أهداف حربهم هو السعي لتحرير الشعوب المضطهدة والمستعبدة. وكانت الشعوب العربية الخاضعة لحكم السلطنة العثمانية تواقة للتحرر والاستقلال. مما دفع واحدا من أكبر زعمائها. هو الشريف حسين. شريف مكة. للتفكير بالثورة على الحكم العثماني مستعينا لذلك بالحلفاء ومعتمداً على مناصرتهم وتأييدهم. وجرت بين الشريف حسين وبين بعض المسؤولين البريطانيين. كممثلين عن الدول الحليفة المعادية للسلطنة. وخاصة بريطانيا وفرنسا. مباحثات ومراسلات عـــــــــدة اشتهرت بمراسلات «مكماهون – حسين» وانتهت بان أيد الحلفاء أعلان «الثورة العربية الكبرى» على الحكم العثماني. وهي في كل حال لصالحهم ولمصلحتهم. على ان يعترفوا بدورهم. باستقلال العرب ويؤيدوا ذلك الاستقلال في جميع الأقاليم الداخلة في الحدود التي تطلبها دولة شريف مكة مع التحفظ تجاه «ولايتي مرسين واسكندرونة. وأجزاء من بلاد الشام الواقعة في الجهة الغربية لولايات دمشق الشام وحمص وحماة وحلب لأنه «لا يمكن أن يقال عنها انها عربية محضة. وعليه يجب أن تستثنى من الحدود المطلوبة» بالاضافة إلى نظرة خاصة تجاه ولايتي بغداد والبصرة. إذ ان العرب «يقرون ولا شك ان مركز ومصالح بريطانيا العظمى الموطدة هناك تستلزم اتخاذ تدابير ادارية مخصوصة لوقاية هذه الأقاليم من الاعتداء الأجنبي وزيادة خير سكانها وحماية مصالحنا الاقتصادية المتبادلة» وبالاضافة إلى ان بريطانيا حريصة على ان لا تمس مصالح حليفتها فرنسا في هذه الأقاليم. (الرسالة الثانية من السير ارثر هنري مكماهون نائب ملك بريطانيا بمصر إلى الشريف حسين شريف مكة. بتاريخ ١٤ تشرين الأول ١٩١٥). وفي فجر يوم السبت. العاشر من حزيران عام ١٩١٦. أطلق الشريف حسين. في مكة. الرصاصة الأولى. مؤذناً ببدء الثورة العربية الكبرى.

إلا ان شريف مكة ومعلن ثورتها إلى جانب الحلفاء. لم يكن يعرف ما يدور في الخفاء. بين هؤلاء الحلفاء. ضد ثورته وأمته. اذ بينما كانت المراسلات متتابعة بينه وبين السير مكماهون (من حزيران عام ١٩١٥ حتى أيار عام ١٩١٦) كانت المفاوضات تجري رسمياً بين الدول الثلاث بريطانيا وفرنسا وروسيا القيصرية بقصد نكث الوعود المقطوعة للشريف حسين. ومن خلاله للعرب جميعاً. وبقصد تقسيم أملاك الدولة العثمانية. بعد انتهاء الحرب. على الدول المنتصرة. فقد بدأت هذه المفاوضات في بطرسبورغ. عاصمة روسيا. في شهر آب عام ١٩١٤. أي بعد شهر ونصف فقط من اعلان الحرب. (حسب الوثائق التي نشرتها الثورة البلشفية بروسيا في أواخر عام ١٩١٧) ودارت المفاوضات بين هذه الدول الثلاث. حول الغنائم التي ستؤول إلى كل دولة بعد انتهاء الحرب. وكان تضارب المصالح بين هذه الدول يجعل كلا منها تحاول أن تنال حصة الأسد. فروسيا تحاول أن تصل إلى الشرق عن طريق المضايق والاستانة. وفرنسا تحاول أن تبسط هيمنتها على جزء من بلاد الشام (ولايات دمشق وحمص وحماه وحلب وبيروت) تضعه تحت حمايتها. كما تحاول انكلترا بدورها ان تبسط هيمنتها على الجزء المتبقي من هذه البلاد (العراق وفلسطين والحجاز) بالاضافة إلى مصر. وهكذا فقد توصلت هذه الدول إلى اتفاق فيما بينها على تجزئة الدولة العثمانية ترضي كلا منها وتتفق مع مصالحها. دون النظر إلى مصالح الشعوب المحررة من النير العثماني. ففي شهر آذار عام ١٩١٥ عقدت كل من فرنسا وبريطانيا اتفاقية سرية مع روسيا تعهدتا بموجبها بالتنازل عن الاستانة والمضايق لضمها إلى أملاك القيصر في حال انتصار الحلفاء في الحرب. أما حصة الدولتين الاخريين. بريطانيا وفرنسا. من ارث «الرجل المريض» فسوف تتضمنها فيما بعد الاتفاقية المسماة «اتفاقية سايكس بيكو» والتي تم تنفيذها عملياً في مؤتمر سان ريمو بايطاليا San Remo المنعقد بين أعضاء مجلس الحلفاء الأعلى ومنهم الدولتان المعنيتان (فرنسا وبريطانيا) من ١٩ ولغاية ٢٦ شباط ١٩٢٠ حيث تم توزيع المشرق العربي على الدولتين المنتدبتين. فأعطيت فرنسا سوريا ولبنان. وأعطيت بريطانيا العراق وفلسطين وشرقي الأردن.

الاسم الحقيقي

ان الاسم الحقيقي الذي يجب أن يطلق على هذه الاتفاقية هو «الاتفاقية الفرنسية – البريطانية السرية حول تقاسم مناطق النفوذ في المشرق العربي» اذ ان المفاوضات بشأنها والاتفاق على خطوطها الرئيسية قد جرى أساسا بين ممثلي فرنسا وبريطانيا بول كامبون Paul Cambon سفير فرنسا في لندن ممثلا لتيوفيل



حسين بن علي شريف مكة

ديلكاسيه (Delcassé) وزير الخارجية الفرنسية . والسير ادوار غراي (Crey) وزير الخارجية البريطانية . إذ كتب كامبون إلى السير ادوار غراي رسالة مؤرخة في ٢٣ آذار ١٩١٥ يقول فيها انه . بناء لتعليمات وزير الخارجية الفرنسية . ديلكاسية . وبما ان قضية استانبول والمضايق . وهي القضية التي تعنى بها روسيا . قد انتهت . فقد آن لفرنسا وبريطانيا العظمى ان تنصرفا الآن إلى بحث القضايا الأخرى المتعلقة بآسيا الصغرى . وقد وافقه وزير الخارجية البريطانية على ذلك . ودارت المفاوضات سرية بين الجانبين البريطاني والفرنسي بشأن تحديد حصة كل منهما في بلاد المشرق العربي . وفي هذه الأثناء . كانت المفاوضات بين بريطانيا بشخص السير مكماهون وبين الشريف حسين مستمرة . فرأى السير غراي ان يحيط زميله الفرنسي علماً بهذه المفاوضات وبتعهد بريطانيا تجاه شريف مكة بدعمها لقيام دولة عربية حليفة تحفظ توازن القوى مع تركيا بعد انتهاء الحرب . والمح إلى مطالب العرب بضم بلاد الشام كلها إلى هذه الدولة مما أثار حفيظة فرنسا التي كانت تطمح إلى وضع منطقتي سوريا ولبنان تحت وصايتها . فأرسلت رسميا تبلغ بريطانيا برفضها ذلك . بل برفضها قيام دولة عربية مستقلة على الاطلاق حتى ان بوانكاريه . رئيس جمهورية فرنسا ذلك الحين . أورد في مذكراته . تعليقاً على ذلك . انه . لما أبلغ هذا الاقتراح . قال : «ان هذه الامبراطورية العربية الكبيرة لا توحي إلي بالاطمئنان . وبي خشية من تأثيرها السيء في مستعمراتنا الافريقية . وأود أن لا أراها تخرج إلى حيز الوجود . وقد بينت مخاوفي هذه في مجلس الوزراء» . كانت فرنسا . في كل حال . متأكدة من رغبة بريطانيا في التخلص من المأزق الذي أوقعها فيه الوعد الذي قطعته على نفسها للشريف حسين . فاقترحت عليها حلا يقضي بأن «توضع ولايات حلب وحماه وحمص ودمشق . ما عدا بيروت . ضمن حدود الدولة العربية شرط اشتراكها - أي فرنسا - فعلياً في مسؤوليات ادارتها» وكان ذلك في ٢١ كانون الأول ١٩١٥ . الا ان اتفاقا ضمنيا كان قد تم بين الجانبين على الاطاحة بالشريف حسين فور الانتهاء من الحرب . اذ انه بهذه الوسيلة فقط . تتحلل بريطانيا من التزاماتها تجاهه . وتضمن مصالح الدولتين الأوروبيتين في المشرق العربي .

٥ نقاط

وانتهت المفــاوضات بين الجانبين الفرنسي والبريطاني في أوائل كانون الثاني ١٩١٦ بالاتفاق على ما يلي :-

١ - تمنح فرنسا السيادة التامة على منطقتي الاسكندرون وكيليكية والبلاد الممتدة وراءها حتى حدود الموصل .

٢ - يوضع العراق من الخليج حتى شمالي الموصل تحت اشراف بريطانيا .

٣ - يوضع لبنان بما فيه بيروت وطرابلس تحت اشراف فرنسا .

٤ - توضع سوريا تحت سيادة الشريف حسين مع الاعتراف لفرنسا ببعض المسؤوليات الادارية فيها .

٥ - توضع فلسطين تحت اشراف بريطانيا .

إلا ان أنباء هذه المفاوضات السرية بين الدولتين الحليفتين سرعان ما ترامت إلى مسامع الدولة الحليفة الثالثة روسيا . فهبت هذه الأخيرة تطالب بحصتها في أرضروم وترابيزوند وكردستان والموصل . فارسلت بريطانيا وفرنسا . في أوائل آذار عام ١٩١٦ . كلا من

مندوبيها في الوفود المفاوضة. مارك سايكس (بريطاني) وجورج بيكو (فرنسي). الى بطرسبورغ عاصمة روسيا للاتصال بحكومة القيصر واطلاعها على الاتفاق. واقناعها بضرورة حصر مطالبها بالبلدان المتاخمة لحدود بلادها. على ان يترك الجزء العربي من الامبراطورية العثمانية للنفوذ البريطاني والفرنسي. ووافق سيرج سازانوف S.Sazanov وزير خارجية روسيا على اقتراح المندوبين البريطاني والفرنسي الا انه اشترط قبول بريطانيا وفرنسا بالمطالب الروسية التي تتخلص بما يلي: -

١ - ضم مناطق أرضروم وتبليس حتى غربي ترابيزوند الى روسيا.

٢ - ضم منطقة كردستان الواقعة جنوبي فان والتي تضم مجرى دجلة وجزيرة ابن عمرو والجبال المتاخمة لها الى روسيا.

ووافقت بريطانيا وفرنسا على هذه المطالب. مما حدا بروسيا لأن تقبل بالاتفاق الذي جرى بين باريس ولندن بصدد المشرق العربي. وتم على اثر ذلك تبادل المذكرات بين السفير الفرنسي بلندن (كامبون) ووزير الخارجية البريطانية السير ادوار غراي. وكانت بنود الاتفاقية موضوعا لمذكرة بعث بها غراي الى كامبون بتاريخ ١٦ أيار مرفقة بالخرائط اللازمة. وقد صاغ نص الاتفاقية ووقع عليها كل من جورج بيكو ممثلا لفرنسا ومارك سايكس ممثلا لبريطانيا. ومن هنا أخذت هذه الاتفاقية تسميتها الشهيرة (اتفاقية سايكس - بيكو).

اتفاقيتان مترابطتان

يرى بعض المؤرخين. ومنهم السير ادوار غراي نفسه. ان هذه الاتفاقية يجب أن تسمى «الاتفاقية الفرنسية - البريطانية - الروسية السرية حول مناطق النفوذ في آسيا الصغرى. نظرا لأن الاتفاق بشأنها قد جرى بين ممثلي هذه الدول الثلاث بول كامبون السفير الفرنسي بلندن. وادوار غراي وزير خارجية بريطانيا. وسيرج سازانوف وزير خارجية روسيا. ويرى المؤرخ البريطاني أرنولد توينبي انه اذا كان «نص الاتفاقية النهائي وضعه كل من السير مارك سايكس وجورج بيكو نيابة عن الحكومتين البريطانية والفرنسية. فالحقيقة هي ان ما قام به الرجلان هو انهما اتفقا على اللغة التي صيغت بها عبارة الاتفاقية. أما النقاط الأساسية في الاتفاقية فقد تم الاتفاق عليها في أثناء سلسلة من الاجتماعات التي عقدها الزعماء السياسيون من كلا الجانبين قبل أن يدفعا بها إلى هذين الرجلين لوضع الصيغة النهائية. وانا اذ نقر المؤرخ توينبي على رأيه هذا. نتردد كثيرا أمام رأي السير ادوار غراي في اقحام اسم روسيا بهذه الاتفاقية نظراً لأن المفاوضات التي جرت بشأنها قد تمت مبادرة بريطانية - فرنسية مشتركة

وبصورة خفية لم تعرف بها روسيا إلا مصادفة. إلا ان ذلك لا يمنعنا من القول ان الاتفاقيتين المذكورتين: الاتفاقية البريطانية - الفرنسية - الروسية الموضوعة عام ١٩١٥ بصدد الاعتراف بسيطرة روسيا على المضايق والاستانة، والاتفاقية الأخيرة. مرتبطة احداهما بالأخرى ارتباطاً مباشراً وتاماً. بل تكمل احداهما الأخرى كما سبق ورأينا. فبينما حققت الأولى مصالح روسيا القيصرية في ارث الدولة العثمانية المنهزمة. حققت الثانية مصالح كل من بريطانيا وفرنسا في ارث هذه الدولة، وما كانت احداهما لتتم من دون الأخرى.

أهم البنود

ويمكن تلخيص أهم ما ورد في هذه الاتفاقية بأنها قضت بتقسيم المشرق العربي الذي كان تحت السيطرة العثمانية إلى خمس مناطق على الشكل التالي:

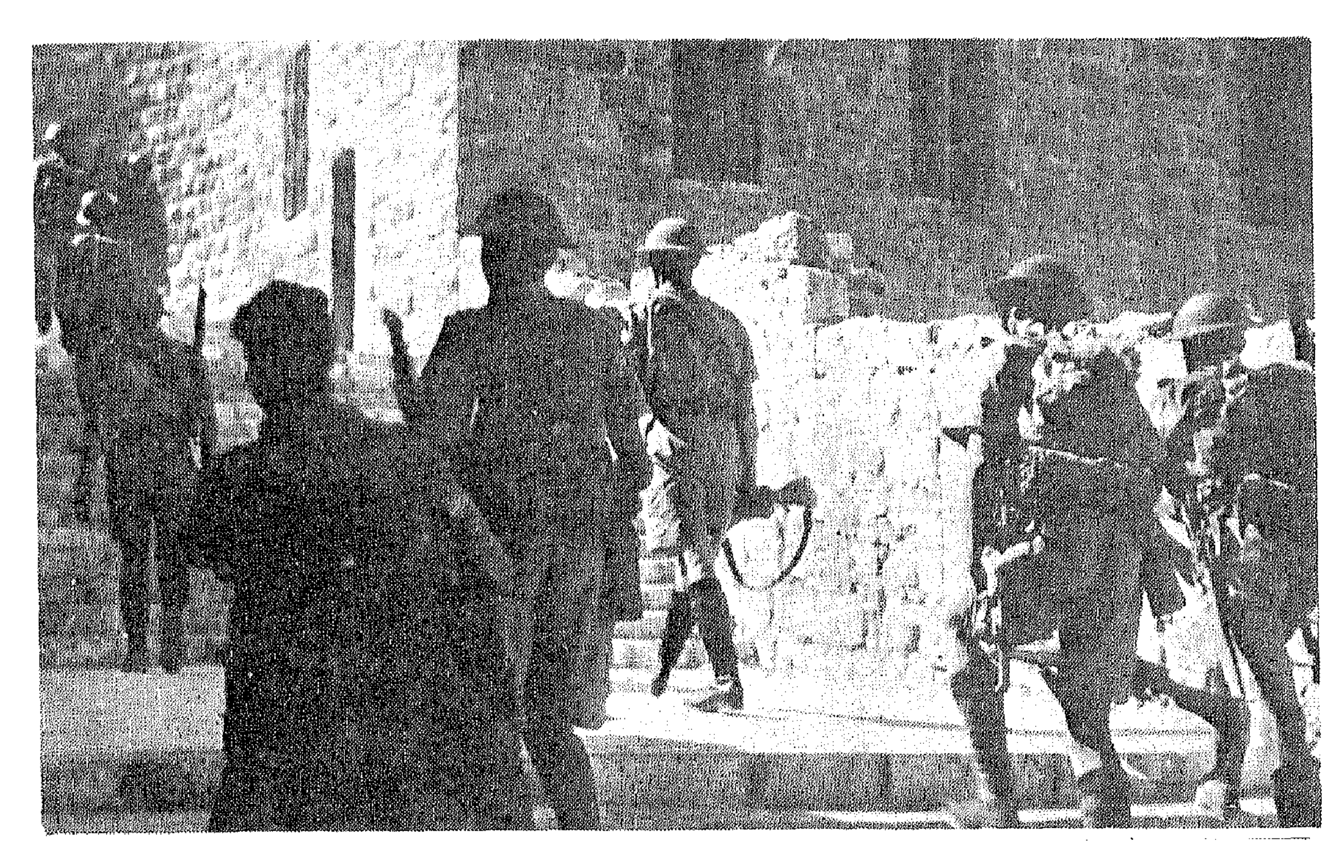
١ - المنطقة أ (سوريا الداخلية) وتقام فيها دولة عربية مستقلة لفرنسا فيها مركز ممتاز.

٢ - المنطقة ب (العراق الداخلي) وتقام فيها دولة عربية مستقلة لبريطانيا فيها مركز ممتاز.

٣ - المنطقة الزرقاء (سوريا الساحلية من كيليكية شمالاً حتى رأس الناقورة جنوباً). وتخضع للسيادة الفرنسية حيث يباح لفرنسا انشاء الحكم الذي ترتئيه فيها.

٤ - المنطقة الحمراء (العراق الساحلي من بغداد حتى خليج فارس - أي الخليج العربي -). وتخضع للسيادة البريطانية حيث يباح لبريطانيا انشاء الحكم الذي ترتئيه فيها.

٥ - المنطقة السمراء ويسميها البعض بالمنطقة البنية، (فلسطين) تبقى منطقة دولية بحيث يعين شكل الحكم فيها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة. وقد ضرب الحلفاء عرض الحائط. بعد توقيعهم لهذه الاتفاقية، بالوعود التي



جنود بريطانيون في القدس

قطعوها للشريف حسين بتحرير العرب واستقلالهم في ظل دولة عربية واحدة. اذ لم يبق من هذه الدولة، بعد تقاسمهم المشرق العربي في هذه الاتفاقية، سوى الحجاز فقط، وبعد ان وصلت الثورة الروسية إلى الحكم عام ١٩١٧ نشرت المعاهدات السرية التي كانت معقودة بين روسيا القيصرية والحلفاء. ومن بينها معاهدة سايكس بيكو.

وقد حاول الاتراك على اثر ذلك عقد مصالحة مع الشريف حسين إلا انهم لم يوفقوا نظراً لتشبث الشريف بتحالفه مع بريطانيا وفرنسا. وقد حددت حدود المنطقة السمراء المبينة في البند الخامس أعلاه (المادة الثالثة من الاتفاقية). أي فلسطين. كما يلي: «الرقعة الممتدة بمحاذاة البحر الأبيض المتوسط من شمالي عكا حتى غزة ومنها إلى الطرف الشمالي للبحر الميت حيث تسير من هناك على طول نهر الأردن وتلتقي بالحدود الشمالية عند نقطة قريبة من منابع النهر». مما جعل منطقة الجليل الأعلى خارج حدود المنطقة السمراء هذه وأدخلها في المنطقة الزرقاء أي منطقة النفوذ الفرنسي.

لم يرض ذلك بالطبع. المنظمة الصهيونية العالمية التي كانت تحلم بفلسطين تمتد من حدود غزة إلى حدود صيدا بلبنان طمعاً بأن تكون هذه «الفلسطين» وطناً قومياً لليهود. ففي الثالث من شباط عام ١٩١٩ رفعت هذه المنظمة، بدعم من وزارة الخارجية البريطانية، مذكرة رسمية إلى المجلس الأعلى لمؤتمر الصلح موضوعها «تصريح المنظمة الصهيونية بصدد فلسطين». وقد تضمنت هذه المذكرة مطالب المنظمة من المؤتمر وأهمها «الاعتراف بالحق التاريخي للشعب اليهودي في فلسطين وبحق اليهود في إعادة بناء وطنهم القومي فيها» وأهم من كل ذلك ما جاء في البيان الملحق بالمذكرة نفسها ويختص بتعيين حدود فلسطين أي الوطن القومي اليهودي المنشود وهو «ان حدود فلسطين يجب أن تسير وفقاً للخطوط العامة المبينة أدناه: تبدأ في الشمال عند نقطة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط بجوار مدينة صدا وتتبع مفارق المياه عند تلال سلسلة جبال لبنان حتى تصل إلى جسر القرعون فتتجه منه إلى البيره متبعة الخط الفاصل بين حوضي وادي القرعون ووادي التيم. ثم تسير في خط جنوبي متبعة الخط الفارق بين المنحدرات الشرقية والغربية لجبل الشيخ (حرمون) حتى جوار ـــ حـ وتتجه منها شرقاً بمحاذاة مفارق المياه الشمالية حتى تقترب من خط سكة حديد الحجاز إلى الغرب منه. حيث تسير بمحاذاة هذا الخط والى الغرب منه حتى تنتي بخليج العقبة. ومن الجنوب

حدود يجري الاتفاق عليها مع الحكومة المصرية. ومن الغرب البحر الأبيض المتوسط» أي ان حدود فلسطين. كما وضعتها المنظمة الصهيونية العالمية في مذكرتها هذه. تتضمن، بالاضافة إلى فلسطين كلها، جنوبي لبنان، وقسماً من سهل البقاع. وكل الجولان. والضفتين الغربية والشرقية لنهر الأردن.

تحقيق مطالب الصهيونية

وفي العاشر من آب عام ١٩٢٠. وعندما وقع الاتراك معاهدة الصلح مع الحلفاء. وهي المعروفة بمعاهدة (سيفر) التي وضعت صيغتها في مؤتمر سان ريمو في شهر شباط من العام نفسه. كانت هذه المعاهدة تنص على تحقيق مطلبين هامين من المطالب الصهيونية هما:

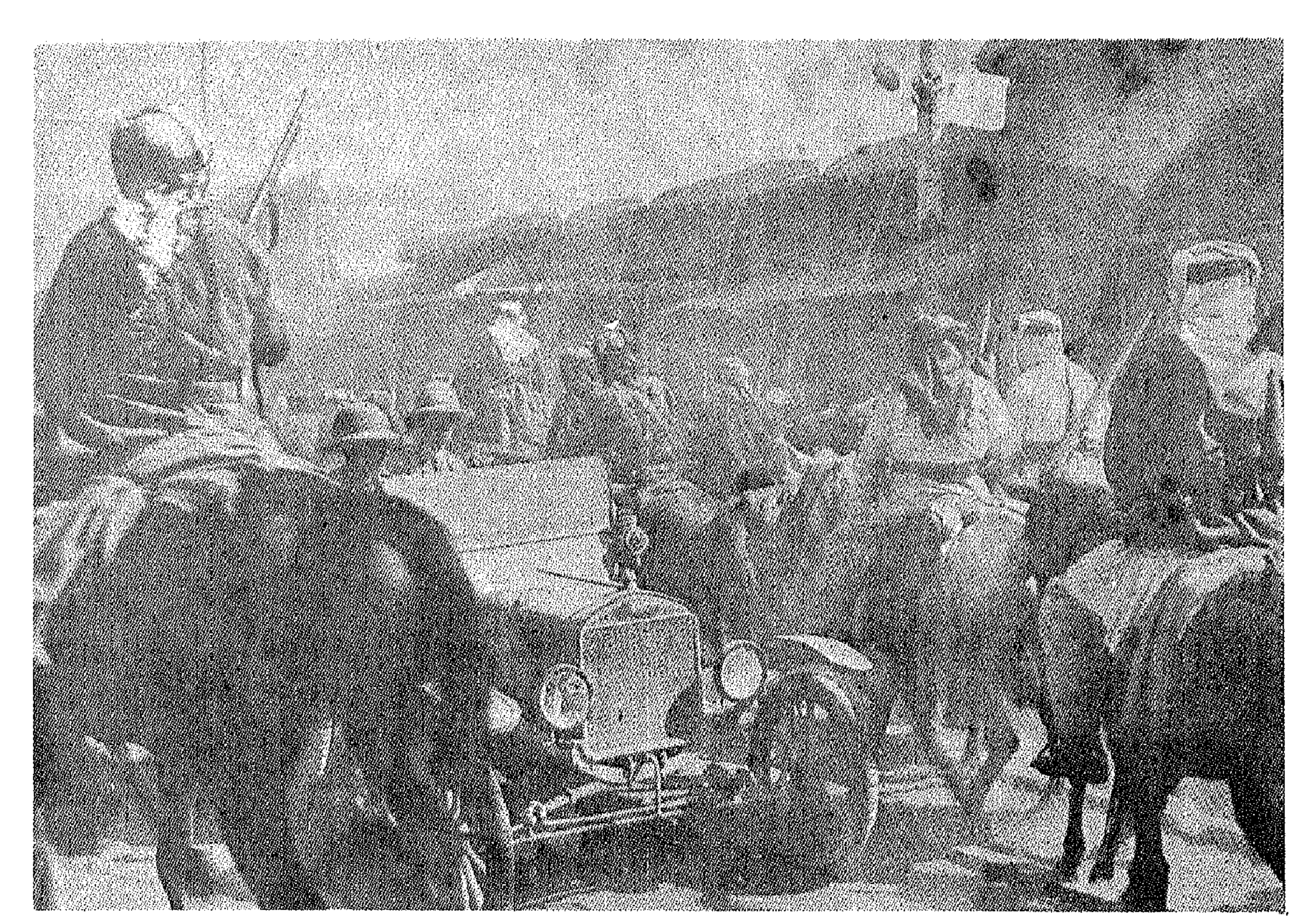
أولاً: ان يعهد بادارة فلسطين. عملاً باحكام ميثاق عصبة الأمم. إلى دولة منتدبة.

ثانياً: ان تكون الدولة المنتدبة مسؤولة عن تنفيذ وعد بلفور الصادر عن الحكومة البريطانية في كانون الثاني من عام ١٩١٧.

وما ان باشرت بريطانيا ممارسة مهامها الانتدابية في فلسطين حتى بدأت تخطط لتنفيذ الوعد الصادر عنها إلى اليهود. كما بدأ اليهود انفسهم محاولات مستميتة للحصول على أكبر قدر ممكن من الأرض يضمونها إلى فلسطين الانتداب، أي إلى اسرائيل المستقبل. وذلك على حساب البلدان العربية المجاورة، ووفقاً لما ورد في المذكرة التي رفعتها المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر الصلح والتي رفعتها المنظمة الصهيونية إلى مؤتمر الصلح والتي سبق ذكرها. فمارسوا ضغوطاً كبيرة على فرنسا، الدولة المنتدبة على سوريا ولبنان، وحركوا الرأي العام اليهودي ضدها. لعلهم يتمكنون من زحزحتها عن تمسكها باتفاقية سايكس - بيكو بخصوص الحدود اللبنانية - الفلسطينية. وفي نهاية عام ١٩٢٠. اتفقت بريطانيا وفرنسا. الدولتان الحليفتان. واضعتا هذه الاتفاقية. والمتقاسمتان مناطق النفوذ في المشرق العربي. والمنتدبتان على أجزاء البلاد العربية فيه. على تخطيط الحدود بين سوريا ولبنان وفلسطين والعراق. فجاء هذا الاتفاق يسلخ عن المنطقة الزرقاء (أي منطقة النفوذ الفرنسي) الجليل الأعلى بكامله. ويلحقه بالمنطقة السمراء (أي فلسطين) فيحقق للصهيونية جزءاً من أطماعها. دون أن يرضيها. وقد عبر اليهود عن سخطهم على هذا الاتفاق في المؤتمر الثاني عشر الذي عقدته منظمتهم عام ١٩٢١، اذ انتقد المؤتمرون تقاعس النشاط الصهيوني فيما يتعلق بتعيين الحدود الشمالية مع دولة «لبنان الكبير» المعلنة حديثا زاعمين ان حل تلك المسألة لم يكن لمصلحة الصهيونية ووفقاً لمطالب المنظمة. وجاء في القرار الخامس الذي اتخذه المؤتمر المذكور حول مسألة الحدود مع لبنان ما يلي:

«... ويجد المؤتمر نفسه ملزماً بالاعراب عن أسفه لأن مسألة الحدود الشمالية لأرض اسرائيل لم تجد سبيلها إلى حد مرض حتى الآن، على الرغم من جميع المساعي التي بذلتها اللجنة التنفيذية... ويأمل المؤتمر ان تستجيب حكومة الجمهورية الفرنسية لمصالح الشعب اليهودي وتفي بها...»

ان ما مر معنا حتى الآن من اتفاقية سايكس - بيكو يدخل في مضمون المواد الثلاث الأولى منها. أما المواد الأخرى المتبقية. وهي تسع. فتتعلق بأمور تختلف في نوعها وأهميتها. كمنح بريطانيا ميناءي حيفا وعكا ومقدارا من مياه دجلة (المادة الرابعة). ومنحها حق التجارة الحرة في ميناء الاسكندرونة ثم منح فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها. بالمقابل. حق التجارة الحرة في ميناء حيفا (المادة الخامسة) كذلك منح امتيازات متبادلة للدولتين في الخطوط الحديدية القائمة بالمناطق الواقعة ضمن نفوذ كل منهما. ووضع شروط لتطوير هذه الخطوط وانشاء خطوط حديدية أخرى في هذه المناطق وادارتها واستعمالها من قبل كل من هاتين الدولتين (المواد ٥.٦.٧). وحدود التعرفة الجمركية ومنع انشاء جمارك داخلية بين المناطق المشار اليها (المادة ٨). أما المواد الأربع الأخيرة من هذه الاتفاقية (٩-١٢) فتتعلق بتعهد كل من الدولتين. بريطانيا وفرنسا. احداهما تجاه الأخرى. بعدم التنازل عن «حقوقها» في المناطق الواقعة تحت نفوذها (والمشار اليها آنفاً) دون موافقة الدولة الأخرى (المادة ٩) كما تتعهد كل منها تجاه الأخرى بعدم امتلاك أو السماح لدولة ثالثة باحتلال أقطار في شبه جزيرة العرب. بصفتها حاميتين للدولة العربية المزمع انشاؤها (المادة ١٠) والتي سوف تستمر المفاوضات بشأنها لتعيين حدودها (المادة ١١). وتتفق الدولتان أخيراً (المادة ١٢) على النظر «في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح إلى الدولة العربية».



القدس العربية تحت الاحتلال .

نتائج مستمرة

اذا أردنا ، في ختام هذا الحديث ، أن نقيم اتفاقية سايكس – بيكو وما آلت إليه من نتائج بعد مرور أكثر من ستين عاماً على وضعها وتنفيذها لخلصنا إلى النتائج التالية :

١ – لقد خرجت هذه الاتفاقية على كل المبادئ الأخلاقية في التعامل السياسي بين الأفراد والدول ، بل كانت نموذجاً للتعامل اللا خلاقي بينها . اذ بينما كانت بريطانيا العظمى تلتزم ، بشخص مندوبها السير مكماهون ، تجاه الشريف حسين ، ومن خلاله تجاه العرب جميعاً ، بالتزامات قانونية وأدبية ، مشجعة اياهم على الثورة ضد الأتراك العثمانيين ، كانت من جهة أخرى ، تتفاوض مع فرنسا ، لتقوض كل ما اتفقت عليه معهم ، ولتهدم كل ما بنى العرب ، من جراء تحالفهم مع هاتين الدولتين ، من أحلام وآمال في التحرر والاستقلال والوحدة .

٢ – لقد كانت لهذه الاتفاقية ، على المديين القريب والبعيد ، نتائج سلبية وخطيرة على المنطقة والعالم لا نزال نعاني آثارها إلى اليوم ، فهي إذ جزأت المشرق العربي إلى دويلات صغيرة ومرتبطة باحدى الدولتين المتعاقدتين ، نقلت العرب من استعمار إلى اخر أشد وطأة ودهاء ، وبينما كان الاستعمار الفرنسي لا يقيم بين الولايات أو الأقاليم في المشرق العربي حدوداً ، عمد الاستعمار الجديد إلى خلق الحدود بين هذه الدويلات التي كانت مصطنعة في بادئ الأمر ثم أصبحت طبيعية بل وكثيراً ما أضحت عدائية ، فكان ان أصبح العرب ، بسبب هذه الاتفاقية ، اعرابا متعددي النزعات مختلفي المذاهب والمشارب .

٣ – وأخطر نتائج هذه الاتفاقية هي ما آل اليه الوضع في فلسطين ، فقد مهدت هذه الاتفاقية ، عن سابق تصور وتصميم من الدولتين المتعاقدتين ، لجعل فلسطين وطناً قومياً لليهود ، ولم يكن وضع فلسطين الخاص في هذه الاتفاقية (المنطقة السمراء) ثم وضعها تحت الانتداب البريطاني واعلان وعد بلفور عام ١٩١٧ ، من قبيل الصدفة ، بل ان الاتفاقية نفسها قد أعدت فلسطين لهذا المصير .

٤ – يبقى التساؤل الكبير الذي يطرح نفسه اليوم ، بعد كل الذي جرى في هذه المنطقة من

اضطرابات وقلاقل وحروب طرحت على بساط البحث خارطة المشرق العربي بكامله، وهو:

هل هنالك من وسيلة للحؤول دون استمرار النتائج السلبية والخطيرة التي ترتبت، ولا تزال تترتب، على تنفيذ الاتفاقية وما تبعها من عهود وقرارات متعلقة بها مباشرة أو مداورة (كوعد بلفور عام ١٩١٧ وقرار تقسيم فلسطين عام ١٩٤٧)؟ أن الوسيلة موجودة ولا شك. وان استقرار العالم العربي بوجه عام، والمشرق العربي بوجه خاص. منوط، إلى حد كبير، بالاجابة على هذا السؤال.

المراجع

● السياسة الدولية في الشرق العربي للدكتور عادل اسماعيل (جزء رابع).

● الهاشميون والثورة العربية الكبرى للدكتور أنيس صايغ.

● وثائق اساسية من تاريخ لبنان الحديث للدكتور عبد العزيز نوار.

● حقائق لبنانية للشيخ بشارة الخوري (جزء أول).

● الصراع الدولي في الشرق الأوسط وولادة دولتي سوريا ولبنان للدكتور زين زين.

● أسرار الثورة العربية الكبرى ومأساة الشريف حسين لامين سعيد.

● يقظة العرب لجورج أنطونيوس (تعريب الدكتورين ناصر الدين الأسد واحسان عباس).

● الاتجاهات الاجتماعية - السياسية في جبل لبنان والمشرق العربي للدكتور وجيه كوثراني.

● القضية الفلسطينية والخطر الصهيوني (عن مؤسسة الدراسات الفلسطينية وقيادة الجيش اللبناني).

● نشرة مؤسسة الدراسات الفلسطينية في بيروت.

اتفاقية سايكس - بيكو
نص الوثيقة

● المادة الأولى: ان فرنسا وبريطانيا العظمى مستعدتان ان تعترفا وتحميا دولة عربية مستقلة أو حلف دول عربية تحت رئاسة عربي في المنطقتين (أ) (داخلية سورية) و (ب) (داخلية العراق) المبينتين في الخريطة الملحقة ويكون لفرنسا في منطقة (أ) ولانكلترا في منطقة (ب) حق الأولوية في المشروعات والقروض المحلية. وتنفرد فرنسا في منطقة (أ) وانكلترا في منطقة (ب) بتقديم المستشارين والموظفين الأجانب بناء على طلب الحكومة العربية أو حلف الحكومات العربية.

● المادة الثانية: يباح لفرنسا في المنطقة الزرقاء (شقة سورية الساحلية) ولانكلترا في المنطقة الحمراء (شقة العراق الساحلية من بغداد حتى خليج فارس)[1] انشاء ما ترغبان فيه من شكل الحكم مباشرة أو بالواسطة أو من المراقبة بعد الاتفاق مع الحكومة أو حلف الحكومات العربية.

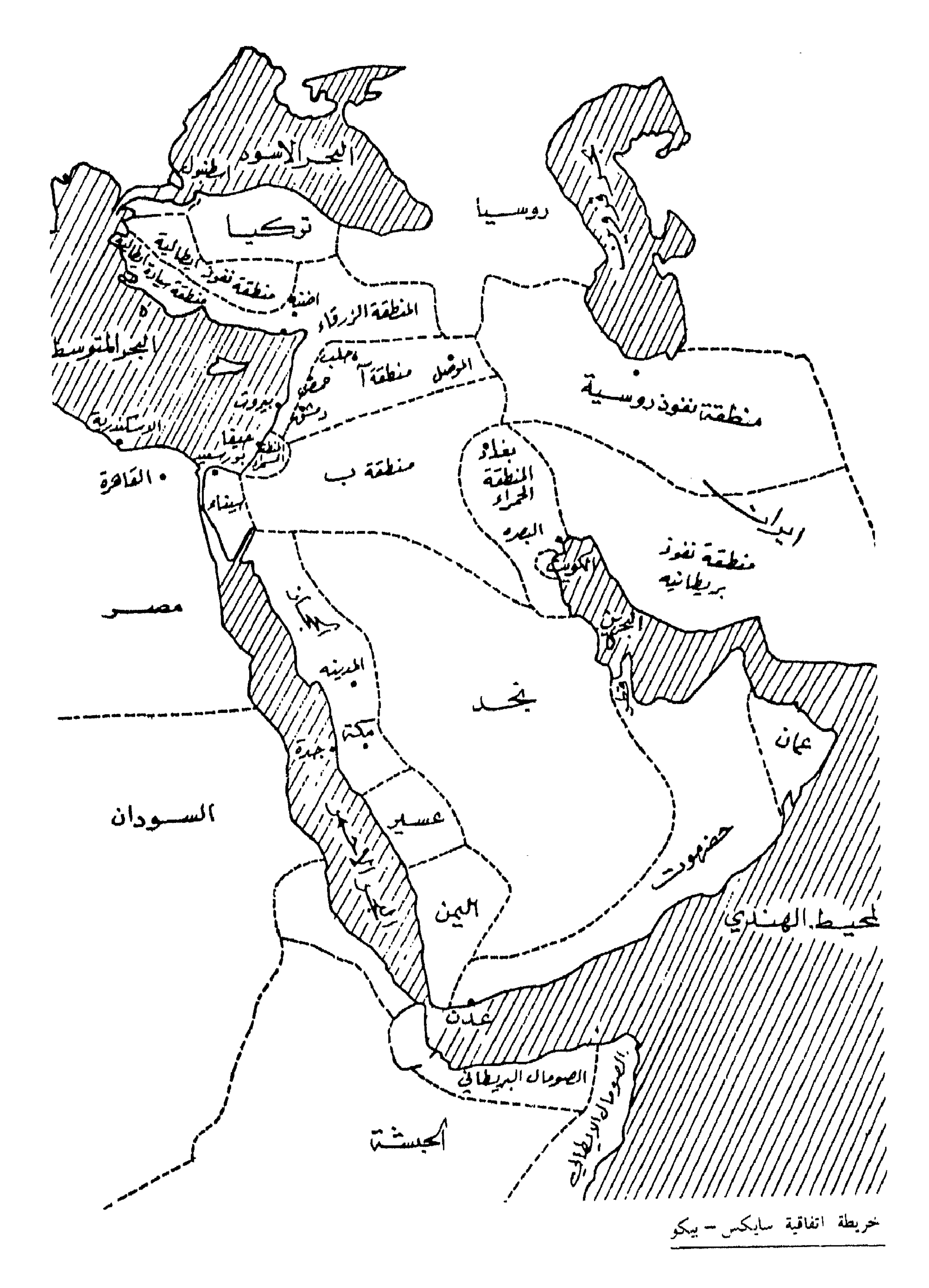
● المادة الثالثة: تنشأ ادارة دولية في المنطقة السمراء (فلسطين) يعين شكلها بعد استشارة روسيا وبالاتفاق مع بقية الحلفاء وممثلي شريف مكة.

● المادة الرابعة: تنال انكلترا ما يأتي:

١ - ميناء حيفا وعكا.

٢ - يضمن مقدار محدود من ماء دجلة والفرات في المنطقة (أ) للمنطقة (ب) وتتعهد حكومة جلالة الملك من جهتها بأن لا تدخل في مفاوضات ما مع دولة أخرى للتنازل عن قبرص إلا بعد موافقة الحكومة الفرنسوية مقدماً.

● المادة الخامسة: تكون الاسكندرونة ميناء حراً لتجارة الامبراطورية البريطانية. ولا تنشأ معاملات مختلفة في رسوم الميناء. ولا ترفض تسهيلات خاصة للملاحة والبضائع البريطانية وتباح حرية النقل للبضائع الانكليزية عن طريق اسكندرونة وسكة الحديد في المنطقة الزرقاء سواء كانت واردة إلى المنطقة الحمراء أو إلى المنطقتين (أ) و (ب) أو صادرة منهما. ولا تنشأ



خريطة اتفاقية سايكس – بيكو

معاملات مختلفة (مباشرة أو غير مباشرة) على أي سكة من سكك الحديد أو في أي ميناء من موانئ المناطق المذكورة تمس البضائع والبواخر البريطانية.

وتكون حيفا ميناء حراً لتجارة فرنسا ومستعمراتها والبلاد الواقعة تحت حمايتها ولا يقع اختلاف في المعاملات ولا يرفض اعطاء تسهيلات للملاحة والبضائع الفرنسوية ويكون نقل البضائع الفرنسوية حراً بطريق حيفا وعلى سكة الحديد الانكليزية في المنطقة السمراء. سواء كانت البضائع صادرة من المنطقة الزرقاء أو الحمراء أو المنطقة (أ) أو المنطقة (ب) أو واردة اليها ولا يجري أدنى اختلاف في المعاملة بالذات أو بالتبع يمس البضائع أو البواخر الفرنسوية في أي سكة من سكك الحديد ولا في ميناء من الموانئ في المناطق المذكورة.

● المادة السادسة: لا تمد سكة حديد بغداد في المنطقة (أ) إلى ما بعد الموصل جنوباً ولا في المنطقة (ب) الى ما بعد سامرا شمالاً الى ان يتم انشاء خط حديدي يصل بغداد بحلب ماراً بوادي الفرات ويكون ذلك بمساعدة الحكومتين.

● المادة السابعة: يحق لبريطانيا العظمى ان تنشئ وتدير وتكون المالكة الوحيدة لخط حديدي يصل حيفا بالمنطقة (ب)، ويكون لها ما عدا ذلك حق دائم بنقل الجنود في أي وقت كان على طول هذا الخط. ويجب أن يكون معلوماً لدى الحكومتين، ان هذا الخط يجب أن يسهل اتصال حيفا ببغداد، وانه اذا حالت دون انشاء خط الاتصال في المنطقة السمراء مصاعب فنية ونفقات وافرة لادارته تجعل انشاءه متعذراً فالحكومة الفرنسوية تكون مستعدة ان تسمح بمروره في طريق بربورة - أم قيس - ملقى - ايدار - غسطا - مغاير[2]. قبل أن يصل الى المنطقة (ب).

● المادة الثامنة: تبقى تعريفة الجمارك التركية نافذة عشرين سنة في جميع جهات المنطقتين الزرقاء والحمراء والمنطقتين (أ) و (ب) فلا تضاف أي علاوة على الرسوم ولا تبدل قاعدة التثمين في الرسوم بقاعدة أخذ العين إلا ان يكون اتفاق بين الحكومتين.

ولا تنشأ جمارك داخلية بين أية منطقة وأخرى من المناطق المذكورة أعلاه وما يفرض من رسوم الجمرك على البضائع المرسلة الى الداخل يدفع في الميناء ويعطى لادارة المنطقة المرسلة اليها البضائع.

● المادة التاسعة: من المتفق عليه أن الحكومة الفرنسوية لا تجري مفاوضة في أي وقت كان للتنازل عن حقوقها، ولا تعطي ما لها من الحقوق في المنطقة الزرقاء لدولة أخرى الا للدولة أو حلف الدول العربية بدون أن توافق على ذلك سلفاً حكومة جلالة الملك التي تتعهد للحكومة الفرنسوية بمثل هذا في ما يتعلق بالمنطقة الحمراء.

● المادة العاشرة: تتفق الحكومتان الانكليزية والفرنسوية بصفتهما حاميتين للدولة العربية على ان لا تتملكا ولا تسمحا لدولة ثالثة ان تمتلك أقطاراً في شبه جزيرة العرب، أو تنشئ قاعدة بحرية في الجزائر على ساحل البحر الأبيض الشرقي[3]. على ان هذا لا يمنع تصحيحاً في حدود عدن فقد يصبح ضروريا بسبب عداء الترك الأخير.

● المادة الحادية عشرة: تستمر المفاوضات مع العرب باسم الحكومتين بالطرق السابقة نفسها لتعيين حدود الدولة أو حلف الدول العربية.

● المادة الثانية عشرة: من المتفق عليه عدا ما ذكر ان تنظر الحكومتان في الوسائل اللازمة لمراقبة جلب السلاح إلى البلاد العربية. ●

(١) أصبح يعرف بالخليج الغربي.

(٢) جاءت الأسماء في أنطونيوس على الوجه التالي: بانياس - أم قيس - صلخد - تال - عسدا - مسمية.

(٣) ورد في انطونيوس: «أو تنشأ قاعدة بحرية في الجزائر الواقعة على الساحل الشرقي للبحر الأحمر» بدلاً من «أن تنشأ قاعدة بحرية في الجزائر على ساحل البحر الأبيض الشرقي».

الحَسَن بن الهَيْثم

اسس علم البصريّات والضوء منذ ١٠٠٠ سنة

د. نقولا شاهين

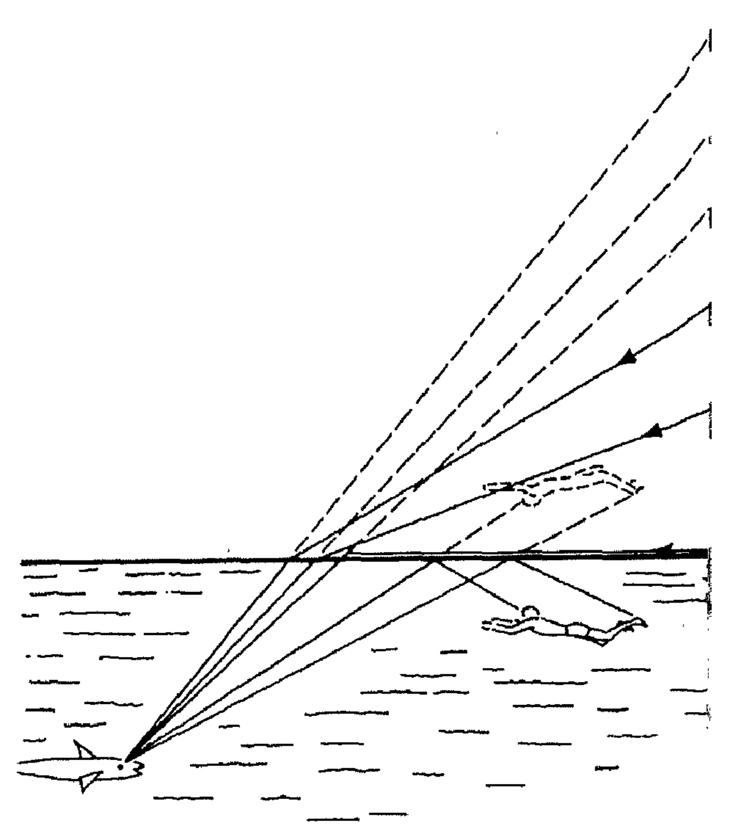
● يزداد اهتمام الشعوب بما خلفه الاجداد من تراث. بازدياد الوعي القومي والنشاط في بناء كياني له سيادته المستقلة وطابعه الخاص. لأن مخلفات الماضي هي حصيلة جهود جبارة. في بناء مدنيات على أسس متينة. من علم وأدب ودين واجتماع. كما يتبين من دراسة تاريخ الشعوب التي كا لها شأنٌ في هذا المضمار. وتقوم هيئات حكومية بالتعاون مع علماء الآثار في التنقيب عما دفن منذ آلاف السنين. تحت ركام من التراب والحجارة. سعياً وراء جلاء ما لا يزال غامضاً في تاريخ الشعوب. وتنفق الأموال الطائلة في هذا السبيل. نظراً لأهميته في مختلف حقول الفكر والعمران. وهناك معالم لم تتمكن الايام من طمسها. بل صمدت في وجه جميع العوامل الهدامة. وظلت تشهد على عظمة انتاج الانسان في القرون الغابرة. كما يتبين لنا في القصور والجوامع التي بناها العرب في اسبانيا والبلاد العربية جمعاء. ونكتفي بالاشارة الى جامع دمشق الأموي. مفخرة العمارة العربية. كأثر خالد. يقف رمزاً لمدنية غنية.

لكنَّ الابنية الفخمة الرائعة. ليست وحدها مقياس ما توصلت اليه الشعوب في سالف الأزمنة من حضارة وتفوق في حقل العمران. بل هناك أفراد حلّقوا في عالم الابتكار والابداع. فكانوا رسل العلم والمعرفة. يزداد تقدير العالم لهم مع مرور الأيام. هؤلاء توصلوا الى أسمى مراتب التفكير والاستنباط. بالرغم من الوسائل القليلة والمحدودة لديهم. من هذه الفئة العالم الفيزيائي الكبير الحسن بن الهيثم. وقد وصفه بعضهم بأنه شيخ علماء الطبيعة في القرون الوسطى.

هكذا ترى السمكة من الماء السابح في البحر و
الضوء. بينما تبتعد الشجرة في الفضاء سبب ان
إلا النادر مما يوجد على الشطآن. بسبب ذ

ترجمة ابن الهيثم:

ظلت هوية هذا العالم على كثير من الغموض ردحاً طويلاً من الزمن. وهذا يعود الى عوامل عديدة منها صعوبة النشر وقلة تداول الكتب في ذلك الزمن. يضاف إلى ذلك اضطراب الأمور السياسية في العالم



الشجرة على الشاطئ. السابح تراه فوق الماء بسبب ظاهرة انعكاس
سار الضوء عند دخول الشعاع من الهواء إلى الماء. والسمك لا يرى
بق الزاوية المتاحة لعين السمكة.

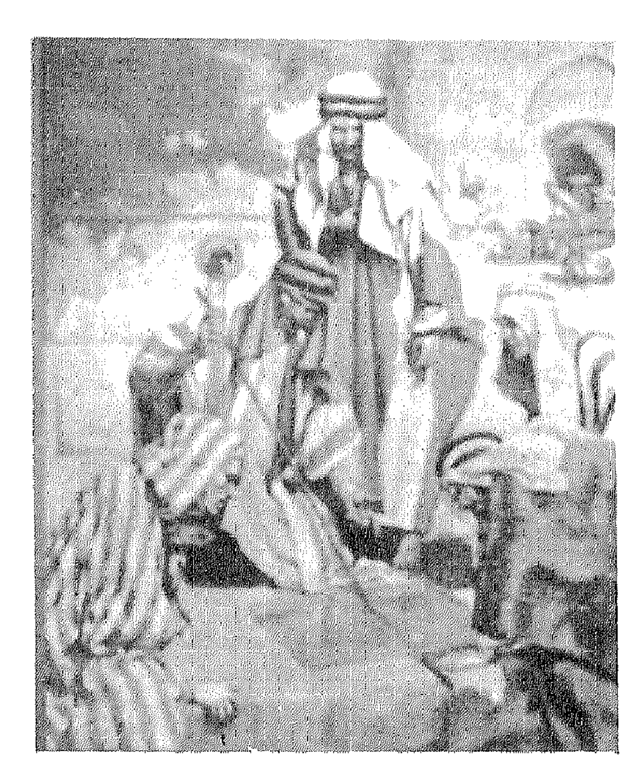
الاسلامي . وما عقب ذلك من حوادث جعلت عدم الاستقرار سائداً في شتى نواحي الحياة . والثابت انه ولد على الارجح سنة ٣٥٤ من الهجرة (حوالي ٩٦٥ ميلادية) في البصرة . وكان أول أمره هناك . لكنه كان كثير الاسفار . فقال بعض المؤرخين انه قضى معظم حياته في الاندلس . وقال آخرون انه من مصر لانه صرف فيها وقتاً طويلاً . فيكون قد مر على تاريخ ولادته الى يومنا هذا ألف وأربعة عشر عاماً .

يعود الفضل في الكشف عن أهمية مكانة ابن الهيثم في علم البصريات إلى علماء أوروبا . عندما انتبهوا إلى ازدهار الحضارة الاسلامية . وتقدم العلم والفلسفة فيها فكثير منهم تفرغوا لدرس اللغة العربية ونقل العلوم إلى اللغة اللاتينية . من بين هؤلاء عالم بولوني يدعى فتلو (Vitelo) . وقد اشتهر بوضع كتاب في البصريات عام ١٢٧٠ ميلادية . متخذاً أحد المراجع مؤلفاً بالعربية لعالم عربي . كان ولا يزال معروفاً في العالم اللاتيني باسم «الهازن» . وفي عام ١٥٧٣ وضع ريسنر (Resn er) ترجمة كاملة لاتينية لهذا المرجع العربي . دعاها «الذخيرة في الاوبطيقي للهازن» . وبقي هذا الكتاب المنقول من العربية الى اللاتنية . مرجعاً لعلماء أوروبا في علم الضوء . طيلة القرون الوسطى وفي إبان عصر النهضة . وقد تبين فيما بعد أن معظم الابحاث والكشوف الضوئية التي نسبت الى علماء أوروبا حتى عصر النهضة قد وردت في ذلك الكتاب .

ظنَّ كثير من المؤرخين أن اسم «الهازن» . هو تحريف اسم «الخازن» مؤلف كتاب «زيج الصفائح» وغيره . وذهب بعضهم الى التأكيد بان مؤلف كتاب الذخيرة ليس «ابن الهيثم» . وبقي الأمر على هذا المنوال الى أن عثر فيدمان (.Wiedman) عام ١٨٧٦ على مخطوط عربي في مكتبة «ليدن» . لكتاب في الضوء بعنوان «تنقيح المناظر لذي الأبصار والبصائر» واضعه «كمال الدين أبو الحسن الفارسي» . وهو تنقيح كتاب المناظر لأبن الهيثم . وبعد أن قابل «فيدمان» بين التنقيح وبين كتاب الذخيرة اللاتيني «للهازن» . وجدهما على تمام الشبه . إلاّ في أماكن علق فيها الفارسي بآرائه على أقوال ابن الهيثم . هنا لم يبق مجال للشك بأن كتاب الذخيرة اللاتيني هو ترجمة كتاب المناظر لابن الهيثم . وهكذا انجلى الغموض وثبت ان الأصل العربي للكتاب اللاتيني هو «كتاب المناظر للحسن بن الهيثم» . وان لفظ «الهازن» هو تحريف «الحسن» . مما تقدم يتبين لنا أن علماء أوروبا قد صرفوا جهوداً جبارة . لانصاف ابن الهيثم وللكشف عن حقائق تتعلق بكتابه عن البصريات . فاهتدت به أوروبا في وضع اساس لنهضتها العلمية الحاضرة . وهناك عدد كبير من المؤرخين الأوروبيين الذين عنوا بترجمة حياة ابن الهيثم وما تضمنت من أعمال . كما ان آخرين عنوا بدراسة بحوثه العلمية وتلخيصها أو شرحها أو ترجمتها . ومنهم من عالجوا مباحثه الرياضية وما يتعلق بها . أما اسمه الكامل فهو «الحسن أبو علي بن الحسن بن الهيثم» .

عصر الحضارة العربية :

عاش ابن الهيثم في عصر نشطت فيه الحركة



صورة لابن الهيثم مؤسس علم البصريات والضوء.

الفكرية. وازدهرت فيه الآراء المختلفة في شتى الحقول. من اعتقادات ومذاهب شرعية. وامور فلسفية وعقلية وعلمية وتعليمية. في ذلك العصر تم نقل ما ترجم الى العربية من كتب الاغريق. في الفلسفة والعلوم الطبيعية والرياضية والهندسية. وما يتعلق بها من بصريات هندسية ومرايا محرقة وفلك وغيرها. في ذلك العصر أيضاً تم ترجمة كتب الهندوفارس في علم العدد وعلم الفلك. فأصبحت اللغة العربية غنيةً بالمؤلفات العلمية المختلفة. فقام علماء العرب بشرح تلك المؤلفات والتعليق عليها وتصحيح أخطائها والاضافة اليها. ونبغ أعلام افذاذ في الفلسفة والطب والكيمياء والرياضيات والفلك. أما ابن الهيثم فانه قضى مرحلة طويلة من حياته. يسعى وراء الالمام بنواحي النشاط الفكري في ذلك العصر. وذلك بدرس كل ما حصل عليه من كتب الاقدمين في فروع العلم المختلفة. ولم يقتنع بالاطلاع عليها. بل عمد الى تلخيصها والتصنيف فيها. لكي يتوصل الى ادراك دقائق معانيها. كانت حصيلة هذه الجهود عدداً كبيراً من الكتب. منها ثلاثة وأربعون كتاباً في الفلسفة والعلم الطبيعي. وخمسة وعشرون في الرياضيات والعلم التعليمي. فضلاً عن كتاب في علم الطب. أودعه خلاصة ثلاثين من كتب غالينوس. كان هذا في زمن محدود الوسائل. فلا معاهد نظامية ولا اساتذة يعتمد عليهم في دراسات متسعة شاملة. ولا مختبرات مجهزة بكل ما يحتاجه ابن العلم كما هي الحال في ايامنا هذه. كان على ابن الهيثم ان يعد نفسه اعداداً كاملاً. معتمداً على امكاناته الخاصة. فأتى بنتائج تعجز عنها جمهرة من العلماء.

كان من نتائج تضلعه في الرياضيات والهندسة ان استدعاه الى مصر الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله. وكان قد بلغ الحاكم قول ابن الهيثم «لو كنت بمصر لعملت في نيلها عملاً يحصل به النفع في حالة من حالاته من زيادة ونقص. فقد بلغني انه ينحدر من موضع عالٍ وهو في طرف الاقليم المصري». فأرسل اليه هدايا وأموالاً. وعند حضوره الى مصر خرج الحاكم بنفسه لاستقباله خارج المدينة القاهرة. وأكرم وفادته وأمر باكرامه ايما حل. قضى مدّة شهر في دراسات خاصة. كي يتوصل الى إنجاز ما يساعده على تنظيم الري من مياه النيل. وتأمين الماء عند نقص الفيضان. سار على رأس بعثة هندسية. يتتبع مجرى النيل من القاهرة الى جنوبي أسوان. حتى وصل الى مكان معروف بالجنادل بالقرب من خزان أسوان اليوم. حيث ينحدر النيل بشدّة. قضى هناك شهراً في القياس والتصميم. لكنّ ضعف الامكانات العلمية وعدم الدقة في القياسات في ذلك الوقت. لم يمكّناه من التوصل الى حصر مياه النيل. عاد الى القاهرة بروح كئيبة وفي أشد حالات الخجل. واعتذر الى الحاكم. واتخذ له مسكناً في قبة عند الجامع الأزهر. مؤثراً العزلة بملء رغبته. وكانت وفاته سنة ٤١١ من الهجرة أو ١٠٢٠ ميلادية.

أما كتاب ابن الهيثم في المناظر فانه يقع في سبع مقالات. تستوعب في مباحثها جميع ما يمكن أن يتصوره الانسان من خواص للضوء. ونظريات تنتهي الى قوانين في غاية الاتقان. وقد اعتمد ابن الهيثم في جميع ابحاثه الطريقة العلمية الحديثة. كما يتبين من دراساته جميعها. أما العناصر الأساسية في طريقة البحث العلمي فهي: الاستقراء. والقياس. والمشاهدة. والتمثيل. ولا يتم علم صحيح دونها. ولا يتسع المجال في هذا المقال للاسهاب فيما توصل اليه ابن الهيثم في علم البصريات. وسنقتصر على أهم ما جاء به في هذا العلم.

كيفية الابصار:

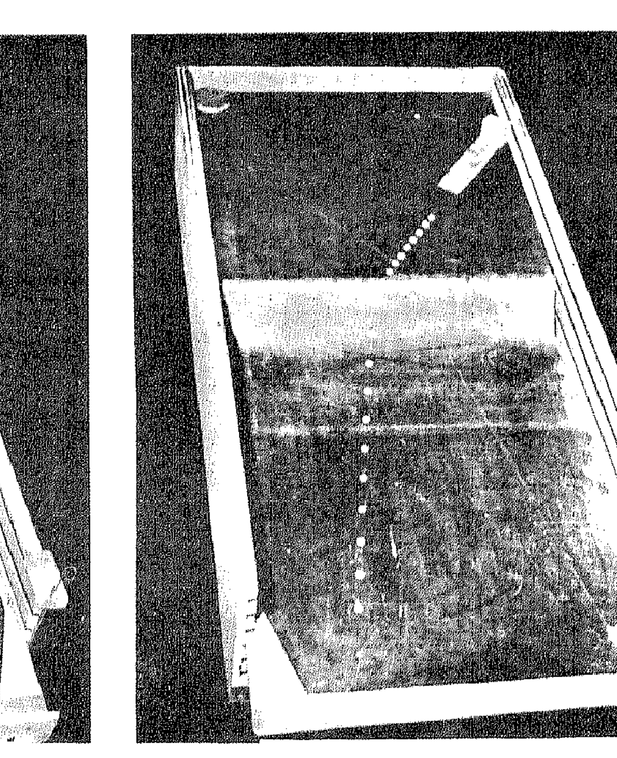
عالج فلاسفة اليونان كيفية ادراك الموجودات

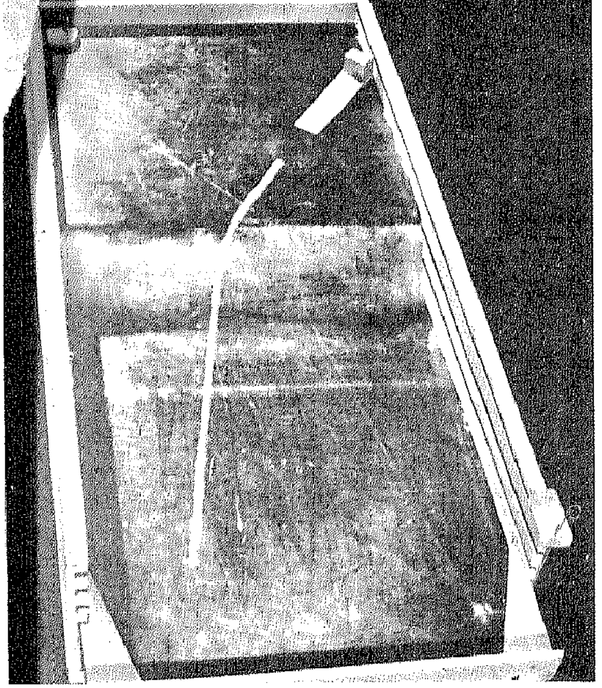
بحاسة البصر. فجاءت آراؤهم متباينة بحسب ميولهم الفكرية واختلاف ألوانهم الفلسفية. فكان الرأي السائد بين أكثرهم ان الابصار يتم بخروج عناصر من البصر واتصالها بعناصر من نوعها تخرج من الجسم المرئي. وجاء الروائيون بفلسفة نشأت قبل الميلاد (٣٣٦-٢٦٤) فقالوا ان الابصار يتم بخروج شعاع من العين على شكل مخروط. رأسه عند العين وقاعدته عند سطح المرئي. فعندما يخرج الشعاع من العين ويقع على الجسم يحدث الابصار. فتصبح العين ممتدة حتى تلمس الجسم المرئي. وقد احتل هذا الرأي منزلة يعتمد عليها في الفلسفة الهندية. وأخذ بهذا القول علماء الفلك والرياضيات والعلم التعليمي كافة في العصر الاسكندري ومن أتى بعدهم. وقد دعاهم ابن الهيثم «أصحاب الشعاع».

أما ابن الهيثم فانه قال بعكس ما تقدم. فالابصار حسب رأيه يتم بخروج شعاع من الضوء من الجسم المرئي. ويدخل العين فتحدث الرؤية. واستشهد على ذلك بعدم الرؤية في الظلام. بالرغم من كون العيون سليمة. وهذا يثبت أنه كان مضطلعاً باسلوب البحث العلمي من جميع نواحيه. ومن مجموع ابحاثه وأقواله. نراه يعتبر الضوء شيئاً ذا كيان ووجود. تنقله الاجسام المشفة على سموت مستقيمة من الجسم المضيء. الى أن يتلاشى. أو يقع على سطح كثيف فتحصل الاضاءة. أو يقع على البصر فيحدث الابصار. وفي حالة امتداد أضواء متعدّدة على سموت مستقيمة. كانت هذه السموت متوازية أو متقاطعة. فانه لا يترتب على هذا امتزاج الأضواء أو الألوان. بل يكون كل سمت منها. يحمل صفات الجسم الذي امتدت منه الاضواء على ذلك السمت.

سرعة الضوء :

كان الرأي السائد قبل أبحاث ابن الهيثم. ان سرعة الضوء لا نهاية لها. وانَّ الضوء. لا يلزمه زمن في انتقاله من مكان الى آخر. فهو يقول أنَّ للضوء وجوداً ذاتياً. وأنَّ الجسم المشف هو أداة لنقل الضوء من مكان الى آخر. ولا يكون ذلك دفعة واحدة وفي غير زمان. بل يلزمه زمن معين. فللضوء إذن سرعة محدودة. ظلت هذه الفكرة موضع أخذ ورد في الأوساط العلمية. ولم يسلم العلم الحديث بقبولها حتى أواخر القرن السابع عشر. عندما توصل «رومر» الى إثباتها عن طريق مشاهدة خسوفين متتابعين لأحد أقمار المشتري. فتمكن فعلاً من قياس سرعة النور. بالرغم





الكلة عندما تنزل من صعيد مرتفع إلى صعيد منخفض تزداد سرعتها. ويتخذ مسارها شكل الضوء المنكسر. وهذا فسره ابن الهيثم من ألف سنة.

من كل هذا . لم تصبح الفكرة حقيقة علمية تدعمها التجارب إلاّ في منتصف القرن التاسع عشر. هكذا نرى أنَّ ابن الهيثم سبق علماء العصر الحديث في تصوره سرعة محدودة للضوء . وترك لهم أمر تعيين مقدار هذه السرعة. فضلاً عن هذا . توصل ابن الهيثم الى أن سرعة الضوء في الوسط المشف الألطف . هي أعظم من سرعته في الوسط المشف الأكثف.

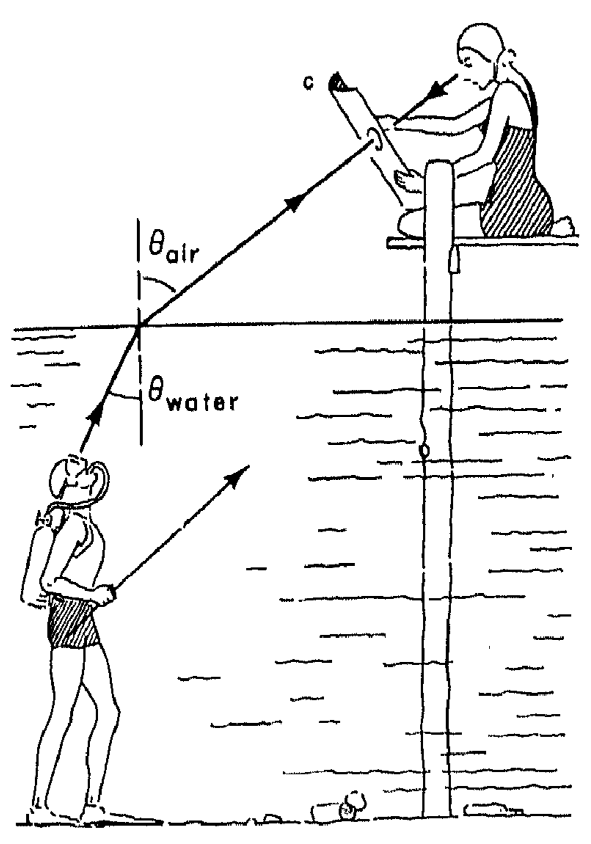
انعكاس الضوء وانكساره أو انعطافه :

تمكن ابن الهيثم من صنع جهاز . اثبت بواسطة قانون انعكاس الاشعة الأول . أي أن زاوية السقوط تساوي زاوية الانعكاس . وقد أجرى تجربته هذه في غرفة مظلمة مملوءة بالغبار . فاستطاع رؤية اشعة الضوء . ثمَّ تدرج الى وضع قانون الانعكاس الثاني . وفحواه أن الشعاع الساقط والشعاع المنعكس . يقعان في مسطح عامودي بالنسبة للمرآة . وقد عالج الانعكاس عن سطوح المرايا المختلفة . من مستوية واسطوانية ومخروطية وكروية محدبة ومقعرة.

لم يكتف ببيان الكيفية التي ينعكس فيها الضوء . بل ذهب الى بيان العلّة في ذلك . بانيا نظريته على الوجهة الميكانيكية . كما فعل «نيوتن» بعده . والمعروف في علم الميكانيك . أن الجسم يرتد اذا صدم جسماً صلباً . إذ إنه يمنعه من الاستمرار في حركته الأصلية . يرتد على السمت نفسه . فاتخذ ذلك مثالاً لانعكاس الضوء . وقد بنى شرحه في هذا المثال الميكانيكي . على مبادئ نسبها المؤرخون الى عصر النهضة وما تلاه . لكنها بالحقيقة من انتاج ابن الهيثم.

والثابت الى يومنا هذا في الأوساط العلمية المختلفة . ان ابن الهيثم هو واضع قانون انكسار الضوء . وانَّ نسبة ذلك الى غيره ليس فيها شيء من الصحة . أما سبب الانكسار أو الانعطاف في رأيه . فهو ان سرعة الضوء عند نفوذه من وسط مشف . الى وسط مشف آخر ليست واحدة . وقد جرب أن يبين سبب انعطاف الضوء عند نفوذه من الألطف الى الأغلظ نحو جهة العمود . والى ضد جهة العمود عند نفوذه من الأغلظ الى الألطف . بانياً ذلك على كون سرعة الضوء في المشف الألطف هي أعظم من سرعته في المشف الأغلظ . هذه حقائق ظلت على حالها من أيام ابن الهيثم الى يومنا هذا.

وفي تفسيره ظاهرة انكسار الضوء . عمد الى



انكسار الضوء يحدث في الاتجاهين

وعاء زجاجي كبير يحتوي بعض الحليب . وأخذه الى غرفة مظلمة كثر فيها الغبار . أدخل الى الغرفة شعاعاً من الضوء من ثقب ضيق . فتبين له انه عند وضع الحليب في طريق الشعاع . ينكسر عند سطح السائل ويميل نحو القعر . متخذاً طريقا أقصر مما لو كان الوعاء ممتلئاً هواء . وكان من السهل رؤية الشعاع في الهواء بفضل الغبار . وفي الوعاء بفضل الحليب.

العين كجهاز للأبصار :

كان ابن الهيثم أول من نسب الرؤية الى شبكية العين . ثمّ جاء بشرحٍ وافٍ عن رؤيتنا للشيء ذاته . على الرغم من أننا ننظر اليه بعينين . يعود ذلك الى وقوع صورتين على قسمين متشابهين من شبكيتي العين . وهذا هو الرأي السائد اليوم . وقد أتى على ذكر طبقات العين المختلفة . وشرح أشكالها وخواصها شرحاً دقيقاً مفصلاً . وله بحث مسهب شيق عن قوى تكبير العدسات للمرئيات . واستعمالها في اصلاح عيوب العين . ويحتوي كتاب الذخيرة الذي أشرنا اليه في بدء المقال . شكلاً يمثل صورة العين كما يصورها «ريسنر» بانياً ذلك على أقوال ابن الهيثم.

ابن الهيثم الفلكي :

كان لابن الهيثم دراسات مفصلة عن القمر

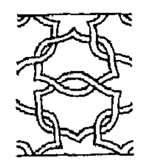
وكيفية تغير أحواله. واختلاف أشكال ما يظهر مضيئاً من سطحه. وتنقل الضوء في جميع أجزائه. كما انه عالج قضية الكسوف باسهاب. واتخذ هذه الظاهرة دليلاً على انّ ضوء القمر مكتسب من الشمس.

ومما لا شك فيه أن ابن الهيثم درس نفوذ الأضواء من الثقوب الضيقة. فشاهد صورة كسوف الشمس على جدار مقابل له. من خلال ثقب صنعه لهذه الغاية. كان هذا أول ذكر «للخزانة المظلمة ذات الثقب». وعليها قامت فكرة التصوير الضوئي.

وفي إحدى رسائله جرب أن يشرح أضواء الكواكب. فيقول إنها مضيئة من ذاتها بخاصة تخص جوهرها. وليس واحد منها يكتسب الضوء من غيره. سوى القمر. ويستشهد بالزهرة وعطارد وهما أقرب الى الأرض من الشمس. فيقول انهما يريان عند قربهما من الشمس على الصورة التي يريان عليها عند بعدهما عنها. لا تختلف صورتهما ولا يرى واحد منهما في وقت من الاوقات هلالياً ولا على شكل غير الاستدارة وخاصة الزهرة. فالزهرة وعطارد مضيئان من ذواتهما. وليس يكتسبان الضوء من الشمس. لقد أخطأ ابن الهيثم في هذا الأمر. والعلماء ليسوا معصومين عن الخطأ.

° ° °

هذا قليل من كثير قدمه ابن الهيثم منذ نحو ألف سنة للعالم. فاستنارت به أوروبا. ونقلته مع مرور الأيام الى اقطار العالم كافة. ويقول عنه «سارتون» انه كان أكبر عالم طبيعي في الاسلام». ●



أهذا من ذاك؟

– قيل ان الأواني التي كان يأكل فيها كسرى كانت من الذهب الخالص. فسرق رجل من خاصته آنية. وكسرى ينظر إليه. فلما رُفعت الموائد افتقد الطبّاخ الآنية فرجع يطلبها. فقال له كسرى: «لا تتعبن نفسك. فقد أخذها من لا يريدها. ورآه من لا يفشي عليه. وبعد ذلك بأيام. دخل الرجل على كسرى وقد حلّى سيفه ومنطقته ذهباً. فقال له كسرى على الفور وقد أشار إلى سيفه ومنطقته: «أهذا من ذاك؟» فقال: «نعم».

لا عن ذلك ولا عن هذا؟

– كان زياد بن أبي سفيان كاتباً لأبي موسى الأشعري. فعزله عمر بن الخطاب عن عمله. فقال زياد لعمر بن الخطاب: «أعن عجز عزلتني يا أمير المؤمنين أم عن خيانة»؟ فقال عمر: «لا عن ذلك ولا عن هذا. ولكني كرهت أن أحمل على العامة فضل عقلك».

جرب العمالقة والاقزام

– قال بسمارك السياسي الالماني الكبير وعرّاب الوحدة الالمانية يوماً: المقاتلون وحدهم هم الذين يعرفون ويلات الحرب. وهم أوّل الذين ينادون بالسلام ونبذ القتال!.

وقد ذهب الجنرال برادلي الذي تولى رئاسة هيئة اركان حرب القوات الاميركية بعد الجنرال ايزنهاور في عام ١٩٤٩ مذهب بسمارك نفسه حين قال: «إن عالمنا اليوم هو عالم عمالقة الذرّة وأقزام الاخلاق. فنحن نعرف عن الحروب أكثر مما نعرف عن السلام... نعرف عن القتل أكثر مما نعرف عن الحياة. اني أبتهل إلى الله أن يأتي اليوم الذي فيه يتحول الاقزام إلى عمالقة. ويخرج كل رجل وامرأة وطفل ليشاركوا في حفر أكبر مقبرة في الشارع لكل أسلحة الموت والدمار... إن شجرة الزيتون لن تموت طالما بقيت مياه الحياة تروي جذورها»!. فهل سيتحقق هذا السلام يوماً ما يا ترى؟.



الجزائر والحملة الفرنسيّة ١٨٣٠

علاقات الجزائر بدول اوروبا وقوتها البحرية وكيف تم استعمارها

د. ابو القاسم سعدالله

البيان الفرنسي إلى الشعب الجزائري !

فيما يلي نسخة من البيان الفرنسي الذي أعد في طولون بالعربية ووجه إلى الجزائريين عشية اقلاع الأسطول الفرنسي نحو الجزائر.

(إلى الكولوغلي. ابناء الأتراك والعرب المقيمين في اقليم الجزائر).

«اننا نحن أصدقاءكم الفرنسيين نتوجه الآن نحو مدينة الجزائر. اننا ذاهبون لكي نطرد الأتراك من هناك. ان الأتراك هم أعداؤكم وطغاتكم الذي يتجبرون عليكم ويضطهدونكم. والذين يسرقون أملاككم وانتاج أرضكم. والذين يهددون حياتكم باستمرار. اننا لن نأخذ المدينة منهم لكي تكون سادة عليها. اننا نقسم على ذلك بدمائنا. واذا انضممتم إلينا. واذا برهنتم على أنكم جديرون بحمايتنا. فسيكون الحكم في أيديكم كما كان في السابق. وستكونون سادة مستقلين على وطنكم»

«ان الفرنسيين سيعاملونكم كما عاملوا المصريين. أخوانكم الأعزاء. الذين لم يفتأوا يفكرون فينا ويتأسفون على فراقنا طيلة الثلاثين سنة الماضية. منذ خروجنا من بلادهم. والذين ما يزالون يرسلون ابناءهم إلى فرنسا ليتعلموا القراءة والكتابة وكل فن وحرفة مفيدة. ونحن نعدكم باحترام نقودكم وبضائعكم ودينكم المقدس. لأن ملك فرنسا المعظم حامي وطننا المحبوب. يحمي كل دين».

«فاذا كنتم لا تثقون في كلمتنا وفي قوة سلاحنا. فابتعدوا عن طريقنا ولا تنضموا إلى الأتراك الذين هم أعداؤنا وأعداؤكم. فأبقوا هادئين. ان الفرنسيين ليسوا في حاجة إلى مساعدة لضرب وطرد الأتراك. ان الفرنسيين هم أصدقاؤكم المخلصون وسيظلون. فتعالوا الينا وسنكون مسرورين بكم وسيكون ذلك فرصة لكم. واذا أحضرتم إلينا الأطعمة والأغذية. والأبقار والأغنام فسندفع ثمن ذلك بسعر السوق. واذا كنتم خائفين من سلاحنا فأشيروا علينا بالمكان الذي يقابلكم فيه جنودنا المخلصون دون سلاح مزودين بالنقود في مقابل التموين الذي تأتون به».

«وهكذا على السلام بينكم وبيننا لمصلحتكم ومصلحتنا».

عن «ذي ليفربول ميركوري» The Liverpool Mercury

١٨ جزيران ١٨٣٠



● كانت ملامح الجزائر، من ١٥١٦ إلى الاحتلال الفرنسي في ١٨٣٠، متشابهة على العموم، فالمجتمع القديم، أو ما يسمى في اوروبا، بالعهد القديم، كان مطبقاً في الجزائر بطريقة كادت تكون كاملة. ولعل الفرق الوحيد هو أن الجزائر تقع في افريقيا وليست في أوروبا. وقد سمع الجزائريون بالثورة الفرنسية، ولكنهم لم يفعلوا شيئاً لتطبيق مبادئها في وطنهم. فقد أقرضوا نابليون النقود ومونوه لكي يواصل حروبه في أوروبا. أما نابليون نفسه، فقد كان يخطط لاحتلال الجزائر وبسط دولته على شمال افريقيا.

إن المؤرخين لا يتفقون على نوع الحكومة التي كانت تحكم الجزائر خلال الثلاثة القرون المشار اليها، فقد قال بعضهم انه كانت لها حكومة جمهورية أو جمهورية عسكرية.

وقال آخرون انه كان لها نظام ملكي، وتحدثوا في كتبهم عن مملكة الجزائر. ومهما كانت العبارة التي استعملها أولئك وهؤلاء، فإن الجزائر كان يحكمها شخص هو الداي الذي كان ينتخبه الديوان (البرلمان) مدى الحياة. وكان الداي يحكم بواسطة وزراء معينين تعييناً، في المراكز التالية: وزارة البحرية والشؤون الخارجية، وزارة الحرب، وزارة المالية والداخلية، ووزارة الاوقاف والبريد.

وكان الداي يعين أيضاً ولاة الاقاليم الثلاثة التي كانت تتكون منها الجزائر في ذلك الوقت، وهي: أقليم قسنطينة، واقليم وهران، واقليم التيطري، بالاضافة إلى ذلك فقد كانت هناك مراكز اخرى أقل أهمية، مثل القضاء، والافتاء، ومندوبيات مختلف النواحي.

وقد كانت السلطة عموماً في أيد تركية من الداي إلى الجندي، وكان الجزائريون يجندون ليخدموا في الجيش ويعينون في المراكز الدينية. وكان عليهم أن يدفعوا الضرائب وأن يؤيدوا الدولة. وكانت التزامات اعترافهم بالخلافة باسم الدين تمنعهم من الثورة. وكانوا يعرفون أن الأتراك قد ساعدوهم ضد الأسبان في القرن السادس عشر. ورغم الالتزامات الدينية والحقائق التاريخية بخصوص الأتراك، فإن الجزائريين لم يثوروا ضد السلطة التركية بسبب الاجحاف والظلم والفساد الذي كان الأتراك يقومون به. الا أن السخط كان شائعاً كثيراً، وقد استغل الفرنسيون هذا العمل النفساني ضد الجزائر.

إن الحكم المطلق وتأثير الدين في كل مظاهر الحياة، هذه كلها كانت ملامح مشتركة «للعهد القديم» الجزائري. وقد كان هناك احترام كبير للتعليم، ولكنه كان تعليماً مقتصراً على الدراسات الدينية الخاضعة بدورها إلى سلطة الطبقة المتدينة، وكانت العربية هي لغة الجمهور، والتركية هي اللغة الحكومية، أما الفرنسية فقد كانت شائعة بين القناصل الأجنبية، ولعلها بين النخبة الجزائرية أيضاً. وكان الاسلام هو الدين الرسمي والغالب في البلاد. وكان هناك بالطبع يهود ومسيحيون.

والمجتمع الجزائري كان شبيهاً جداً بمجتمع جنوب أوروبا، باستثناء فرنسا ربما، فقد كان هناك الارستقراطيون في القمة، والفلاحون في الحضيض. وبين القمة والحضيض هناك قلة في الوسط ولكن تأثيرها ضعيف، أو لا يكاد يذكر. فتأثير الدين كان اقوى بكثير من أي تأثير آخر. فمجتمع الجزائر كان على غرار مجتمع فرنسا في العهد القديم، دون افكار تنويرية.

إذن، فقد كانت الجزائر دولة مستقلة، وكان لها علم، وعملة، وجيش، وعلاقات دبلوماسية مع الدول الأخرى، ولكنها كانت تعترف بالباب العالي أو الخلافة الاسلامية التي كانت تحت السلطة العثمانية لاسباب

دينية. وكانت ترسل هدية إلى الخليفة في اسطنبول في كل ثلاث سنوات. ولكن هذه الهدية لم تكن ضرورية. وبالاضافة إلى ذلك فإن العلم العثماني لم يكن دائماً محل احترام في الجزائر.

الجزائر والدول الأوروبية

لقد كان للجزائر أسطول بحري قوي خلال الثلاثة القرون. وكان هذا الأسطول مسيطراً على كامل غرب البحر الأبيض المتوسط. وعلى شواطىء الأطلسي الأفريقية حتى انكلترا. وهذه السلطة البحرية قد فرضت نفسها على الدول الأوروبية. بما في ذلك الولايات المتحدة الأميريكية. مدة طويلة. وكانت الدول الأوروبية الصغيرة (مثل ايطاليا. والأراضي المنخفضة. والبلاد الاسكندنافية) تدفع الجزية للجزائر سنوياً. وتقدم لها مختلف الهدايا لكي تشيد معها صداقة دائمة وتحافظ على تجارتها نشيطة. أما تلك الدول القوية التي كانت تتحرر من السلطة الاستعمارية ومن حروب المنافسة في أجزاء كثيرة من العالم. فقد دفعت هي ايضاً الجزية للجزائر في كثير من الأحيان. ولكنها (الدول القوية) قد دخلت معها أحياناً في حروب. وقد كانت الجزائر هي المنتصرة دائماً خلال هذا الصراع إلى الحملة الفرنسية سنة ١٨٣٠.

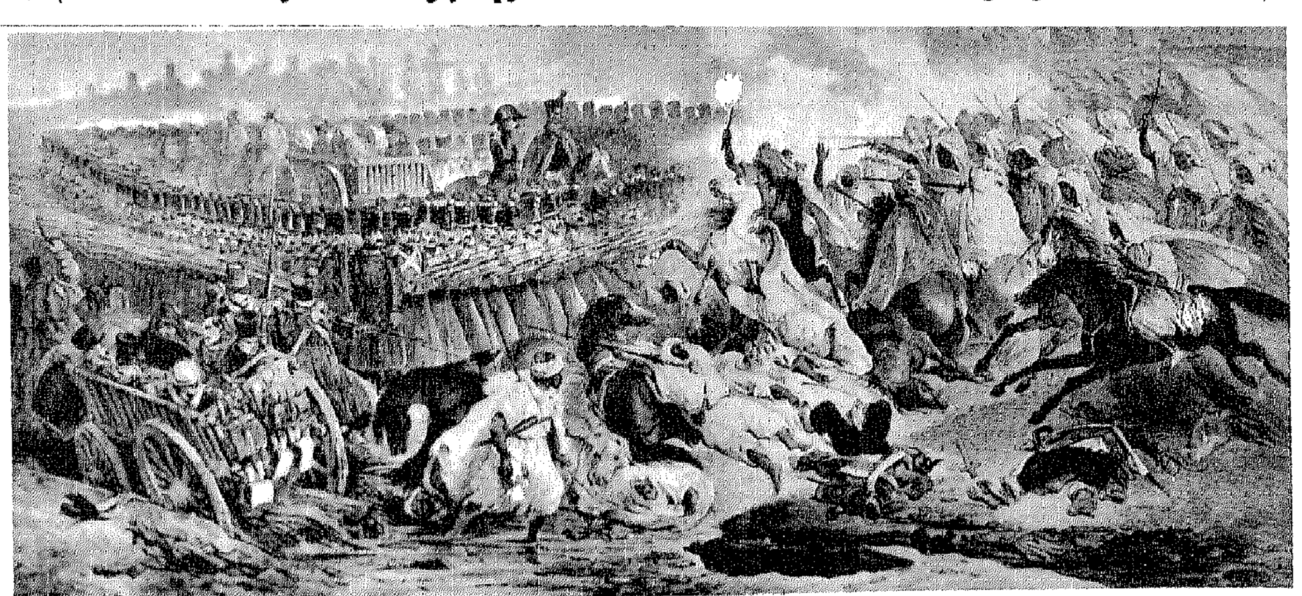
ولكي نوضح الصورة حول السياسة الخارجية للجزائر. نذكر باختصار كيف طبقت هذه السياسة على كل دولة أوروبية على حدة. وسنذكر في هذا المجال الولايات المتحدة الأمريكية. ونستثني فرنسا التي سنخصص لها قسماً من هذا البحث. لأنها تحتاج إلى تركيز أكثر في علاقتها مع الجزائر.

الجزائر وأمريكا:

ارتبطت العلاقات بين امريكا والجزائر قبل عام ١٧٨٣. فقد كانت لأمريكا مشاكلها الخاصة في نهاية القرن الثامن عشر. ورغم ذلك فقد بدأت تتاجر مع العالم الخارجي. وكانت تريد أن تمد منطقة حركتها إلى البحر الابيض ـ المتوسط. وقد اعلنت الجزائر الحرب ضدها. وهكذا حجز الأسطول الجزائري سنة ١٧٨٥ سفينتين امريكيتين في عرض المحيط. ونظراً إلى انه لم يكن لأمريكا من الوسائل ما تعالج به هذا الوضع فإنها قد اضافت مادة في معاهدتها مع فرنسا تقوم بمقتضاها الاخيرة بمساعدتها.

وقد اعطت تفويضاً لكل من ج. آدامز. وب. فرنكلين وت. جيفرسن. الذين كانوا في أوروبا في ذلك الوقت. من حكومتهم لكي يفاوضوا على معاهدة مع الجزائر. وفي سنة ١٧٩٣ حجز الجزائريون احدى عشرة سفينة أمريكية أخرى في عرض المحيط. وجاؤوا بها إلى الجزائر العاصمة. وفي هذه الاثناء كان هناك أكثر من مائة اسير امريكي في الجزائر.

وفي ايلول ١٧٩٥ وقعت معاهدة سلام بين



معارك التحرير ضد الاستعمار مستمرة.

الجزائر والولايات المتحدة وافقت الاخيرة بمقتضاها على أن تدفع حوالي سبعمائة وخمسة وعشرين دولاراً. أما داي الجزائر. فقد وافق من جهته على أن يساعد على إبرام معاهدات سلام بين الولايات المتحدة وكل من تونس وطرابلس. وقد قال بعضهم «أن معاهدة السلام مع الداي قد قبلت بالحفاوة والتهاني في أمريكا. لأنها ادت إلى اطلاق سراح الاسرى وامنت التجارة. ولكنها كانت معاهدة مهينة كثيراً (لأمريكا) لأنها قد كلفت كثيراً من النقود ونصت على جزية سنوية».

ونظراً إلى حربها مع بريطانيا سنة ١٨١٢. فإن مدخرات امريكا البحرية قد عانت كثيراً. وعندما عرضت على الداي أن تدفع له النقود بدلاً من المعدات العسكرية. رفض وأعلن الحرب عليها من جديد. ولكنها بعد أن وقعت السلام مع بريطانيا (١٨١٥) ظهرت امريكا بقوة بحرية جيدة، وأرسلت اسطولها أمام مدينة الجزائر لكي يفرض السلام على الداي. وهكذا ابرمت بين الطرفين معاهدة سلام في مدينة الجزائر سنة ١٨١٥. وقد جددت هذه المعاهدة عدة مرات. ومنذئذ اصبحت العلاقات الجزائرية-الأمريكية عادية وبقيت كذلك إلى الاحتلال الفرنسي.

الجزائر وبريطانيا:

أما العلاقات بين الجزائر وبريطانيا العظمى فهي أقدم واكثر تأثيراً من تلك التي كانت بينها وبين أمريكا. ومن جهة اخرى. كانت هذه العلاقات اكثر تعقيداً. لأن كلا من الدولتين كانت قوة بحرية. وليس هدف هذا البحث متابعة كل التفاصيل المتعلقة بالعلاقات الجزائرية البريطانية. ولكن هدفه أن يعطي فكرة عن اهمية الجزائر في هذه الفترة التاريخية. ولا سيا في العقلية الأوروبية.

أن الجزائر قد اقامت علاقات ودية مع بريطانيا حتى قبل مجيء الأتراك في اوائل القرن السادس عشر. فأهمية الجزائر الجغرافية والسياسية والتجارية. قد جعلت بريطانيا وفرنسا تتنافسان بشأنها. ولكن الجزائر قد تعاملت مع كلتيهما واستفادت من هذه المنافسة.

لقد تمتعت بريطانيا بامتيازات خاصة. لم تتمتع بها الا فرنسا منذ عهد لويس الرابع عشر. وعلى أية حال فانه بينما كانت فرنسا. في حرب في أوروبا تحت نابليون. اعطت الجزائر تلك الامتيازات إلى بريطانيا سنة ١٨٠٦. بالمعاملة نفسها التي كانت لفرنسا. وبعد مؤتمر فيينا خرجت بريطانيا منتصرة. وهاجم اسطولها في البحر الأبيض المتوسط الجزائر. دون استشارة الحكومة. لكي يجبر الجزائريين على اطلاق سراح الأسرى البريطانيين والمالطيين الايطاليين. أن معركة الجزائر التي جرت سنة ١٨١٦ مشهورة في تاريخ البحرية. لأن البريطانيين كانوا في تحالف مع هولندا ومع بعض الأساطيل الايطالية. وقد ساومت الجزائر وناورت في هذه الاثناء دون أن تخسر كثيراً. وفي معاهدة (٢٦ آب (اغسطس) ١٨١٧) استرجعت فرنسا امتيازاتها في الجزائر عن طريق المساومة.

وقد استأنف البريطانيون علاقاتهم مع الجزائر وواصلوا تأييدهم القوي لها ضد فرنسا. وبتعاقب الأيام واتتهم فرصة ذهبية حين تصدعت العلاقات الفرنسية الجزائرية في عام ١٨٢٧. قبل ثلاث سنوات من الحملة.

الجزائر والدول الأوروبية الصغيرة:

أما العلاقات بين الجزائر والدول الأوروبية الصغيرة. فقد كانت مختلفة نوعاً ما. فبعض هذه الدول كانت تدفع الجزية إلى الجزائر. بحيث تدفع لها كمية معينة من النقود أو تتعهد بحماية السفن الجزائرية في موانئها لكي تقوم باعمالها التجارية بحرية. وتؤمن خطوط مواصلاتها البحرية. ومن هذه الدول الدانمارك. والسويد وسردينيا. ونابولي. وغيرها. وقد كان هناك على العموم سلام دائم بين الجزائر وهذه الدول. اما المجموعة الاخرى من الدول الاوروبية فتشمل إسبانيا والبرتغال وهولندا. فهذه الدول كانت تدفع الجزية إلى الجزائر في اغلب الأحيان. ولكنها احياناً كانت تدخل في حرب معها بطريقة فردية كما فعلت اسبانيا والبرتغال. أو بطريقة التحالف مع دولة اخرى كما فعلت هولندا. حين دخلت الحرب ضد الجزائر بالتحالف مع بريطانيا العظمى سنة ١٨١٦.

اسبانيا: كانت اسبانيا هي اكثر الدول المغضوب عليها من الجزائريين. فكثير منهم كانوا معروفين «بالمور»: اهالي افريقيا الشمالية الذين عاشوا في

الأندلس عدة قرون والذين طردهم الصليبيون الأسبانيون اثناء وبعد الحكم الاسلامي في اسبانيا. وبالاضافة إلى ذلك فإن الاسبانيين قد طاردوا اولئك المسلمين الفارين في بداية القرن السادس عشر حين احتلوا وهران. وبجاية. وهددوا مدينة الجزائر نفسها.

وعلى أية حال فإن العلاقات الجزائرية الاسبانية لم تصل ابداً إلى درجة التفاهم. وقد فرضت الجزائر شروطاً على اسبانيا حوالي ثلاثة قرون: برغم تدخل بريطانيا العظمى ونابليون. وبرغم المحاولات الاسبانية لمحاصرة الجزائر. بل حتى مهاجمتها بيأس. مثلما وقع في حملة اوريلى سنة ١٧٧٤.

والحق أن بريطانيا العظمى قد قدمت مساعدتها لاسبانيا بخصوص وضع الأخيرة مع الجزائر.

٢ - البرتغال: لم تكن البرتغال تختلف كثيراً عن اسبانيا باستثناء أن الاولى كانت اضعف. واصغر. واكثر تبعية في معظم الاحيان لصديقها أو حليفها. وبهذه الطريقة اضطرت إلى دفع جزية سنوية الى الجزائر. وفي سنة ١٨١٠ كان هناك ٦١٥ برتغاليا سجيناً في الجزائر.

وقد توسطت بريطانيا العظمى فعمدت إلى وضع خطة لتحرير هؤلاء الأسرى. وذلك بأن تدفع البرتغال إلى الجزائر مبلغ ٦٩٠.٣٣٧ دولاراً فدية. وقد نجحت هذه الخطة. فدفعت البرتغال واطلق سراح اسراها. لقد كانت البرتغال «تصارع من أجل وجودها السياسي. وكانت إما تحت رحمة اعدائها الفرنسيين واما تحت السلطة العسكرية لحليفتها (بريطانيا)».

٣ - هولندا: إن العلاقات بين هولندا ودول شمال اوروبا من جهة. وبين الجزائر من جهة اخرى. لها تاريخ سلمي طويل. فقد دفعت تلك الدول جزياتها إلى الجزائر دون خرق للمعاهدات. وقد احترم الجزائريون تلك الدول بعمق نظراً لسياستها السلمية وطابعها الدولي المرموق.

نذكر هنا بعض الاحصاءات التي تبين الموارد التي اتصلت بها الخزينة الجزائرية سنوياً من بعض الدول الأوروبية ولا سيما فرنسا:

- فرنسا (من حق صيد المرجان. واحتكار الصوف، والشمع والجلود): ٧٠،٠٠٠ دولار.

- ملك نابولي ٢٤٠٠٠ دولار
- ملك السويد ٢٤٠٠٠ دولار
- ملك الدانمارك ٢٤٠٠٠ دولار
- ملك البرتغال ٢٤٠٠٠ دولار

الجزائر وفرنسا:

إن العلاقات الفرنسية - الجزائرية كانت قديمة إلى حد يسمح بإقامة صداقة قوية وتعاون دائم. وقد ظهر هذا التعاون والصداقة في شكل امتيازات. وقروض. ومعاهدات سلام بين البلدين. فمنذ أوائل القرن السادس عشر أعطيت امتيازات في الجزائر بممارسة التجارة واستغلال بعض المنافع على الساحل. وقد تولت الشركة الافريقية Compagnie d'Afrique هذه المسؤولية.

واثناء الثورة الفرنسية كادت هذه الصداقة بين البلدين تتوقف، ولكن الجزائر واصلت منح فرنسا مساعدات اقتصادية. وبالأخص النقود والحبوب. وعندما هاجم نابليون مصر اضطرت الجزائر (نظراً لالتزاماتها نحو الباب العالي) أن تعلن الحرب ضد فرنسا. وتحت تأثير وترغيب بريطانيا. بل لعله نظرا إلى تفوق بريطانيا في البحر. جردت الجزائر فرنسا من امتيازاتها على الساحل الجزائري ومنحتها (الامتيازات) إلى بريطانيا. ولكن ذلك لم يدم طويلاً. فقد هاجمت بريطانيا الجزائر سنة ١٨١٦. ونتيجة لهذا الحادث، استرجعت فرنسا في الحال الامتيازات بمعاهدة ١٨١٧. وبعد ثلاث سنوات أصرت الجزائر على أنه يجب على فرنسا أن تجدد المعاهدة لاعادة النظر في طريقة الدفع. وقد توترت العلاقات بين البلدين حتى كادت تنقطع. وكان داي الجزائر يواصل سؤاله للقنصل الفرنسي بخصوص الدين الذي كانت فرنسا مدينة به للجزائر.

وفي ١٨٢٧ وأثناء حفلة دينية. وأمام القناصل الأجنبة والهيئات الدبلوماسية المعتمدة جدد الداي سؤاله إلى القنصل الفرنسي. ولكن جواب الأخير كان غير مهذب، فما كان من الداي إلا أن فقد توازنه وضرب القنصل على وجهه بمروحة من الريش وأمره بمغادرة المكان. وقد اعتبرت فرنسا هذا التصرف من الداي اهانة لشرفها وطالبت بالمبررات والتعويضات. وعندما لم تقتنع بالجواب أعلنت حصاراً كاملاً ضد الجزائر.



الصفعة الشهيرة التي اتخذتها فرنسا مبرراً لاستعمار الجزائر (رسم كوبان).

ولكن هذا الحصار لم يكن فعالاً. وقد دام ثلاث سنوات بدون نتيجة وهنا بدأت فرنسا تعد حملتها العسكرية ضد الجزائر. وفي ١٤ حزيران/يونيو/١٨٣٠ نزلت القوات الفرنسية في الجزائرولكن فرنسا في الحقيقة كانت تعد حملتها ضد الجزائر منذ ما قبل الثورة الفرنسية. فقد اكتشف في الوثائق الفرنسية أن هناك مشروعا غريبا قدم سنة ١٧٢٩ إلى الملك الفرنسي عندئذ بهدف احتلال الجزائر. وفي سنة ١٧٩١ كان هناك مشروع غريب آخر يرمي إلى احتلال الجزائر. ويشير بارسال حملة عسكرية إلى سيدي فرج على الساحل الجزائري. وبعد حوالي ١٧ سنة. ١٨٠٨ أعطى نابوليون نفسه أمراً إلى اميره البحري: ديكرى Decris. لاعداد مشروع لمهاجمة الجزائر وتونس. وفي رسالته إلى هذا الامير ذكّر نابوليون بأهمية الساحل الجزائري وطلب معلومات كاملة عن الجزائر قبل أن يشرع فعلا في احتلالها. وقد اشار نابوليون في رسالته ايضاً إلى الاخطار التي يمكن أن تكون في جزيرتي صقلية ومالطا اذا عزم على احتلال الجزائر.

وعلى اية حال. فإن فرنسا قد استمرت في علاقاتها «العادية» مع الجزائر. وكان هناك تبادل للرسائل بين حكام الجزائر وحكام فرنسا في مختلف المناسبات. ومن بين حكام فرنسا نابوليون الذي طلب من الجزائر في أوائل القرن التاسع عشر أن تحترم رعاياه في ايطاليا. وقد فعلت الجزائر ذلك.

اسباب الحملة

أن الرسميين الفرنسيين لم يذكروا أي سبب يتعلق بالمصاعب الداخلية في بلادهم. ولكنهم كانوا يعلمون أن شعبهم سيطيع ويتحمس اذا تحدثوا اليه عن شرف الأمة الفرنسية الذي اهانه الجزائريون. فرجال الاعمال والتجار كانوا سيهللون لهذه الخطوة لأن الجزائر. كما ادعى الرسميون الفرنسيون. قد صادرت «الممتلكات» الفرنسية على الساحل الجزائري. وقد ظنوا أن مثل هذه النغمة ستجعل هؤلاء يسرعون الى تأييد الحكومة. ومباركة حركتها «العادلة والقومية».

ومن جهة أخرى فإن الجيش الفرنسي بقي مدة طويلة في سلام. فمنذ نابوليون وفترة الاسترجاع التي تلته لم يكن «للجيش الأعظم». أي شيء يعمله. أما أوروبا عامة فقد كانت في سلام تحت الحكومات الرجعية لمترنيخ. وليفربول. والاسكندر الاول. ثم بالطبع شارل العاشر. وبدلا من أن يتحرك الجيش

ويتقدم نحو باريس لأسقاط النظام وتأييد الليبراليين. دبر شارل العاشر إرسال الجيش إلى طولون استعداداً «للمعركة المجيدة» على الساحل الآخر من البحر الأبيض المتوسط.

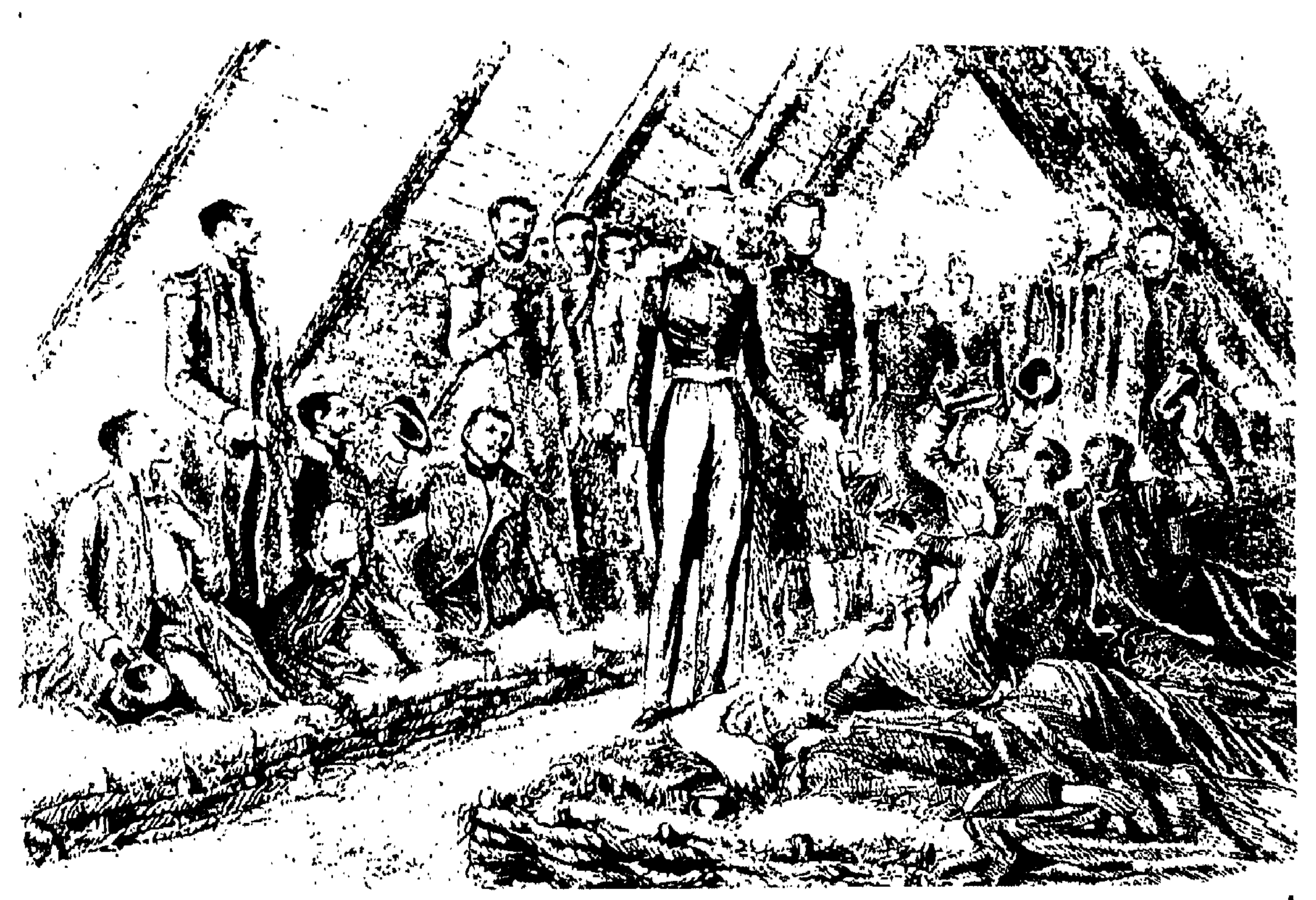
ولكن ماذا عن بريطانيا العظمى واوروبا كلها؟ هل أخذ الرسميون الفرنسيون ذلك في الاعتبار قبل أن يبادروا إلى تنظيم الحملة؟ نعم لقد فعلوا واختلقوا اسباباً ومبررات. فقد قالوا إن الجزائر لم تطع أمر المبعوثين البريطانيين والفرنسيين بالغاء نظام الرق. وقالوا أيضاً بأنها قد استرقت ضباطا كانوا قد اسروا على بواخر تحمل علم روما التي كانت عندئذ تحت الحماية الفرنسية.. الخ.

غير أن بريطانيا لم تكن مقتنعة بهذه الادعاءات. وأصرت على أنه يجب على فرنسا أن تقدم تفسيرات وافية حول مصير الجزائر إذا نجحت الحملة. وقد رد ملك فرنسا شارل العاشر على السفير البريطاني في باريس. عن طريق رئيس وزرائه دي بولنياك (De Polignac). إنه اذا نجحت الحملة فإن فرنسا ستتشاور مع حلفائها. ولكن شارل العاشر قد اضاف على لسان رئيس وزرائه بأن احتلال الجزائر في حد ذاته يجب أن يباركه كل المسيحيين وكل العالم المتحضر.

وقد جاء في كلامه: «اذا كان في الصراع الذي اوشك أن يبدأ نتيجة هامة فإن الملك في تلك الحالة سيأخذ في الاعتبار اهمية هذه المسألة لإقرار ما يجب أن تكون عليه الاشياء امام الوضع الجديد. والتي يجب أن تسجل اكبر ربح للمسيحية.»

أما جريدة «لومنيتور» « Le moniteur ». شبه الرسمية. فقد نشرت اهم النقط التي اعتبرتها فرنسا العناصر الأساسية التي ادت إلى حملتها ضد الجزائر. وبناء على هذه الجريدة فإن اسباب الحملة هي ما يلي:

١ - لقد استرجعت فرنسا. بمقتضى معاهدة ١٨١٧. ممتلكاتها لبعض المؤسسات التجارية التي توقف استعمالها اثناء الثورة. ولكن الداي قرر أنه لا يسمح بامتيازات لفرنسا لا تتمتع بها الدول الاخرى. ولذلك هدم كل الحصون والمؤسسات وتوابعها التي كانت لفرنسا.



أحد القادة الفرنسيين يزور جرحاه (رسم رافيه).

٢ – وبمقتضى نفس المعاهدة كان لفرنسا امتياز صيد المرجان على الساحل الجزائري بشرط أن تدفع هي ٦٠ الف فرنك سنوياً مقابل ذلك. وبعد سنتين من المعاهدة طلب الداي من الفرنسيين ٢٠٠ الف فرنك ففعلوا. وفي سنة ١٨٢٦ أصدر الداي قراراً يمنح بمقتضاه الحرية لكل الدول في صيد المرجان.

٣ – وفي سنة ١٨١٤ اجبر القنصل الفرنسي. ديبوى ثانفيل (D.Thainveille). على مغادرة مدينة الجزائر لأنه رفض أن يعوض بعض الجزائريين عما اقرضوه لبعض الرعايا الفرنسيين قبل أن يستشير حكومته.

٤ – أن الداي قد رفض أن يعطي إجابات مرضية على حجز الباخرة الفرنسية لافورتون La Fortune. في عنابة. والاستيلاء عليها.

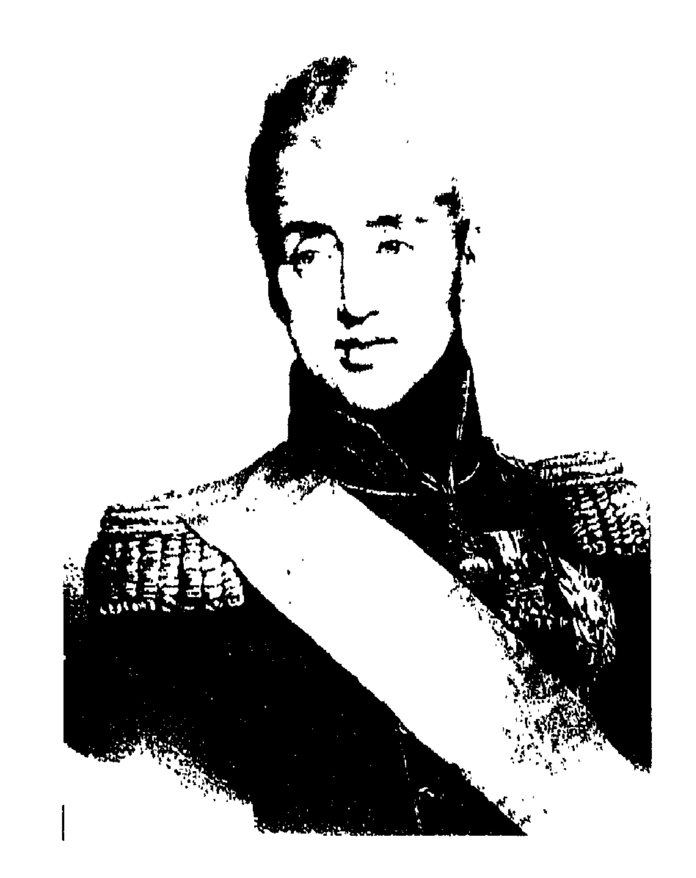
٥ – في سنة ١٨١٨ اجاب الداي كلا من امير البحر البريطاني والفرنسي بأنه سيواصل نظام الاسترقاق ضد رعايا الدول التي لم توقع معاهدات معها.

٦ – وفي سنتي ١٨٢٦ و١٨٢٧ كان هناك خرق للمعاهدات من جانب الداي. فهناك بواخر ترفع علم روما قد هوجمت رغم أنها كانت تحت الحماية الفرنسية. كما أن هناك بواخر فرنسية نهبت وارغم ربابنتها على أن يصعدوا بواخر «القراصنة الجزائريين» بهدف الاستظهار بأوراقهم.

٧ – تصرف الداي نحو يهوديين. فبناء على اتفاقية ١٨١٨ كان اليهوديان سيعوضان. مع الاحتفاظ ببعض النقود لإجابة مطالب بعض الفرنسيين ضدهما. ولكن الداي طلب أن يدفع اليه شخصياً كل القرض الذي يصل إلى (٧٠٠.٠٠٠ فرنك). وان على الرعايا الفرنسيين أن يلتجئوا إلى الحكومة الجزائرية للإجابة إلى مطالبهم. وقد اضاف إلى هذا الموقف الذي يثير السخط (إشارة إلى ضرب الداي للقنصل الفرنسي) تهديم المؤسسات الفرنسية. لذلك اصبح حصار مدينة الجزائر. أمراً لا مناص منه. وبعد أن كلف هذا الحصار فرنسا حوالي ٢٠ مليوناً من الفرنكات حاولت فرنسا في تموز (يوليو) ١٨٢٩ أن تفتح المفاوضات ولكنها فشلت. وقد وصف البيان الفرنسي هذا الموقف من الداي بأنه قد جعل كل محاولة اخرى للتفاهم من



القتال في قسنطينة (رسم رافيه).



شارل العاشر ملك فرنسا



الأمير دو بولينياك

جانب فرنسا غير متناسبة مع شرف الأمة.

والواضح أن ما نشرته جريدة «لومينتور» قد استعمل النغمة نفسها التي استعملها هتلر قبل أن يهجم على ضحيته: الاهتمام بخرق المعاهدات، والادعاء بامتلاك بعض المؤسسات والممتلكات في بلد اجنبي. واهانة شرف الأمة، وغير ذلك.

وقد قدر المؤرخ الفرنسي ارسن برتاي (A.Berteuil)، مؤلف كتاب «الجزائر الفرنسية» أن فرنسا قد خسرت حوالي ٧ ملايين فرنك نتيجة للحصار وانها تعتبر نفسها صاحبة الحق في الممتلكات التي اسستها منذ القرن الخامس عشر. ولكن اكثر من ذلك اهمية هو أن المؤلف قد ذكر احد الأسباب التي اشير اليها في البيان الفرنسي، وهو: غيرة فرنسا من انكلترا لأن الداي قد اعطى الحقوق التجارية إلى التجار الانكليز. فهذا التصرف، بناء على رأيه، قد اغضب فرنسا بالطبع.

* دكتور أبو القاسم، سعد الله جزائري، وقد وضع هذا البحث باللغة الانجليزية أساسا، كجزء من اطروحته في دراسته العليا.



● ليس صحيحاً ان هناك مستعمرين صالحين وآخرين اشرارا، هناك مستعمرون وحسب.

سارتر

نساء شهيرات



• سيدة أخرى من السيدات العظيمات المجهولات . وقد كانت بحبها العذري الغريب وحنانها الدافق صاحبة اليد الطولى في إظهار عبقرية موسيقار عظيم هو « بيتر تشايكوفسكي » .

• كانت « ناجده » أرملة على جانب كبير من الثراء . وكانت في الوقت نفسه رائعة الجمال . ولكنها كانت عفيفة تعتز بسمعتها وشرفها اعتزازاً لا حد له . وقد أعجبت بموسيقى « تشايكوفسكي » حينما سمعته يعزف في إحدى الحفلات .

• علمت الأرملة الثرية الحسناء أن الموسيقار الشاب يعاني من الفقر والوحدة فآلت على نفسها أن تشق للطريق أمام عبقريته فرتبت له إيراداً مالياً ثابتاً وأثثت له شقة فاخرة مريحة زودتها بكل ما يلزم الفنان وصارت تسهر على راحته والعناية به دون أن تسمح له حتى بالضغط على يدها .

• أحبها « تشايكوفسكي » حباً جنونياً . وعرض عليها الزواج . ولكنها رفضت في لطف وإصرار وأفهمته أنها تحب فنه وموسيقاه . وأن حبها لشخصه هو حب عذري وأنها تعامله كأنه ابنها تماماً !

• أراد « تشايكوفسكي » أن يشعل نيران الغيرة في قلب الأرملة الحسناء فأنشأ علاقة حب بينه وبين حسناء تدعى « انطوانيت إيفانوفا » وصار يدعوها إلى الشقة التي أثثتها له « ناجدة » ولكن هذه الأخيرة كانت تعاملها كأنها ابنتها وتوصيها بأن تسعد الموسيقار .

• تزوج « تشايكوفسكي » من « انطوانيت » التي ابتدأت تشعر بالغيرة من « ناجده » ولم تصدق قصة الحب العذري هذا فقلبت حياة الموسيقار إلى جحيم وأهانت « ناجده » إهانة بالغة فاضطرت الأرملة إلى قطع علاقتها بالموسيقار وسافرت إلى مكان مجهول .

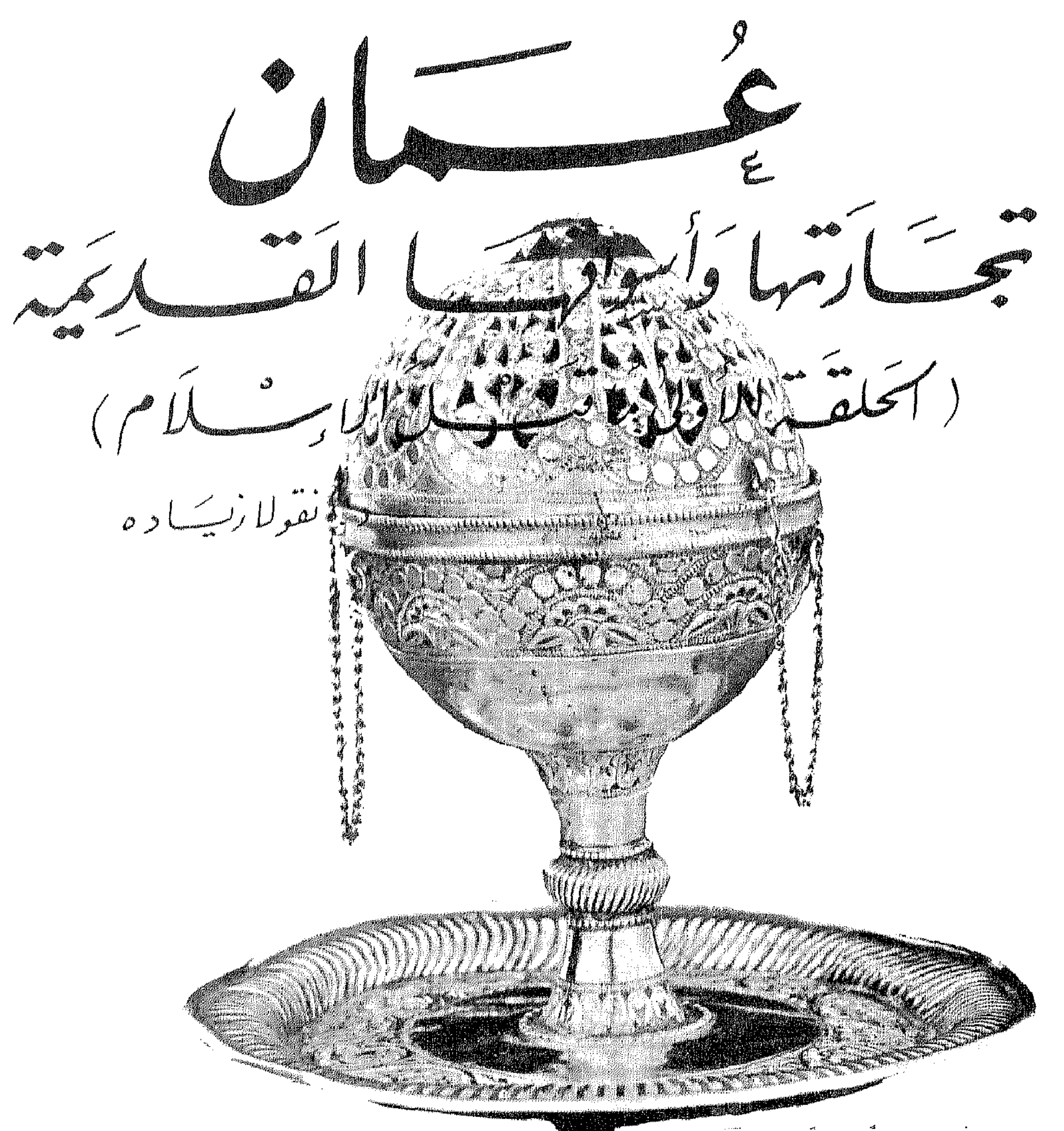
• انفصل « تشايكوفسكي » عن زوجته التي لم تفهم رسالة الزوجة نحو زوجها الفنان وطفق يبحث عن الأرملة قانعاً بحبها العذري . ولكنه لم يعثر عليها فمرض ومات حزيناً في عام ١٨٩٣ . ولما سمعت الأرملة بموته هدها الحزن ورقدت رقدتها الأخيرة ولحقت به بعد أيام وجيزة كانت « ناجده » هي الوحي الملهم لأعظم مؤلفات « تشايكوفسكي » الموسيقية .

عُمان

تجارتها وأسواقها القديمة

(الحلقة الأولى: قبل الإسلام)

نقولا زيادة



● تعتبر عُمان مركزاً هاماً بالنسبة للطرق التجارية التي تمرّ بها. فالخليج العربي وشطآنه كانت عبر التاريخ تبيع وتشتري، وكذلك شواطئ المحيط الهندي بتفرعاته شرقاً وغرباً وجنوباً. يُضاف الى ذلك ان عُمان نفسها لم يكن يعوزها ما تصدّره في فترات مختلفة من تاريخها، الذي لم يكشف النقاب إلاّ عن القليل منه، وبخاصة التاريخ المتوغل في القدم.

ونحن إذا تعلقنا بأهداب الاسطورة التي تقول بأن حيواناً نصفه الأعلى انسان ونصفه الاسفل سمكة هو الذي حمل المدينة الى جنوب أرض الرافدين، فلا شك في أن هذا الحيوان قد عرّج في طريقه، إما جيئة أو ذهابا، على هذا الساحل العماني إما ليريح أو ليتزود. وعندها يكون لعُمان من الاسطورة الحضارية نصيب، أو يكون للاسطورة من عُمان نصيب.

وحتى لو انتقلنا من عالم الاسطورة الى عالم الفرضيات لكان لنا شيء كثير قد يُكشف عنه النقاب في المستقبل. فهناك من رجال البحث الأثري والتاريخي من يرى ان قيام الحضارة المصرية الفرعونية متأثر بالحضارة التي سبقتها في ارض الرافدين، وان هذا التأثر انتقل بحراً عن طريق الخليج العربي فخليج عُمان فالبحر الاحمر. ولو صح قليل من هذا فلا بدّ ان يكون لعُمان وشاطئها الطويل حظ من هذه التأثيرات الحضارية. ذلك ان الحضارات لا تنتقل على بساط الريح، وانما تسير سيراً وئيداً وتقيّل هنا وتشتو هناك، وقد تكون المدة التي تقيلها أو تشتوها عقوداً او أكثر من ذلك. بل ثمة من يقول بان التأثير السومري في الحضارة المصرية القديمة قد تم في مكان قد يقع على الطريق. وعندها تكون البلاد العمانية هي المرشحة لأن تكون المكان.

ولكن لنترك عالمي الاسطورة والفرضيات، ولننتقل الى عالَم فيه تأكيد لأنه نتيجة عمل دقيق هو اكتشاف الآجرات وحل رموز الكتابات القديمة ودرس محتويات هذه الآجرات. ولنسرع إلى القول بأن هذه الآجرات تعد بالمئات إن لم تكن تتجاوز الألوف في بعض الحالات. ثم هناك أعمال الحفر الأثري التي تمت في السنوات الأخيرة في نقاط كثيرة من شواطئ الخليجين العربي والعماني وبحر العرب.

إلاّ أنني قبل الانتقال إلى عالم العلم والمعرفة، أودّ أن أضع ملاحظتين: الأولى هي انني في بعض الأحيان قد أتخطى في اشارتي إلى عُمان حدود سلطنة عمان الحالية. وسبب ذلك هو أنه عبر عصور التاريخ، والقديم منه بخاصة، لم تكن الحدود معينة ثابتة. لذلك فقد يعثر الواحد في وقت ما بالنسبة إلى وقت آخر. أما الملاحظة الثانية فتتعلق بالأسواق. ذلك أن التجارة الدولية، عندما تتسع على نحو ما كانت في بعض العصور التي سنتحدّث عنها، لا تقتصر أسواق بلد معين على ما يقع في نطاق حدود البلد. إنما تكون الأسواق حيث يمكن لتجارهِ أن يبيعوا وأن يشتروا المتاجر والبضائع للاتجار بها.

ان الحضارات الثلاث التي عرفها العالم القديم هي التي قامت في أرض الرافدين وفي وادي النيل وفي حوض السند. وقد كان بين هذه المناطق تجارات واسعة، اتضح نتيجة للتنقيب الاثري والدراسات الآجرية السومرية والبابلية، انها تلخص فيما يلي (طبعاً هذا فيما يتعلق بموضوعنا).

أولاً — ان بلاد ماغان أو ماكان كانت تصدر النحاس إلى أرض الرافدين. فالمدن هنا كانت لها حاجات صناعية، لكن المعادن كانت مفقودة. وقد حملت من أماكن أخرى، منها ماغان. وماغان هذه هي عُمان! ويبدو أن بعض النحاس العماني قد حمل شرقاً إلى الهند.

ثانياً — ثمة نقش يعود إلى سنة ٢٥٢٠ ق.م. من أيام أور — نانشي ملك لاغاش (في جنوب أرض الرافدين) مسجل فيه أن سفنَ دِلمون حملت إليه خشباً من بلادٍ نائية. والأخشاب كانت تحمل إما من الهند أو من شرق افريقية. وهذه الأخشاب طريقها يمر بعمان.



عامل عماني يعمل في الصناعات التقليدية

ثالثاً — ظهرت آجرات سومرية وبابلية عليها فواتير ومراسلات تجارية فيها ذكر لدلمون وماغان مع ذكر المواد التجارية المنقولة من بعيد. منها، على سبيل المثال، آجرات التاجر الكبير أيَا — ناصِر (بين سنتي ١٨١٣ و ١٧٩٠ ق.م.).

وكانت لمصر القديمة تجارات واسعة في مناطق يشار إليها باسم بون اوبونت، ومع أن الباحثين لم يتفقوا بعد على المكان الذي تقع فيه بونت هذه. فان الرأي المرجح الآن هو انها كانت تشمل المنطقة التي تحيط بباب المندب وامتداداته في جنوب الجزيرة العربية وشرق افريقية.

ونلاحظ ان الفينيقيين أصبحوا أصحاب التجارة في البحر الأحمر وخارجه بين تدهور المملكة المصرية من جهة، وقيام الامبراطوريتين الاشورية والكلدانية في أرض الرافدين من جهة اخرى. وهذه الامبراطوريات كانت برية أصلاً، فانصرفت عنايتها إلى الطرق البرية.

لكن مما لا يختلف فيه الباحثون هو أن عدداً كبيراً من التجار وأصحاب المراكب وصنّاع القوارب كانوا من سكان الشواطئ العربية، والجنوبية بشكل خاص. فلما انحسرت التجارة البابلية والمصرية والفينيقية عن المنطقة، أصبحت التجارة في المحيط الهندي الشمالي حكراً على العرب. وقد احتفظوا بمعرفتهم سراً مدة طويلة. ويبدو ان البخور بنوعيه اللبان والمر والطيوب والأفاويه والحجارة الكريمة كانت تنقل على أيديهم.

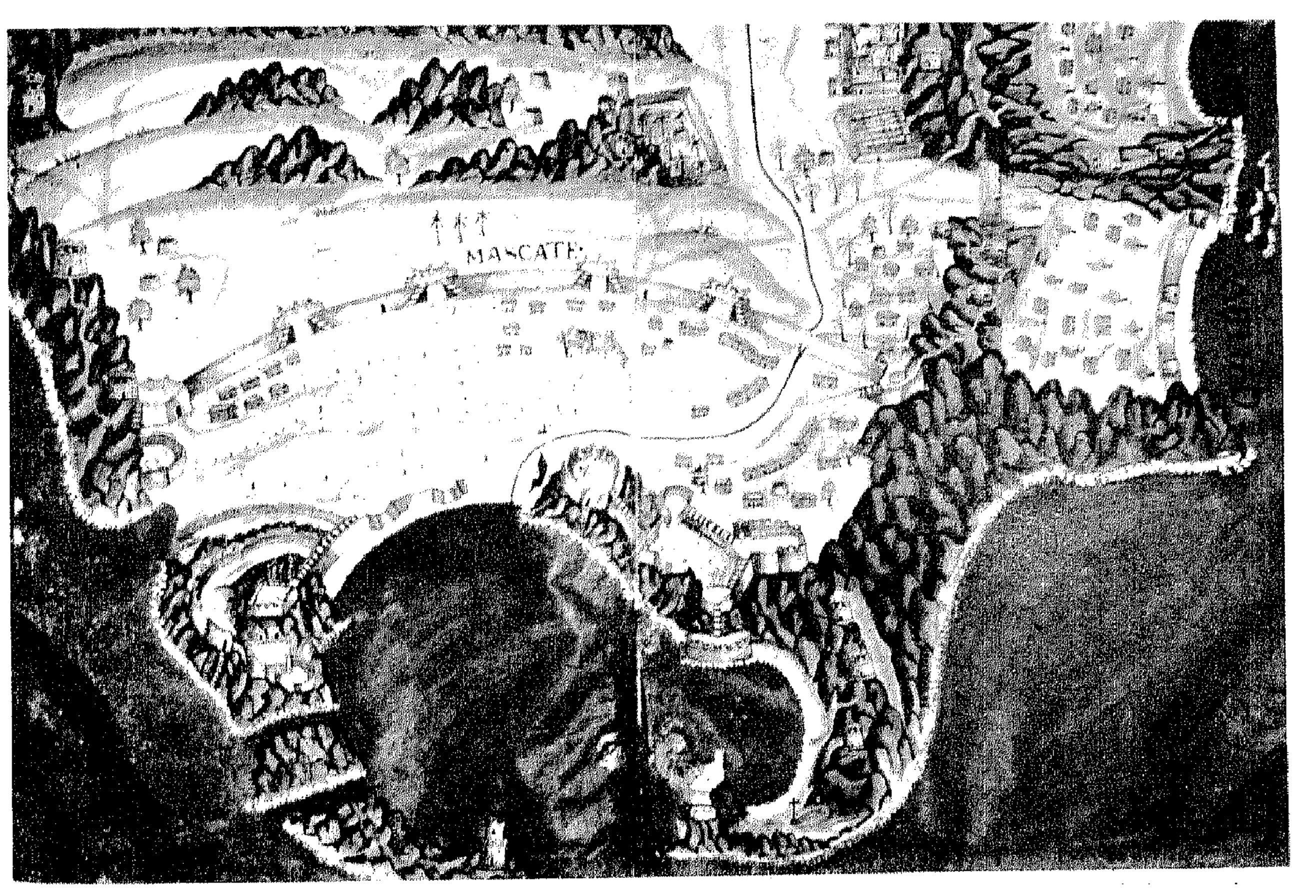
وكانت عدن وقنا وجزيرة سوقطرى الموانئ المعروفة. ولعل صور العمانية كانت أحد المراكز التجارية في ذلك الزمن.

وصف الجغرافيين القدماء

لقد خلف لنا المؤلفون الجغرافيون الكلاسيكيون، أي المؤلفون اليونان والرومان، من هيرودتس إلى سترابو، معلومات كثيرة عن الجزيرة العربية بما في ذلك الخليج العربي وخليج عمان. لكن هذه المعلومات كانت، في أكثرها، مما نقل سماعاً. ومع أن فضل هؤلاء الكتاب على المعرفة الجغرافية بعامة كان كبيراً، فان الامور الدقيقة منها كانت قليلة بالنسبة إلى المنطقة التي نتحدّث عنها. صحيح أنهم تحدثوا عن اللبان والمر والطيوب وتجارتها وأمكنة تجمعها. إلاّ اننا يجب أن نذكر أنهم بالغوا أحياناً، وضموا بعض الأساطير إلى بعضها أحياناً اخرى.

على اننا نجد عند سترابو، الذي نقل عن اراتوسيتنس الاسكندري، إنه إلى الشرق من حضرموت، وعلى بعد خمسة آلاف ستاديون، أي ما يعادل تسعمائة كيلومتر، توجد بلاد القرفة والقصيعة (Kassia). هذه البلاد المشار إليها، إذا قابلها الواحد منا بما ورد فيما بعد عند جغرافيي العرب مثلاً، وجد أنها عُمان. إلاّ أن تسمية تلك البلاد ببلاد القرفة والقصيعة خطأ بمعنى إنتاج القرفة والقصيعة. لكن إذا فهمنا من ذلك الاتجار بهاتين المادتين صح الأمر. ويذكر سترابو ميناءين في جنوب شرق الجزيرة العربية هما ماكي (Makae) وتيروس (Tyros). ومن المرجح ان المكانين هما رأس الخيمة وصور، فإذا صح ذلك فلعل صور العمانية كانت من مراكز الاتجار بالقرفة والقصيعة وغيرهما من الطيوب والأفاويه. وحري بالذكر ان اللبان الظُفاري، وهو أجود أنواع البخور، كان ينقل من ظُفار شرقاً وغرباً بحراً، كما كان يحمل في طريقين بريين الواحد عبر اليمن إلى الحجاز، والآخر كان يدور بالربع الخالي قليلاً حتى يصل إلى جرها، ولعلها الجرعاء في شرق المملكة العربية السعودية، حيث كان يحمل منها بحراً إلى أرض الرافدين.

على أن معلوماتنا الجغرافية عن الخليج العربي في العصر اليوناني جاءت من نيارخوس، وهو البحري



خريطة مسقط كما رسمها البرتغاليون سنة ١٦٤٢ (المتحف البريطاني).

الذي أرسله الاسكندر من حوض السند إلى جنوب أرض الرافدين ليكتشف الشواطئ المحاذية للمحيط الهندي وخليج عمان والخليج العربي على الجبهة الشرقية. ومع أن الاسكندر أرسل فيما بعد ثلاث بعثات اخرى للتعرف إلى الشواطئ الغربية للخليج العربي وبقية شواطئ الجزيرة إلى مداخل البحر الأحمر، فان أياً من هذه لم تحقق ما طلب منها: فقد وصلت أولاها إلى البحرين والثانية لعلها وصلت إلى ابو ظبي. واما الثالثة فتجاوزت رأس مسندم بعض الشيء. وقد توقفت محاولات الكشوف الجغرافية هذه بوفاة الاسكندر. ومع أن خلفاءَه في بلاد الشام وأرض الرافدين، أي السلاقسة، قد اهتموا بتجارة الخليج العربي فان المعلومات الجغرافية لم يعن بها. ولكن من المعروف أنه في القرن الأول قبل الميلاد كان ثمة تجار يونانيون من مصر يعملون بالتجارة في المحيط الهندي الغربي، وأنهم كانوا يتاجرون مع جزيرة سوقطرى ومع مكان يسمونه أسيلا. ويبدو أن أسيلا هذه هي قلهات أو على الأقل كانت تقوم هناك.

في القرن الأول ق.م.، قام هيبالوس. وهو تاجر وملاح يوناني كان يقيم في مصر، بالتأكد من هبوب الرياح الموسمية واتجاهها. فالرجل كان يعرف أخبار البحر الأحمر وبحر العرب والخليجين وشمال المحيط الهندي؛ ثم إنه خبر البلاد وعرفها بسبب تنقله فيها متاجراً. فأراد أن يتأكد من إمكان الاستفادة من هبوب هذه الرياح لدفع السفن عبر المحيط دون الاضطرار إلى السير في محاذاة شاطئ إيران وكرمان وما إلى ذلك. لذلك فانه جازف في إحدى رحلاته. فقد خرج من عدن ولما وصل مقابل رأس فَرْتَك دفع بسفينته عبر بحر العرب مفيداً من الرياح الموسمية الصيفية. فوصلت السفينة رأساً إلى مصب نهر السند.

كان هذا فتحاً هاماً بالنسبة للتجارة البحرية. وكانت السفن آنذاك قد كبر حجمها واستعمل لها الشراع الكبير المربع في كثير من الحالات. ونحسب ان معنى هذا، بالنسبة إلى عمان، ان الموانئ الممتدة على شواطئها صارت نقط انطلاق للسفن، وخاصة الموانئ الواقعة في الطرف الجنوبي الشرقي من البلاد.

إن الباحث في تاريخ التجارة وطرقها ومتاجرها وأماكن تبادل السلع يسعده أن يقع على وثيقة، مهما كان نوعها، توضح له بعض ما كان يدور في مكان ما في وقت من الأوقات. لذلك فالوثيقة المعروفة باسم دليل البحر الإرثيري، حرية باهتمامنا هنا. هذا الكتيب وضعه مؤلف مجهول، لكن من الواضح أنه كان تاجراً عارفاً بأسرار الصناعة. يذكر المؤلف الموانئ الهامة والمراكز البحرية الثانوية والمدن والأسواق الداخلية التي تغذيها ويعدد التجارات التي تقوم في كل من هذه الأسواق.

والمنطقة التي نعني بها الساعة. وهي التي تشرف على خليج عمان وتجاور الخليج العربي وجنوب الجزيرة ذكر فيها صاحب هذا الدليل: البخور بنوعيه اللبان والمر، والذَبَل وهو غلاف السلاحف، والخمور من التمر والعنب، والكحل والمرمر والمرجان واللؤلؤ والقوارب المخيطة. أما الموانئ التي يعنى بها ويورد أسماءها فهي قنا (حصن الغراب) وموشا (خور ريوي) وظُفار وسوقطرى وجزر زنوبيا (خوريا موريا) وخور جرمة وخور هجارة (الجوهري؟).

تجارة هذه الموانئ في جملتها كانت تدور حول استيراد القمح والأرز والثياب والأردية والنحاس والقصدير والأخشاب. وكانت تصدر من المنتوجات الخاصة بها اللبان والذهب واللؤلؤ وغيرها من الحجارة الكريمة والذبل البحري. بالاضافة إلى هذه المتاجر. كانت الموانئ المذكورة تصل إليها بضائع الهند الاخرى الكثيرة وأهمها الأخشاب وزيت السيرج والدهن الهندي والماس والسكر والياقوت والأواني الفخارية والأفاويه والطيوب والقرفة. وكانت تتلقى العاج وقرن وحيد القرن والرقيق من شرق افريقية.

ويذكر صاحب الدليل أن عُمان فيها سفن مخيطة يسميها مدراقاً ويبدو أن هذه الكلمة مأخوذة من «مدرعة». وهو الاسم الذي أطلق على هذه السفن. ويشير إلى التمر الكثير والخمر هناك. ومدينة عمان بالذات –وهنا يستعمل هو التعبير بمعنى المدينة الرئيسية، على نحو ما نجد عند بعض من جاء بعده من الجغرافيين– كانت متجراً كبيراً. إذ كان يأتيها النحاس وعود الند وخشب التيك وخشب الأبنوس وهذه من الهند، واللبان من قنا (للتصدير). وكانت هي بدورها تصدر ما عندها مثل القوارب والسفن والثياب وما يأتيها من خارجها مثل اللؤلؤ والذهب والرقيق. إن نظرةً سريعةً إلى هذه المتاجر ومصادرها تؤكد لنا أن أسواق عمان في تلك الفترة من تاريخها

كانت تنتشر شرقاً وشمالاً وغرباً وجنوباً.

كان اكتشاف هيبالوس لمهاب الريح الموسمية والافادة منها قد تمَّ قبيل وصول الرومان في فتوحهم إلى شرق البحر المتوسط. ونشوء الامبراطورية الرومانية وحدة سياسية تمتد من أطرافها الأوروبية إلى مجاليها الآسيوي والافريقي، كان أمراً هاماً بالنسبة للتطور التجاري في المحيط الهندي. فالمجتمع الروماني – في مدنه وعواصم أقاليمه، وفي بيوت الأثرياء من أهله، وفي معابده وهياكله وفي ملاهيه ومباذله– كان بحاجة إلى الكثير مما تنتجه البلاد العربية وشرق افريقية والهند. وكانت ثروة الامبراطورية تمكنها من الدفع. فأفادت المدن التي كان يتبادل التجار فيها السلع. وقد دفعت رومة وأمبراطوريتها الكثير من الفضة والذهب ثمناً لما استوردته حتى ضج الكثيرون من ذلك في القرن الأول للميلاد. فقد استوردت الامبراطورية في فترة قصيرة من ذلك القرن بما قيمته اثنان وعشرون مليون دولار ذهباً!

التجارة مع الهند والصين

نحن الآن مقبلون على الفترة التي سيطر فيها الساسانيون على جنوب غرب آسية، والتي كان فيها البيزنطيون يزاحمونهم تجارياً وسياسياً. أي ان هذه الفترة تمتد من سنة ٢٢٥م إلى الانتصار العربي الاسلامي على الدولة الساسانية والقضاء عليها نهائياً في أواسط القرن السابع الميلادي. أما بالنسبة للدولة البيزنطية فالزمن يمتد من العقد الثالث من القرن الرابع إلى الفتح العربي الاسلامي الذي انتزع من البيزنطيين بلاد الشام ومصر. على أنه يترتب علينا، ونحن نعالج التجارة الدولية في تلك الفترة، أن نتذكر أن الصين انتهى حكم اسرة هان فيها سنة ٢٢١م، أي حول الوقت الذي قامت فيه الدولة الساسانية، وجاء في أعقابها «الدول الثلاث»، ثم قيام دولة تسن ودولة سوي بين سنتي ٢٢١ و٦١٨م.

نودّ أن نذكر أنفسنا بأن الصين، والجزء الشمالي منها بشكل خاص، كان قد تعرف إلى المتاجر التي تنتج في جنوب غرب آسية منذ أيام الامبراطورية الفارسية الأولى، واستمرت هذه التجارة حتى في أيام الامبراطورية الرومانية. ومع أن الصين أصابتها نكبات سياسية كبيرة، فان الصين الجنوبية، التي انتقلت إليها رغبات الشماليين الحضارية، كانت في القرن الثالث الميلادي كثيرة الاحتفال بالحصول على هذه الكماليات التي كانت منطقة غرب آسية توفرها لمن يريدها.

وكانت الدولة الساسانية تسيطر على طريق الحرير البري، عندما يكون الاتصال مع الصين، عبر أواسط آسية، ممكناً. إلاّ أن هذا الطريق البري لم يكن متيسراً في القرنين الرابع والخامس، وحتى في بعض القرن السادس للميلاد. ومن هنا فاننا نجد أن الصين كانت، في القرنين الرابع والخامس، تتصل بالغرب عن طريق فونان، عبر شبه جزيرة الملايو، لتتمكن من الحصول على منتوجات غرب آسية. ولكن بعد سنة ٥٠٠ للميلاد كان ثمة اتصال مباشر بين الصين واندونيسيا من جهة والهند والامبراطورية الساسانية من جهة اخرى.

في هذه الفترة كانت جزيرة سرنديب، (سيلان)، أو كما كانت تسمى يومها جزيرة طبروباني، المركز الرئيسي للتجارة بين الشرق والغرب.

وهنا أمر حري بالذكر، وهو أن المصادر الشرقية، والصينية منها بشكل خاص، كانت تنظر إلى المتاجر الآتية من الغرب على أنها متاجر فارسية. وهذا لا يتفق مع الواقع. لكن لأن الدولة المسيطرة، أي الدولة الساسانية، كانت فارسية، فسمي كل ما جاء من الغرب إلى الهند أو سيلان، فارسياً. ولكن الحقيقة هي أن العرب بقي لهم دور كبير في التجارة البحرية. وإلاّ فكيف يمكن أن نفسر قيام أهل عُمان بحملات بحرية بعيد اعتناقهم الاسلام ضد المناطق الشرقية من الخليج لو لم يكونوا قد احتفظوا بتمرسهم بالبحر وما يقتضيه؟ ومن هنا، كما يرى جورج حوراني، فان عُمان، مثل البحرين، كان لها مراسٍ بحريةٌ ومساهمةٌ في تجارة المنطقة كبيرة.

في هذه الفترة، وخاصة في القرن السادس، كانت الصين تحصل، من بلاد الامبراطورية الساسانية، على البخور والطيوب والصموغ والثياب الموشاة الغالية والعنبر واللؤلؤ والحجارة الثمينة. وكان المرجان ينقل من حوض البحر المتوسط. وكانت تورد إلى مناطق تلك الامبراطورية الحرير قماشاً وثياباًوالَيشْب. كما كانت الهند تصدر إلى الغرب الأخشاب والأفاويه والطيوب. والذي يجب أن يذكر أن اليمن وموانيها لم يكن لها دور كبير، وذلك بسبب الانهيار الاقتصادي الذي أصابها نتيجة للاضطراب في توزيع المياه وخاصة بسبب خراب سد مأرب ●

لبناننا اليوم ... لبنان أبدي

حُب - أصالة - طبيعة - ثقافة - تطوّر
ومسيرة حضارية ماضية إلى الخلود

تعرف إليه من خلال برنامج

مِنْ لُبنان

اخراج: سيمون أسمر   تقديم: صونيا بيروتي

كل يوم ثلاثاء الساعة ٧,٣٠ مساء،
ابتداء من أول أيار
على شاشة تلفزيون لبنان،
الاقنية ٥ - ٧ و ١١

ترعاه

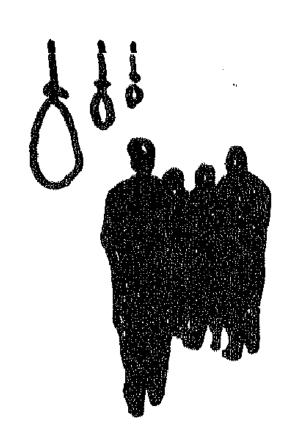
الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ش.م.ل.

"من لبنان" برنامج ترفيهي اعلامي بشكل مباراة بين فريقين تتمثل فيه جميع محافظات لبنان، يخول جميع المشتركين الفوز بجوائز قيمة تزيد على ٢٥ الف ليرة

مواضيع الاسئلة التي ستطرح على المتبارين تتعلق بمقالات معينة عن لبنان ستنشر في جميع الصحف والمجلات التي توزعها الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات ش.م.ل.

للراغبين في الاشتراك بحلقات "من لبنان" الاتصال بالسيدة صونيا بيروتي
شركة تلفزيون لبنان القناة ٧ - تلة الخياط - هاتف ٣٠٠٣٦٠ من الساعة ١٠ حتى ٢ ظهر كل يوم

publirizk



شهداء ٦ ايار ابطال الوطنية والعدالة

هذا الموضوع مرشح لبرنامج من لبنان

محمد امين فرشوخ ○

● ان ذكرى شهداء ٦ أيار (مايو) ١٩١٦ نستعيدها كل سنة بما يناسبها من جلال واحترام، مقترين في احتفالاتنا بها عِظم الفداء وقداسة الشهادة. ومهما دبّجت الأقلام من مثالب بحق من علّقهم السفاح على مشانق بيروت ودمشق. يبقون رمز السياسة الوطنية، بدعوتهم الى اللامركزية. ورمز القومية العربية بدعوتهم الى الاستقلالية المتحدة في ظل الترك. ورمز التقدير للدين الاسلامي والرابطة المصلحية المشتركة في تناسيهم لأغراضهم الانفصالية بدعوتهم للاشتراك الى جانب السلطة في حربها ضد الحلفاء. متجاهلين الأذى المباشر الذي أصاب الامة وأصابهم من موجة التتريك التي شنّها الاتحاديون ضد العرب كافة.

صفحات من كتاب منّسي(١)

«في أواخر سنة ١٩٠٩ دعا بعض ضباط العرب وزعمائهم أصحاب الرأي من أعضاء جمعية الاتحاد والترقي الى اجتماع طويل في الاستانة للبحث في التدابير التي يجب اتخاذها لحسم هذا الخلاف بين العرب والترك حسماً نهائياً. وكاد هذا الاجتماع يُسفر عن نتيجة مرضية لولا دخول بعض غلاة الترك في الأمر ونفوهم بما يمس العرب ويزيد نفورهم منهم ويقضي على آمالهم فيهم...

على انه لما استتب الأمر للاتحاديين ورأوا نفوذهم في البلاد العثمانية عظيماً. أماطوا اللثام عن حقيقة حالهم فأعلنوا خطتهم الجديدة على رؤوس الأشهاد وعدّلوا برنامج جمعيتهم تعديلاً جعلها تركية بحتة. فانفصل عنها حينئذ كل احرار العرب والالبانيين والأرمن وبعض الترك الغيورين على مصلحة وطنهم وجاهروا بمقاومتها بعدما استلم زمامها شبان من غلاة الترك لاخبرة لهم ولا وطنية ولا دين» (ص ٥٥).

كلمات الابطال

أما البداية، بداية حرب الاتحاديين العرب والتي استمرت منذ ١٩١٣ سافرة. حتى وضعت الحرب أوزارها وانتهت بخسارة الترك وانسحابهم من بلادنا الى غير رجعة. تاركين وراءهم -فيما تركوا من خراب ودمار ودموع- أنّات اليتامى والأرامل من ذوي الأبطال الذين انتقموا منهم. رغم اعلان هؤلاء. سابقاً. بأنهم سيشتركون في الحرب وتأجيجها الى جانب السلطة. صوناً لمصالحهم المشتركة. وتبرز هذه الأفكار مفصّلة في رسائل منهم الى أصحابهم. وهذه فقرات منها:

«كتب [الشهيد] الضابط الكبير سليم بك الجزائري الى أحد اصدقائه السياسيين في ١٥ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٤ ما نصه:

عزيزي...

لقد أخلصنا للاتحاديين فلا مجال للشك في اخلاصهم لنا. نعم إننا الآن في أشدّ المآزق حرجا.

○ ماجستير آداب.

إن الحال السياسية حرجة جداً أيها العزيز فبقدر ما يسيء الاتحاديون الينا الآن يجب أن نحسن اليهم حرصاً على كيان هذه الدولة المنكودة الحظ». (ص ١٢٨).

«وكتب [الشهيد] عبد الحميد الزهراوي الى صديقه السيد رشيد رضا صاحب مجلة المنار الاسلامية وأحد أركان حزب اللامركزية كتاباً سرياً مطولاً في ١٦ كانون الثاني (يناير) سنة ١٩١٤ كتب في أعلاه «مكتوم كله عن كل أحد» –وقد نشر الكتاب هذا فيا بعد في مجلة المنار كانون الأول (ديسمبر) ١٩١٦– وهذا نص الكتاب:

... الاتحاديون معروفون فمن غيرهم؟ لا يوجد الآن حزب سياسي آخر إلاّ أن يكون خفياً ولم أشمّ شيئاً من هذا... فالاتحاديون هم أولياء الأمر مباشرة وهم اليوم يتسلّحون بعزائم شديدة ماضية وناوون نيّة قاطعة أن يجدّدوا شباب الدولة بقدر ما تسمح الظروف. ويشتهون أن يخلص اليهم العرب ويساعدهم فضلاؤهم في هذا السبيل. ويعترفون بخطيئاتهم الماضية ويودّون أن لا يعودوا الى مثلها بقدر الامكان. انا مؤمن بنيّتهم وأقوالهم هذه كل الايمان لأدلة كثيرة ظهرت لي(!؟) ولكنني مرتاب من جهة قابليتهم لتطبيق العمل على النيّة. وعلى كل حال أرى ان عدم تركهم وحدهم خيرٌ من تركهم. ويرجى به أن تقوى قابليتهم. فان شئتم ان تخطئوني بتحسين الظن الى هذه الدرجة. فاني لا اخطئكم بالتخطئة. لأني أجلّ رأيكم أكثر من رأيي. وإنما أرجو ان يكون في خطأي شيء من البركة. أرجو ذلك من مصداق قوله سبحانه «فعسى أن تكرهوا شيئاً ويجعل الله فيه خيراً كثيراً...». (ص ١٣٢)

فاما ان نقوم بعمل يهدّد استقلال الدولة العلّية ويؤدي الى عكس الغاية التي نرمي اليها وهي نيل حقوقنا من اخواننا الترك ومشاركتهم في كل ما يؤول الى تقوية الدولة وإسعاد سكانها. أو ان نخلد الى السكينة بعد كل هذه (القرقعة) فيهزأ العالم بنا ويحتقرنا الاتحاديون انفسهم ونصير مثلاً بين الناس...

«وقال [الشهيد] محمد المحمصاني الى بعض أصدقائه الذين نصحوه بالبقاء في مصر بعد إعلان التعبئة العامة في الدولة العثمانية:

إن الوطن في حاجة الى كل فرد من أبنائه في هذا الأوان العصيب. فمن الخيانة أن لا نقوم بالواجب علينا نحوه». (ص ١٢٩)

لقد كان العرب. زعماء وسياسيين. صفاً واحداً ضد العدو المشترك. وتظهر أقوالهم ورسائلهم صدق ذلك. يقول المؤلف: (ص ١٣٦)

«فهذه الكتب السياسية السريّة ومئات من أمثالها تثبت للملأ عظم أخلاص العرب للاتحاديين قبل اعلان الحرب الاوروبية وبعدها. ولكن هذا الاخلاص العظيم لا يظهر بأتم مظاهره إلاّ بعد دخول الدولة العثمانية في الحرب. فقد تناسى العرب حينئذ كل خلافهم مع الترك وانضمّوا اليهم قلباً وقالباً دفاعاً عن الوطن المشترك فخاض جنودهم غمار المعارك في العراق والقوقاس والدردنيل والقنال ومات منهم عشرات الألوف في ميادين القتال. واشتركت الأمة العربية مع جميع الشعوب العثمانية في دفع الضرائب والأموال بحيث يمكنني أن أقول استناداً الى احصاء رسمي ان ما دفعه العرب من الضرائب والتبرعات الحربية عن طيبة خاطر كان أضعاف ما ضرب على الأمة التركية وما تبرع به الترك في هذه الحرب».



عبد الكريم الخليل — شكري العسلي — محمد المحمصاني

« ممدّات الاتحاديين لمحو الاسلام وسحق العرب »

هو عنوان الفصل السادس من الكتاب ، حيث يفصّل مؤلفه ما فعله الترك بالعرب . رغم ما بدر من زعمائهم ومن سياسييهم من تأييد لهم ، لقد حاولوا دائماً القضاء على فكرة القومية العربية أو الجامعة الاسلامية ، رافضين كل حق نادوا به . فقد « أنشأ الاتحاديون جمعية تركية عظيمة سموها جمعية « ترك أجاغي » –أي طائفة الترك أو العائلة التركية– وجعلوا غايتها محو الاسلام وتتريك العناصر العثمانية ومركزها في الاستانة ، ومصاريفها من مخصصات وزارتي الأوقاف والداخلية.. ولها أربعة فروع :

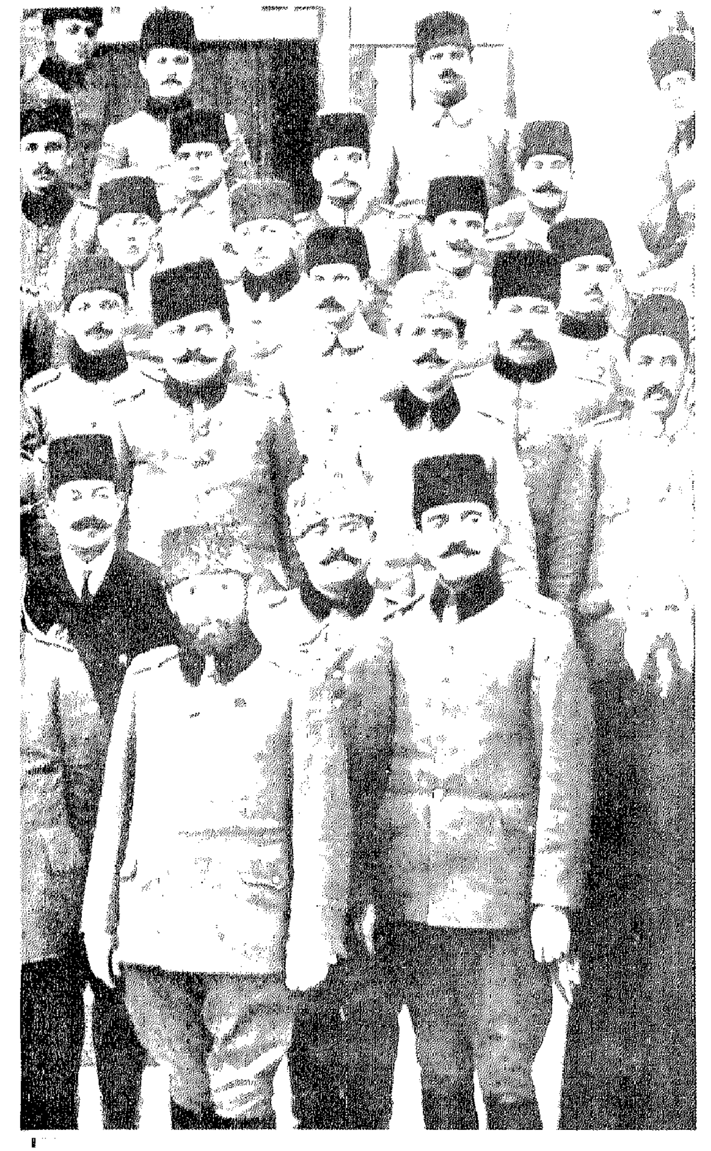
أولا : « ترك يوردي » –أي المملكة التركية– ومهمته العناية بالآداب التركية بطرق شتى أهمها « تطهير » اللغة التركية من الكلمات العربية وجعلها لغة مغولية بحتة...

ثانيا : « ترك درنكي » –أي ثبات الترك– ومهمته بث الفكرة القومية في الترك العثمانيين وغير العثمانيين بشكل لم يسبق له مثيل في تواريخ الامم.

ثالثاً : « ترك بليكشي » –أي العلم التركي– ومهمة أعضائه ترجمة الكتب العلمية الى اللغة التركية القديمة ونشر هذه اللغة بين الترك وبث الفكرة القومية التركية في تركستان والقوقاس...

رابعاً : « ترك كوجي » –أي القوة التركية– ومهمته العناية بصحة الترك وتقوية أجسامهم ونشر الألعاب الرياضية بينهم.

ويشترط للدخول في جمعية « ترك أوجاغي » ان يكون طالب الدخول تركياً وان يدفع رسماً شهرياً وان يتعهّد ببذل حياته ونشاطه وما له لاعلاء شأن الترك وبسط سيادتهم على الامم الأخرى وان يغير اسمه باسم توراني –ومن كان اسمه محمداً أو سليماً أو حسيناً أو سعيداً صار اسمه اليوم تيموراً أو جنكيزاً أو هلاكو أو أوغوز الخ... وقد سعت الجمعية أخيراً في ترجمة القرآن الكريم الى التركية القديمة مع خطبة الجمعة والأدعية الدينية . وعزمت على نزع اسماء الصحابة من الجوامع لاعتقادها بأن وجود هذه الاسماء العربية في الجوامع والأماكن المقدسة مما يضعف الفكرة القومية في الترك». (ص١٤٠–١٤١).



جمال باشا وأركان حربه.

من اناشيد الترك

في كل صباح . يجمع تلامذة المدرسة الحربية ويستلّون سيوفهم وينشدون نشيدهم التالي :

جانكز خانك بايراغي
آنلي شانلي صانلا ندي
آيت خانك بايراغي
حربدة بوليه أكلاتدي

أي ما معناه : « لقد تموّجت أعلام جنكيزخان في جو المجد والشرق وارشدتنا اعلام آيت خان الى نهج هذا الطريق المجيد في الحرب ».

« وهذا دعاء قررت الجمعية ان تعتمده في الجوامع وهذه ترجمته : أيها الاله القادر على كل شيء

خوف الترك من العرب

كل هذه «المقدّمات» عبّرت عن حقد على العنصر العربي من جهة وأكّدت خوف الترك منهم، من تجمعاتهم ومن مناداتهم بحقوقهم، لذلك غالوا في حملة التتريك. لقد ألّف جلال نوري بك الكاتب التركي الشهير كتاباً عنوانه «تاريخ المستقبل» جاء فيه: «ان المصلحة تقضي على حكومة الاستانة باكراه السوريين على ترك أوطانهم وان بلاد العرب ولا سيما اليمن والعراق يجب تحويلها الى مستعمرات تركية لنشر اللغة التركية التي يجب أن تكون لغة الدين. ومما لا مندوحة لنا عنه للدفاع عن كياننا أن نحول جميع الأقطار العربية الى أقطار تركية لان النشء العربي الحديث صار يشعر اليوم بعصبية جنسية وهو يهددنا بنكبة عظيمة يجب أن نحتاط لها من الآن».

وأيضاً قال أحمد شريف بك في جريدة «طنين»: «لا يزال العرب يلهجون بلغتهم وهم يجهلون اللغة التركية جهلاً تاماً كأنهم ليسوا تحت حكم الترك. فمن واجبات الباب العالي في هذه الحال أن يُنسيهم لغتهم ويجبرهم على تعلم لغة الامة التي تحكمهم. فاذا أهمل هذا الواجب كان كمن يسعى الى حتفه بظلفه لأن العرب ان لم ينسوا لغتهم وتاريخهم وعاداتهم فانهم سيعملون عاجلاً أم آجلاً على استرجاع مجدهم الضائع وتشييد دولة عربية على انقاض دولة الترك (ص ١٥٩ – ١٦٠).

تلك هي آراء الاتحاديين بالامة العربية. وهذه هي الغاية التي وضعوها نصب أعينهم. ومنذ ذلك الحين قرّروا حسم المسألة نهائياً بالطريقة التي تناسبهم. وهي بتر الأعضاء التي يخشون أن يتطرق «الفساد» منها ويسيء بالتالي إلى مصالحها.

جمال باشا السفاح:

انتهزت الدولة العثمانية اشتراكها في الحرب العالمية وقررت تنفيذ مخططاتها في البلاد العربية. فأعلنت التعبئة العامة. وجندت شباب العرب وفرضت الضرائب عليهم وقربت زعماءهم بل وعينتهم في أسمى المناصب لتكسب ثقتهم... ظلت على هذه الحال حتى عينت جمال باشا خلفاً للفريق زكي باشا الحلبي في منصب القيادة العامة في سوريا.



انعم على الترك بالصحة والعافية وأحسن اليهم بذئب أبيض (هو اله من آلهة الترك الاقدمين وكان شعاراً لهم) واشملهم برعاية السلطان الأعظم. وانتِ يا مملكة توران الجميلة المحبوبة أرشدينا الى الطريق المؤدية اليك لأن جدنا أوغوز الكبير ينادينا. أيها الاله القادر على كل شيء أنرْ طريق توران أمامنا واجعل امتنا كالورد الناضر واهدنا الصراط المستقيم».

ومن الاناشيد الحماسية في الجيش:

«نحن ترك وانت يا آسيا أمانة بيد الترك فلا نخشي شراً لاننا نفديك بأرواحنا.

انهض أيها الفتى التركي فقد نمت طويلاً واسرع في الحال الى امداد بلاد أجدادك.

نحن سعداء فلا نرجع عن سيرنا الى الامام لأن مسكننا الجبال والبطاح. نحن ترك وآسيا كلها لنا. نحن أتراك كلنا». (ص ١٤٢ – ١٤٣).



صورة تمثل الشهداء الثلاثة عارف الشهابي في الوسط والى يمينه عمر حمد والى يساره عبد الغني العريسي . وهم في زيهم البدوي بعد أن تمكن الأتراك من اعتقالهم بيما كانوا يحاولون الهرب والاختفاء في جبل الدروز والصحارى العربية المجاورة .

«اشتهر جمال باشا من زمن بعيد بتفننه في طريق القتل والاغتيال وجرأته على سفك دماء الأبرياء فهو مدبّر مذابح الأرمن في أطنه بعد الدستور اذ كان والياً عليها . وهو منظم مؤامرات الاتحاديين ومدير فرع الجواسيس والفدائيين في جمعيتهم . وهو الذي قتل مئات الأبرياء في الآستانة عقب اغتيال محمود شوكت باشا . لا لجرم ثبت عليهم بل لأنهم لم يكونوا من أنصار جمعية السفاحين . وقد اختارته الجمعية لقيادة الجيوش العثمانية المرابطة في سوريا لأنها رأت فيه أقدر رجل على تنفيذ الخطة التي قررت اتباعها في البلاد العربية» .

وكان أول ما عمله جمال باشا حين وصوله إلى سوريا هو ابعاد الضباط إلى حدود الأناضول وتكليف بعض الزعماء والسياسيين بأعمال ملكية وعسكرية في أطراف الدولة . وقد ساعده في ذلك عبد الكريم قاسم الخليل بعد أن أظهر له ثقته . وأيضاً أقفل مدرسة «صف الضباط» في دمشق والتي كانت تضم أكثر من خمسمائة ضابط من خيرة شبان العرب .

أعمال المجلس العرفي :

عند ذلك قلب جمال باشا للعرب ظهر المجن فنصب المشانق وفتح أبواب السجون وطُرق المنافي وكان أول من شنق صديقه الشهيد عبد الكريم قاسم الخليل . فدلّ بذلك على ما يحمر في قلبه من ضغينة وما يخبئه من غدر . وقد جعل جهازه القضائي – المجلس العرفي – ينفذ ارادته بناء على أمرين : «أولهما الانتساب إلى احدى الجمعيات العربية ... وثانيهما رسائل سياسية اختلق الاتحاديون بعضها وعزوا البعض الآخر إلى زعماء الأحزاب العربية . أما الرسائل التي اختلقوها فلم ينشروا صورها بالزنكوغراف كما فعلوا بالرسائل الأخرى لأنها مكتوبة بخط يدهم وبلغة تركية أكثر منها عربية . وأما الرسائل التي عزوها إلى بعض زعماء الأحزاب فينتهي تاريخها إلى ما قبل اعلان الحرب الأوروبية بأعوام» (ص ١٦٤) .

بيان جمال باشا في تبرير جرائمه :

نشر هذا البيان بامضاء جمال باشا في صحف سورية في ٥ رجب ١٣٣٤ – ٧ أيار (مايو) ١٩١٦ . «لما جرى القصاص على بعض الأشخاص المنتسبين إلى الحزب المتشكل في مصر والممالك العثمانية تحت تمويه «حزب اللامركزية» والذين حوكموا في

ديوان الحرب العرفي بعاليه كنت كتبت في البيان الذي نشرته في أوائل آب (أغسطس) ان التحقيقات جارية بصورة دقيقة بحق أعوانهم الأشرار الذين لم يكن قد قبض عليهم قبلاً.

إن الوثائق السياسية التي عثرنا عليها واعتراف عبد الغني العريسي صاحب المفيد الذي قبض عليه أخيراً بعد أن ذكرنا في البيان خبر فراره واعتراف سيف الدين الخطيب عضو محكمة بداية حيفا السابق ورفيق رزق سلوم ضابط الاحتياط ورفقائهم الآخرين قد نوّر المسألة من جميع أطرافها»...

أسماء الشهداء:

ويتابع البيان:

«فحكم على شفيق بن أحمد مؤيد العظم والأمير عمر بن الأمير عبد القادر. وعمر بن مصطفى حمد. ورفيق بن موسى رزق سلوم. ومحمد بن حسين الشنطي. وشكري بن بدري علي العسلي. وعبد الغني بن محمد العريسي. وعارف بن محمد الشهابي. وتوفيق بن أحمد البساط وسيف الدين بن أحمد أبي النصر الخطيب. والشيخ أحمد بن حسين طباره وعبد الوهاب بن أحمد الانكليزي. وسعيد بن فاضل عقل. وبترو باولي وجرجي بن موسى الحداد. وسليم بن محمد سعيد الجزائري. وعلي بن محمد حاجي عمر. ورشدي بن أحمد الشمعة. وأمين لطفي بن محمد حافظ. وجلال بن سليم البخاري بالاعدام لثبوت اشتراكهم في هذه التشبثات بالدرجة الأولى وبصورة فعلية». (ص ١٦٥).

ويذكر البيان أيضاً أسماء من حكم عليهم بالسجن وبالنفي «لدخولهم بالدسيسة بصورة فرعية».

ويذكر مؤلف الكتاب في رده التهم التي ساقها جمال باشا كلاماً «لزعيم عربي كبير» يكفي لتفنيدها. فيقول بعد مقدمة مستفيضة في ذم عمل السفاح: «لو صح أن نية الاستقلال أو مطلق رغبة فيه تستوجب عقوبة القتل لأبيدت كل الشعوب التي فقدت استقلالها وهي ترغب فيه... والحقيقة أن نقمة الاتحاديين التي حلّت بأهل سوريا اليوم ترجع أسبابها إلى أمرين: الأول أنه منذ أعلن الدستور العثماني أرادوا أن يجعلوا وسيلة لاستئثارهم بأمور السلطنة فقامت في وجوههم الجمعيات والأحزاب. فطاردوها أشد مطاردة وشرّدوا زعماءها في أطراف البلاد وقتلوا بعضهم شر قتلة. والثاني تصميمهم على أن «يتركوا» العناصر ولو بالقوة وأن يمحوا من البلاد كل صبغة غير تركية. ولما شعرت الأمة العربية بما في ذلك من الخطر على كيانها وجنسيتها ولغتها وهي أمة ذات مدنية وتاريخ لا تسمح بأن تصبح واياهما أثراً بعد عين باندماجها بعنصر آخر. هب علماؤها وأدباؤها وذوو الرأي فيها إلى مقاومة هذه الفكرة الاتحادية بالطرق القانونية والوسائل الدستورية فألفوا الجمعيات والأحزاب كجمعية الاصلاح البيروتية وحزب اللامركزية وجمعية شبان العرب بالآستانة وكلها ترمي بمبادئها إلى غرض واحد وان اختلفت في التفاصيل وهو الحصول على نوع من الاستقلال الاداري» (ص ١٦٩)...

على طريق الخلود:

ويتابع مؤلف الكتاب بعد ذلك وصف حالة البلاد في تلك السنوات. فالمصائب لم تكن فرادى. وكلها تشهد لشراسة الاتحاديين وتحكي عن سفكهم الدماء وتدميرهم البلاد واشاعتهم الموت والمجاعة معاً.

ثم يعمد المؤلف إلى وصف حالة الشهداء قبيل الشنق. وكيف أمضوا ساعاتهم الأخيرة بانتظار الموت. ويفصّل حكايات خاصة بابنة الشهيد رشدي بك الشمعة المريضة التي أبعدت عن أبيها عند توديعه. وعن الشهيد عبد الوهاب الانكليزي وآخر «حوار» له مع صديق شاهده وهو في قطاره من بلودان إلى بيروت... ثم يحكي عن رباطة جأشهم حين اقترابهم من أعواد المشانق وما قالوه...

انها حكايات انسانية وأقوال خالدة لشهدائنا الأبرار الذين قضوا في سبيل بلادنا. وكانوا الشعلة الأولى لانارة الطريق أمام شبابنا في ذاك اليوم. وفي كل يوم – في هذا الوطن – ليعتبروا: أن الحق لن ينال إلا بالاقدام والوطن لن يستقل ولن يخلّص لأبنائه إلا بالشهادة. والحرية لن يحلو طعمها إلا ممزوجة بالدم. دم الأبطال الذين هم هم في كل حكاية تاريخ. وفي كل حكاية أمة استقلت. يبقون النور الخالد المستلهم... وإلى الأبد. ●

(١) المرجع: كتاب ثورة العرب مطبعة المقطم. مصر. ١٩١٦ بقلم أحد أعضاء الجمعيات العربية (؟).

● عندما امر والد الشاه المخلوع ، الجنرال رضا خان بهلوي ، في العام ١٩٣١ بالبدء في التنقيب عن آثار مدينة « بيرسيبوليس » . كان في نيته تذكير العالم بحضارة نشأت منذ أكثر من ٧٠٠٠ سنة . وبذلك كان يحاول اقناع نفسه قبل اقناع شعبه والعالم ان ذريته ستكون أفضل خلف لأعرق سلف .

وهكذا عهد الشاه رضا خان والد الشاه محمد رضا بهلوي الى « معهد شيكاغو الشرقي » بمهمة بعث انقاض هذه المدينة التاريخية التي كانت تعرف قديما باسم « بارسا » ، ومنها اشتق اسم ايران السابق : فارس .

احتفالات بيرسيبوليس :

في ايلول ١٩٤١ استبدلت الدول الغربية الكبرى يومها « بالجنرال – الشاه » ابنه محمد رضا بهلوي الذي يبدو انه اخذ على عاتقه مهمة إكمال مسيرة والده في نبش الماضي . فانتظر بفارغ الصبر الذكرى الـ ٢٥٠٠ لتأسيس الامبراطورية الفارسية على يد سيروس الكبير ليعلن في ١٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧١ البدء باحتفالات امبراطورية لم يعرف التاريخ الحديث مثيلاً لها ، ان من حيث البذخ الذي تميزت به أم من حيث الضجة الاعلامية التي رافقتها في الداخل اكثر منها في الخارج . والمهم في الامر يومها ان اطلال بيرسيبوليس هي التي اختيرت للمناسبة .

وتدفق الضيوف أفواجاً أفواجا الى بيرسيبوليس تلبية لدعوة الشاه وقرينته ونصبت في وسط الآثار التاريخية الصامتة خيمة ذهبية حيث استقبل صاحب الدار اكثر من خمسين رئيس دولة أجنبية .

في هذا « اليوم الكبير » –كما سمي– كان الغائب الأكبر هو الايرانيون والتاريخ الصحيح لحضارتهم العريقة .

كان تاريخ الحضارة الفارسية والامبراطوريات التي تعاقبت في ايران منذ عهد الاخمينيين وحتى انهيار آخر امبراطور في أوائل شباط (فبراير) ١٩٧٩ ، هو تاريخ الشعوب التي ظلت منذ أكثر من ٧٠٠٠ سنة تبني أمجادها بصمت وتكتب تراثها على الصخر لتخليده .

واليوم عندما نعيد قراءة تاريخ ايران الفارسية ودراسة بقايا الآثار الضخمة المتناثرة في طول البلاد وعرضها نكتشف ان الماضي الصامت هو فعلاً على صلة



لماذا تهمس اطلال بيرسيبوليس لزائرها ؟
ما هي العبرة التي تبرز من تاريخ الحضارة
لماذا الغيت كلمة « فارس » في العام ١٩٣٥
ثم لماذا أعيد استعمال التعبيرين معاً منذ العا
هذه هي الأسئلة التي تفرض نفسها فرضاً

عضوية بالحاضر، كما أن الحاضر المتفجر يختزن خلاصة آلاف السنين من العمل والصبر والآلام والقهر.

قبل الفتح الاسلامي :

قبل الفتح العربي الاسلامي لبلاد الفرس كانت هذه الهضبة الصحراوية المحاطة بالجبال والتي تطل على بحر قزوين في الشمال وسهول الأندوس في الشرق وبلاد ما بين النهرين في الغرب، تجمع في أحضانها شعوباً وحضارات مختلفة.

واشتهرت خلال هذه الحقبة المديدة من الزمن مدينتان تارخيتان هما : سوسة وبيرسيبوليس.

كانت الآثار الأولى للامبراطورية الفارسية عبارة عن أدوات حربية بدائية ورسوم تمجد الحرب والمحاربين. وكان السر في عظمة حضارة الفرس وتواصلها بلا انقطاع رغم تعاقب العهود والغزوات، انها اضطرت، لحسن الحظ، للتفاعل مع حضارات الشعوب التي أخضعوها وللتكيف مع حضارات الغزاة الذين إحتلوها لفترات من الزمن : فمن عهد الاخمينيين الى عهد الساسانيين مروراً بالسليوقيين والارساديين (أو البارتيين) كان سكان بلاد فارس يعملون في جهد لكسر أي محاولة لعزلهم او لفرض تقوقعهم. فأخذوا من الكلدانيين والبابليين تنظيمهم السياسي والاداري، ومن الآشوريين تدريبهم العسكري الصارم واستوحوا فن النحت والنقوش من البابليين والاشوريين أيضاً، كما أنهم استعانوا بلا أي تردد بعلماء من بابل ومصر وايونية (اليونان).

من هنا فلا عجب ان تبقى آثارهم العظيمة خالدة على مر العصور :

فمركز سوسة (وهي اليوم محطة للسكة الحديد بين طهران ومرفأ خورمشاد على شط العرب)، شكّل في إحدى حقبات التاريخ الفارسي القديم ملتقى التجارة والفن والعلوم.

صحيح أنه لم يتبق شيء يذكر من آثارها في الوقت الحاضر، على رغم جهود علماء الآثار للتنقيب عنها، إلاّ أنه يمكننا تصور عظمتها وفخامتها، وخصوصاً قصرها الامبراطوري الذي أمر ببنائه داريوس الكبير، من خلال النقوش العديدة التي حفرت على جدرانه ومنها ما جاء على لسان داريوس :



ترجمة فكتور سحاب

الفارسية منذ أكثر من ٧٠٠٠ سنة ؟
واستبدلت بها كلمة «إيران» ؟
١٩٤٩ ؟
إيذاناً بزوغ أول جمهورية إيرانية في التاريخ.



جانب من مدخل الأبادانا في برسيبوليس.

«... هذا هو القصر الذي أمرت ببنائه في سوسة: استقدمت زخرفته من أماكن بعيدة. وحفرت الارض حتى بلغت أعمق أعماقها. ثم طمرت الحفرة بالحجارة، وفوق هذه الحجارة بني القصر. ان أهل بابل هم الذين حفروا الارض وطمروها بالحجارة وجبلوها بالآجر. وجيء بخشب الارز من الجبل المسمى لبنان، نقله البابليون من بابل الى سوسة. وجلب الذهب من سارداس، والإلازورد والعقيق من خوارزم، والفضة والنحاس من مصر، وزخارف الجدران من أيونية، والعاج من الحبشة والهند، والاعمدة الحجرية من عيلام...

«جاء النحاتون الذين صقلوا الحجارة من أيونية وسارداس، والصاغة الذين صهروا الذهب من ميدية ومصر. والبابليون هم الذين جبلوا الآجر والميديون والمصريون هم الذين زيّنوا الجدران...

«هنا في سوسة قام العمل الفخم ونفّذ في شكل رائع... فليحمني أهوارا– مزدا» (هو الأله الواحد عند الفرس أيام المصلح الديني زرادشت).

أما مدينة بريسيبوليس فهي أهم الآثار الفارسية على الاطلاق والتي تدل أطلالها حتى يومنا على عظمتها وروعتها. ولا عجب في ذلك، إذ إن بناءها، كما كان الأمر بالنسبة الى سوسة، تم على أيدي عمال ومهنيين وفنيين من شعوب كثيرة، بفضل توجيهات داريوس



اطلال سوسة من الطائرة

الكبير، قائد جيش «قوروش» مؤسس فارس والذي خلفه داريوس بعد وفاته.

كانت بيرسيبوليس إحدى عواصم الامبراطورية الفارسية الشاسعة في عهد الاخمينيين. أمر داريوس ببنائها في أواخر القرن السادس ق.م.، ثم وسعها ابنه «كسيركسيس» واكمل المهمة حفيده «ارتاكسيركسيس الاول».

واحتل قصر داريوس فيها، كما في سوسة، مكاناً كبيراً تتوسطه قاعة «الابادانا»، وهي قاعة العرش التي كانت توجد عادة في قصور أباطرة الفرس الاخمينيين.

ويعود الفضل في بعث أمجاد هذه المدينة الاسطورية الى العديد من الرحالة الاوروبيين الذين لفتوا بالحاح انظار علماء الآثار اليها، نذكر منهم خصوصاً:

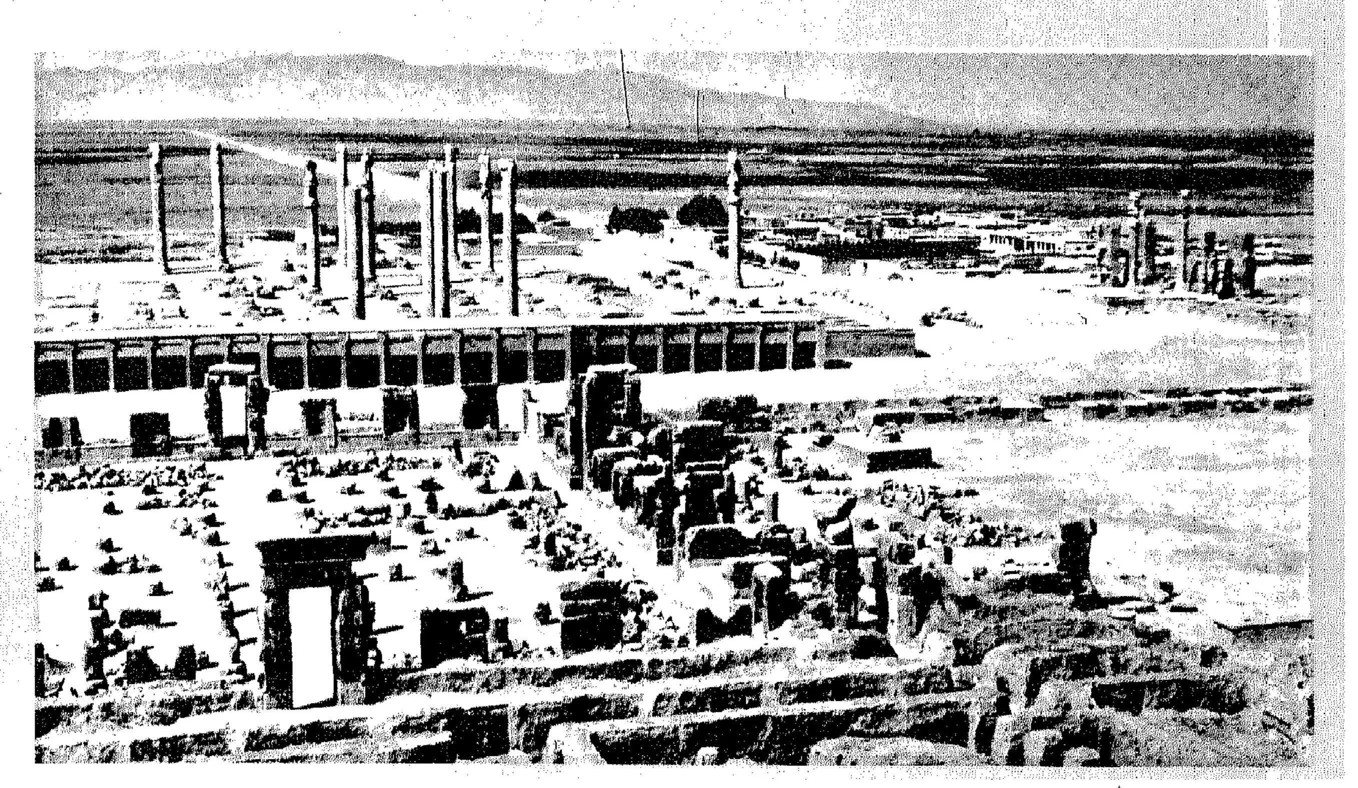
– في القرن الخامس عشر: الرحالة الايطالي جيوزوفات بربارو.

– في أوائل القرن السابع عشر: الرحالة الايطالي بييترو ديلافالي.

– وفي أواسط القرن السابع عشر: الرحالة الفرنسي شوفالييه شاردان.

– وفي العام ١٩٣١ بدأت بعثة «معهد شيكاغو الشرقي» بالتنقيب عن كنوز بيرسيبوليس الحضارية والاثرية. وبيا طول ما اكتشفت: سر عظمة داريوس وديمومة حكمه.

السر الكبير:
ماذا كان سر عظمة داريوس؟



بيرسيبوليس بعد أحيائها

اكتشف علماء الآثار على مداخل قاعة الابادانا نقوشاً متناسقة الحجم ومتشابهة تماماً. فأخفوا يزيلون ليلاً ونهاراً ترسبات السنين المديدة عنها وأعادوا النقوش على جدران المدخل الى أحسن وضع ممكن. فظهر السر الكبير الذي ظنّوه مفتاح الحل: فالرسوم تمثل فرقة «الخالدين» التي أنشأها داريوس الى جانب الحرس الملكي الخاص به.

كان هذا الاكتشاف مدخلاً لاعادة قراءة تاريخ داريوس وحكمه ونظامه. فلاحظوا فيما لاحظوه، من بين ركام الكتب والأوراق المبعثرة، ان داريوس لم يكن يثق بادارته ولا حتى بجيشه. لذلك لم يكتف بفرقة «الخالدين» وبحرسه الامبراطوري الخاص. بل عيّن موظفاً خفياً في كل إدارة ومكتب وفي كل وحدة عسكرية، وسمّى هذا الموظف ما معناه بالفارسية: «عيون وآذان الامبراطور».

وفي غمرة الفرحة الكبرى بهذا الاكتشاف، أهملت متابعة قراءة التاريخ الفارسي القديم وما حل بالملكية الاخمينية على يد الاسكندر الكبير، ولم تتابع قصة صعود وانهيار فارس السلوقية والارسادية والساسانية. والأهم من كل ذلك ان المنقبين مروا مرور الكرام بمغزى الفتح العربي-الاسلامي لبلاد فارس (٦٣٨م.) فمنذ ذلك العهد، ومروراً بالعهود التركية والمغولية والصفوية، كان التاريخ الجديد لايران الفارسية يختمر في أعماق الشعب. ●

المراجع الأساسية:

● «قصة الحضارة». تأليف دوران. الجزء الأول من طبعة لوزان الفرنسية. ١٩٦٢.

● كتاب «البحث عن العوالم المفقودة». تأليف هنري بول ايدو. طبعة ١٩٧١ الانكليزية المترجمة عن الفرنسية.

● عدد مجلة «أطلس» الشهرية الفرنسية. تشرين الأول ١٩٧١.

القراء عندما يكتبون

نشأة المكتبات في العصر الأموي

لطف الله قاري

● عندما يؤرخ المرء لشعب أمي خرج من جزيرته بعد أن جاءته رسالة أيقظته من سباته ودفعت فيه روح العزة والسمو الأخلاقي ومحبة العلم.. عندما يتحدث المؤرخ عن ان ذلك الشعب الذي كان أمياً صار يقود دولة تتحدث عن العلم وتقيم المكتبات وتشجع على الترجمة من لغات أخرى.. عندما نروي ذلك فإننا حتماً نروي قصة طريفة نتعرض اليوم لأحد جوانبها، وهي قصة نشأة المكتبات في العالم الاسلامي..

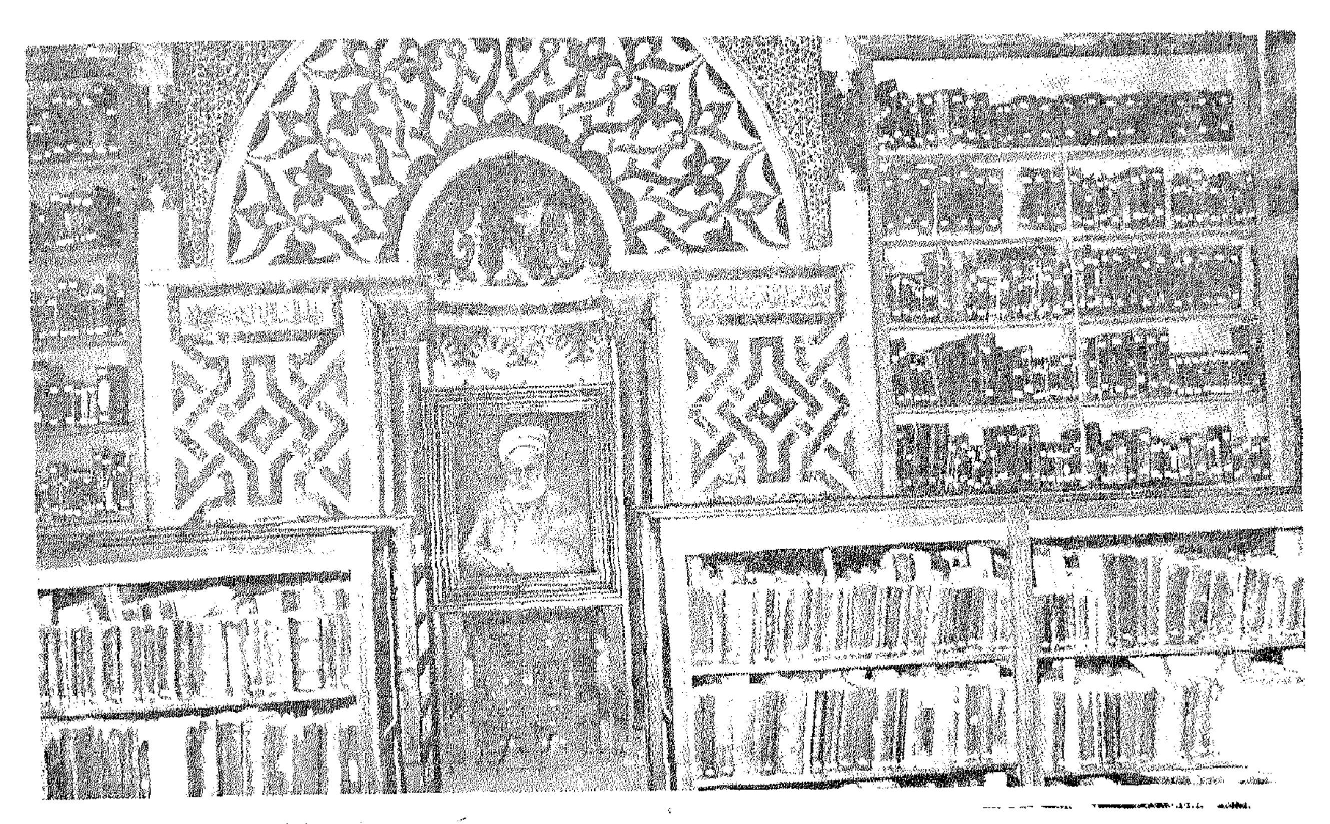
وتبدأ قصتنا بالفتوح الاسلامية في عهد الخلفاء الراشدين، تلك الفتوح التي شملت معظم بقاع العالم القديم ونشأت بها دولة اسلامية مترامية الأطراف قام الأمويون بعد ذلك باستلام زمامها بعد فتنة معروفة. وأنشأ الأمويون دولة عاصمتها دمشق، وأحدثوا تغييرات كبيرة في نظام الحكم الاسلامي أهمها توارث للملك والتحكم المركزي في الأموال وانفاق الكثير منها على ملذات الطبقة الحاكمة ومتعها الحسية والفكرية.

هذا التيار السائد في الأوساط الحاكمة كان يقابله تيار آخر عند الشعب الذي لم يزل متأثراً بالتعاليم الاسلامية التي منها طلب العلم ومجالسة العلماء. وكان العلم يقصد به التفقه في الدين، وتفرع من ذلك علم اللغة وعلم التاريخ. فكانت المساجد تعج بمجالس العلم (حسب اصطلاح ذلك العصر الذي أوضحناه: دين، لغة، تاريخ) حيث كان التعليم في أغلبه شفوياً، وذلك لندرة الورق في ذلك العصر. وهذا العامل هو الذي جعل نتائج الحركة العلمية في العصر الأموي (من آثار كتابية) أقل من طموحات العلماء، فكان أكثر ما يتركه العالم في ذلك الزمن هو تلاميذ أخذوا عنه علمه مشافهة، وهذا ما يجعلنا نبدأ حديثنا عن نشأة المكتبات لدى الطبقة الحاكمة الغنية. فهي التي بدأت بإنشاء المكتبات الخاصة ثم تعدى ذلك إلى القادرين من الشعب.

مكتبة معاوية:

كان معاوية بن أبي سفيان من المغرمين بالاطلاع على سير الملوك قبله من قبيل التسلية وكسب الخبرة. قال المسعودي متحدثاً عن برنامجه اليومي كل ليلة: «ثم يدخل فينام ثلث الليل، ثم يقوم فيقعد فيحضر الدفاتر فيها سير الملوك وأخبارها والحروب والمكائد، فيقرأ ذلك عليه غلمان له مرتبون، وقد وكلوا بحفظها وقراءتها، فتمر بسمعه كل ليلة جمل من الأخبار والسير والآثار وأنواع السياسات»[1]. وقد استقدم معاوية عبيد بن شرية الجرهمي ليسمع منه أخبار الملوك والأمم السابقة وأمر نفراً من غلمانه أن يدونوا كلامه[2] فدونت تلك الروايات في كتاب طبع بالهند في عصرنا[3].

وهؤلاء الذين كانوا ينسخون للحكام كان منهم على ما يبدو نوابغ. فقد تحدث الخوري يوسف أبو صعب عن أنه كان يملك مخطوطا في النحو ألفه محمد بن عبد الله بن حنبل أحد كتاب يزيد ابن معاوية سنة ٨٦ هـ، وقد باعه ضمن مخطوطات



محراب القبة الظاهرية. وتبدو صورة الشيخ طاهر الجزائري أبرز مؤسسي دار الكتب الوطنية الظاهرية. وجانب من خزائن المخطوطات، في دمشق.

أخرى لجامعة اكسفورد[٤].

ومن الكتاب الآخرين في هذا العصر نجد خالد ابن أبي الهياج الذي كان يكتب المصاحف والشعر والأخبار للوليد بن عبد الملك[٥] وشعيب بن حمزة كاتب هشام بن عبد الملك. وقد كتب شعيب هذا كتبا عديدة من إملاء الفقيه المحدث ابن شهاب الزهري حفظت بمكتبة القصر[٦]. فلما مات هشام آلت تلك الكتب مع غيرها إلى الوليد بن يزيد الذي أكثر الفسق والفجور في سيرته حتى ثار عليه ابن عمه يزيد ابن الوليد وقتله. قال معمر بن راشد تلميذ الزهري: «كنا نظن أنا قد أكثرنا عن الزهري، حتى قتل الوليد فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه» يقصد من علم الزهري[٧].

وفي آخر عهد الأمويين حين ارتفع شأن الثقافة وزادت معارف الكتاب نجد كتاباً يترجمون كتب الفلسفة مثل أبي العلاء، سالم بن عبد الله كاتب هشام ابن عبد الملك الذي ترجم كتاباً لارسطو[٥]. كما نجد ادباء بارعين مثل عبد الحميد بن يحيي كاتب مروان بن محمد[٥].

وما سبق يعطينا فكرة عن محتويات مكتبة القصر. فهناك فقه الزهري وفلسفة أرسطو وحكايات عبيد بن شرية ونحو ابن حنبل. وهناك أيضاً كتب طب. فقد روي ان عمر بن عبد العزيز وجد في مكتبة القصر حين تولى الخلافة كتاب الطبيب السرياني أهرن، وقد ترجمه الطبيب اليهودي المستعرب ماسرجويه فاستخار الله في إخراجه إلى الناس أربعين يوماً نشره بعدها بين الناس[٨]. وهذه الحادثة قد تدلنا على ان عمر بن العزيز كان من ضمن إصلاحاته العظيمة انه نشر الكتب التي كان الخلفاء قبله يضنون بها على الناس.

مكتبات العلماء:

هذا ما كان من شأن المكتبات الخاصة عند الخلفاء الأمويين. أما عند العلماء فقد بدأت المكتبات عند أبناء الموسرين منهم مثل خالد بن يزيد بن معاوية الذي شغف بالعلوم التجريبية، وخاصة الكيمياء والطب والفلك بالإضافة إلى شغفه بالأدب[٩] ولذلك سعى إلى تعلم العلوم وأحضر مدرسين ومترجمين وكون لنفسه مكتبة، وكان يقول عن نفسه: «عنيت بجمع الكتب لما انا من العلماء ولا من الجهال»[١٠].

ومن أبناء الموسرين أيضاً الفقيه العالم عروة

ابن الزبير بن العوام. قال هشام ابنه: «احرق أبي يوم الحرق كتب فقه كانت له، فكان يقول بعد ذلك: «لأن تكون عندي أحب إليّ من أن يكون لي مثل أهلي ومالي»[11].

وتنتقل بنا المعلومات إلى علماء آخرين كانت لهم مكتبات خاصة صغيرة، فان شهاب الزهري الذي مر ذكره كان إذا جلس في بيته وضع كتبه حوله فينشغل بها عن كل أمور الدنيا، فقالت له امرأته يوماً: «والله لهذه الكتب أشد عليّ من ثلاث ضرائر»[12].

ومن أولئك العلماء أيضاً اللغوي الفقيه أبو عمرو بن العلاء. كان قد نسخ من كلام الأعراب في رقاع قد ملأت بيتا له إلى قريب من السقف ثم تنسك فأحرقها كلها، فلما عاد عن دروشته الدينية إلى عظم اللغة لم يكن له إلا ما حفظه بقلبه، وكانت معظم أخباره عن عرب أدركوا الجاهلية[13] ولعل المقصود بالأخبار هو السير الأدبية وما يتصل بالأدب.

وكان الحسن البصري الفقيه والزعيم الاجتماعي البارز في عصره يقول: «ان لنا كتباً نتعاهدها» أي يتفقدها وكتبه هذه في الحديث[14]. وكان مجاهد بن جبر المفسر يصعد بتلميذه أبي يحيي الكناس إلى غرفته فيخرج إليه كتبه فينسخ منها[15]. وكانت كتب عبد الله بن عباس حبر الأمة وشيخ المفسرين ترك حمل بعير منها عند موسى بن عقبة المحدث المؤرخ، فكان علي بن عبد الله بن العباس يستعير كتب والده من موسى ويردها[16].

المكتبات العامة:

رأينا مما سلف أن بعض العلماء قد اقتنى كتباً بسيطة وان معظم هؤلاء كان ينسخ كتبه بنفسه، فينسخ عن شيوخه في الدين والتاريخ وعن الأعراب في اللغة والأدب.

أي ان حال العرب في ذلك الوقت كان حال أمة ناهضة تخطو خطواتها الأولى في سبيل التقدم، بل تحبو على أربع لما تزل حتى انتشر الورق وعم في الدولة الاسلامية فيما بعد على أيام العباسيين. ولذلك نرى أن المكتبات العامة في هذا العصر كان شأنها ضئيلاً للغاية، فإما مكتبات خاصة للموسرين والذين ينسخون بأنفسهم والا فتعلم للقراءة والكتابة يعقبه تعليم شفوي في الغالب.

على ان ابا الفرج الاصفهاني يروى لنا أن عبد الحكم بن عمرو الجمحي اتخذ بيتاً بمكة وضع فيه شطرنجات ونردات وقرقات (من أنواع اللعب كالدومينو والزهر) ودفاتر فيها من كل علم، وجعل في الجدار أوتاداً، فمن جاء علق ثيابه على وتد منها ثم جر دفتراً فقرأه، أو بعض ما يلعب به فلعب به مع بعضهم[15] أي ان بعض الكتب وضعت ضمن ناد يجمع معارف الجمحي هذا وأصدقاءه.

ولكن الأمم الأخرى التي كانت تعيش في الدولة الاسلامية كانت لديها مكتبات تحتوي على الكتب التي بقيت من أيام نهضتها، فالسريان وبقايا فلاسفة العهد الاسكندري وعلمائه كانوا في العصر الأموي في دور خمول وجمود. ولكن مكتبة الاسكندرية كان لا يزال فيها قليل من الكتب والمدرسة لم تزل قائمة حتى عهد عمر بن عبد العزيز الذي انتقلت المدرسة في عهده إلى انطاكية وتفرق العلماء في البلاد[16]. ولم يذكر المسعودي راوي القصة سبب انتقال التعليم من الاسكندرية أو دور الخليفة عمر في ذلك. ولكن المستشرق ميرهوف علل ذلك باحتمال أن يكون السبب هو قرب انطاكية من الروم حيث مصدر المخطوطات[17].

وأضيف إلى ما قاله ميرهوف ان القرب من الروم له ميزة أخرى هي القرب من الرعاية المادية التي تأتي من الكنيسة والامبراطور في القسطنطينية.

وكانت مدرسة جنديشابور بفارس قائمة في هذا العصر ولكن لم ترد أية إشارة في أي مصدر موثوق به عن أي دور لها أو تفاعل بينها وبين المجتمع الذي حولها، فكل المصادر التي تتحدث عنها تبدأ حديثها من عهد المنصور العباسي.

وبالإضافة إلى المدارس هذه كانت الأديرة لا تزال عامرة بالكتب. روى المحدث مالك بن دينار عن نفسه قائلاً: «كنت مولعاً بالكتب انظر فيها، فدخلت ديراً من الديارات لبالي الحجاج فأخرجوا كتاباً من كتبهم فنظرت فيه فإذا فيه: (يا ابن آدم، لم تطلب علم ما لم تعلم وأنت لا تعمل بما تعلم)»[18]. ومن هذه القصة نرى أحد احتمالين: إما ان كتبا عربية كانت توضع في الأديرة. أو ان مالكاً كان يعرف لغات أخرى..



جانب آخر من خزائن المخطوطات في القبة الظاهرية في دمشق.

وأنا أرجح الرأي الأول لأن الحوار بين النصارى والمسلمين كان نشطاً في ذلك العصر. فقد أفتى القس يعقوب الرهاوي علامة عصره النصارى بأنه يحل لهم تعليم المسلمين الفلسفة. وألف القديس يوحنا الدمشقي رسالة هي عبارة عن حوار جدلي بين مسلم ومسيحي[١٩]. ولذلك فإننا لا نستغرب وجود كتب عربية في الأديرة.

وبمناسبة الحديث عن مالك بن دينار يجدر بي أن أذكر أنه كان ينسخ المصاحف بالأجرة[٢٠]. مما يدل على ان الناسخين بالأجرة كانوا متوفرين نوعاً ما في ذلك العصر وأن هذا مساعد على انتشار الكتب.

وقد وصلت إلينا بعض الكتب التي كانت محفوظة بالأديرة في ذلك العصر، فقد ورد في مجلة

المجمع العلمي العربي بدمشق (مجمع اللغة العربية حالياً) في صفحة أخبار المجمع[٢١] أن المجمع حصل على «آثار ذات شأن كان البارون فون سودن والدكتور ڤيوله الألمانيان قد أخرجاها من القبة القائمة في صحن الجامع الأموي الكبير سنة ١٩٠٨ وهي رقوق كثيرة مهمة من أسفار قديمة مسيحية وعبرانية باللغات الآرامية والفلسطينية واليونانية والعبرانية والقبطية والحبشية والعربية، وبعضها جندر أو طرس أي محيت كتابته الأولى وكتب عليه ثانية. ونقلاها إلى الأستانة فأهدي قسم منها إلى الألمان فنقلوه إلى برلين، واستعيدت بعض هذه القطع (من قبل المجمع)».

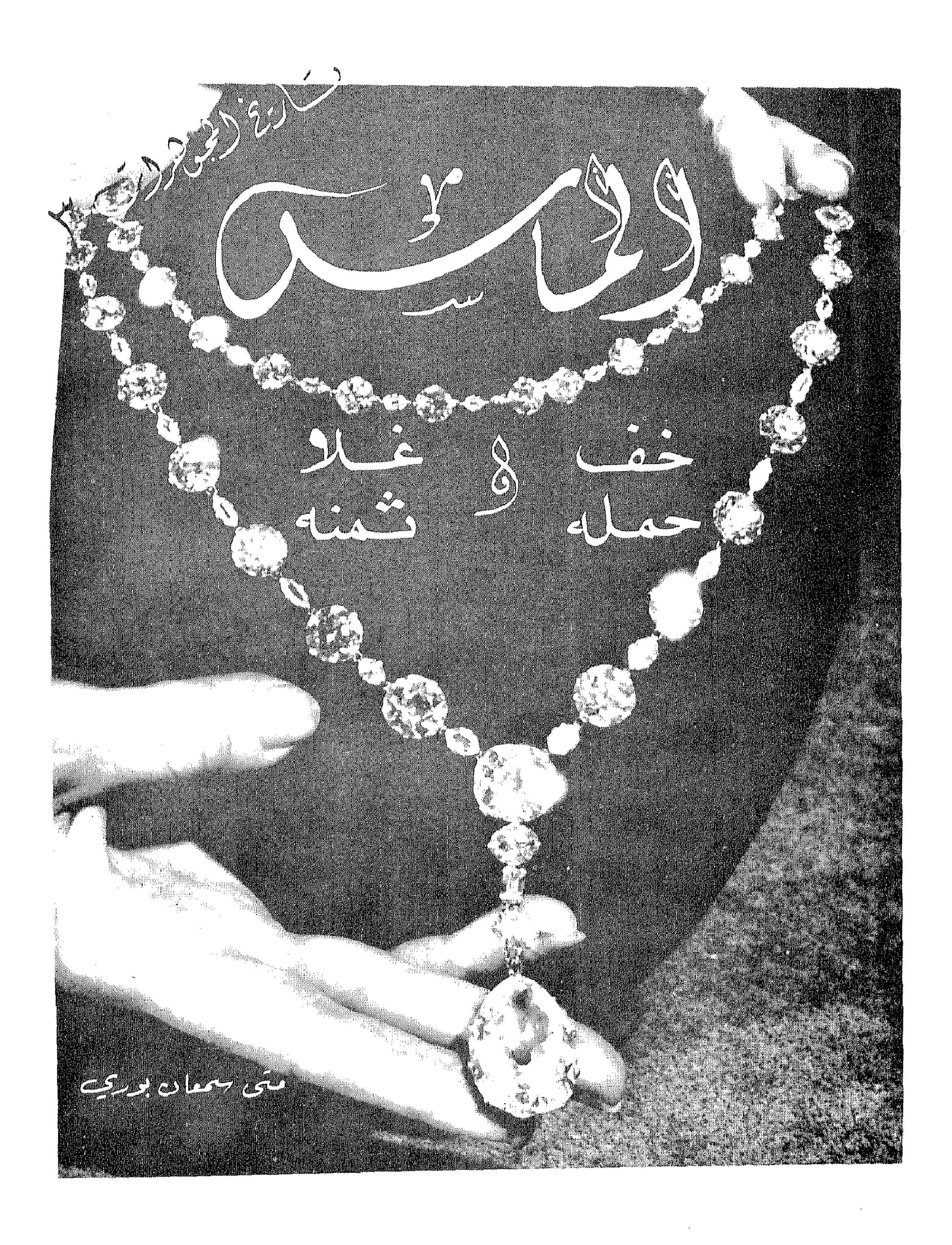
وبعد، فهذه هي قصة نشأة المكتبات في العالم الاسلامي على عهد الأمويين. كان الورق غالي الثمن فلا توجد سوى الرقوق والبردى. وكانت حضارة الأمة العربية الاسلامية لا تزال في طور النشوء واستمرت التربية والتعليم بالمشافهة غالباً. فلم يقتن المكتبات والكتب سوى الموسرين ومن نسخوا بأيديهم وحصلوا على الورق بأثمان باهظة. ولم تكن هناك مكتبات عامة معروفة إلا في بعض بيوت تفتح أبوابها للأصدقاء وفي الأديرة والمدارس المسيحية. واستمرت الحال هكذا حتى عرف الورق وصناعته في سمرقند وانتشر في العالم الاسلامي بعد ذلك فظهرت صناعة الوراقين (نساخي الكتب) وأنشأ الموسرون المكتبات العامة وأوقفوها لطالبي العلم كما تحدث بذلك الكثيرون عندما تحدثوا عن الحضارة الاسلامية في العصر العباسي ●

الهوامش

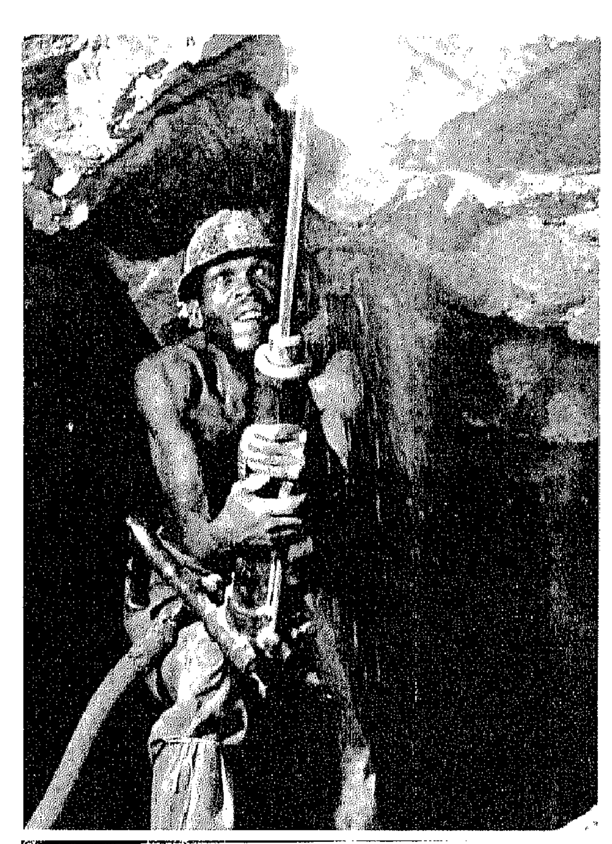
(١) مروج الذهب ٣١/٣
(٢) الفهرست – للنديم ١٣٨.
(٣) تعليقات شوقي ضيف على كتاب «تاريخ آداب اللغة العربية» لجرجي زيدان ٢٥٨/٢.
(٤) مقابلة مع الخوري أبي صعب في مجلة «الجمهور الجديد» اللبنانية – العدد الصادر في ١٩٧٥/٢/٩.
(٥) الفهرست – للنديم في مواضع متفرقة.
(٦) تذكرة الحفاظ – الذهبي... نقلا عن «دراسات في تاريخ الخط العربي» لصلاح الدين المنجد.
(٧) الطبقات الكبرى – لابن سعد ٣٨٩/٢.
(٨) طبقات الأطباء والحكماء – لابن جلجل ٦١.
(٩) ترجمة خالد في «الأعلام» للزركلي.
(١٠) جامع بيان العلم – لابن عبد البر ١٣٢/١.
(١١) الطبقات الكبرى – لابن سعد ٥٢/٥.
(١٢) وفيات الأعيان – لابن خلكان ٣١٧/٣.
(١٣) وفيات الأعيان – لابن خلكان ١٣٦/٣.
(١٤) تقييد العلم – للخطيب البغدادي في مواضع متفرقة.
(١٥) الأغاني ٢٥٥/٤.
(١٦) التنبيه والاشراف – للمسعودي ١٢٢.
(١٧) مقالة «من الاسكندرية إلى بغداد» ضمن كتاب «التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية» من تحرير وترجمة عبد الرحمن بدوي.
(١٨) حلية الأولياء – لأبي نعيم ٣٧٥/٢.
(١٩) فجر الاسلام – لأحمد أمين ١٣٩.
(٢٠) الفهرست – للنديم ٦.
(٢١) المجلد الأول ٣٩٥.

بيان طبعات المصادر والمراجع:

- **الاعلام – للزركلي: الطبعة الثالثة – بيروت ١٩٦٩ (لم يذكر اسم الطابع).**
- **الأغاني – للأصفهاني: نشر المطبعة البولسية بحريصا ودار الثقافة ببيروت ١٩٥٥.**
- **تاريخ آداب اللغة العربية – لزيدان: نشر دار الهلال بالقاهرة ١٩٥٧ مع تعليقات على الهوامش لشوقي ضيف.**
- التراث اليوناني في الحضارة الاسلامية – ترجمة وتبويب عبد الرحمن بدوي: نشر مكتبة النهضة المصرية – طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر – الطبعة الثالثة ١٩٦٥. القاهرة.
- **تقييد العلم – للخطيب البغدادي: بتحقيق يوسف العشي – نشر دار إحياء السنة النبوية (لعلها بدمشق!) – الطبعة الثانية ١٩٧٥.**
- **التنبيه والاشراف – للمسعودي: بتحقيق دخوية – طبع مطبعة بريل في ليدن بهولندا سنة ١٨٩٤ – جدد طبعه مصوراً بالأوفست في مطبعة خياط ببيروت.**
- **جامع بيان العلم وفضله – لابن عبد البر: نشر المكتبة العلمية بالمدينة المنورة.**
- **حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – لأبي نعيم: نشره محمد أمين الخانجي بالقاهرة ثم طبعة مصورة بالأوفست في دار الكتاب العربي ببيروت.**
- **طبقات الأطباء والحكماء – لابن جلجل: بتحقيق فؤاد سيد – طبع ونشر المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية بالقاهرة ١٩٥٥ ثم طبعة بالأوفست ببيروت لناشر لم يفصح عن إسمه.**
- **الطبقات الكبرى – لابن سعد: طبع ونشر دار صادر ودار بيروت ببيروت.**
- **فجر الاسلام – لأحمد أمين: نشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة – الطبعة التاسعة ١٩٦٥.**
- **الفهرست – للنديم: بتحقيق فلوغل – طبع في أوروبا ثم أعيد طبعه بالأوفست ونشرته مكتبة المثنى ببغداد.**
- **مروج الذهب ومعادن الجوهر: مع فهارس كشافة وضعها يوسف أسعد داغر نشر دار الأندلس ببيروت – الطبعة الثانية ١٩٧٣.**
- **وفيات الأعيان – لابن خلكان: نشر مكتبة النهضة المصرية بالقاهرة ١٩٤٨.**

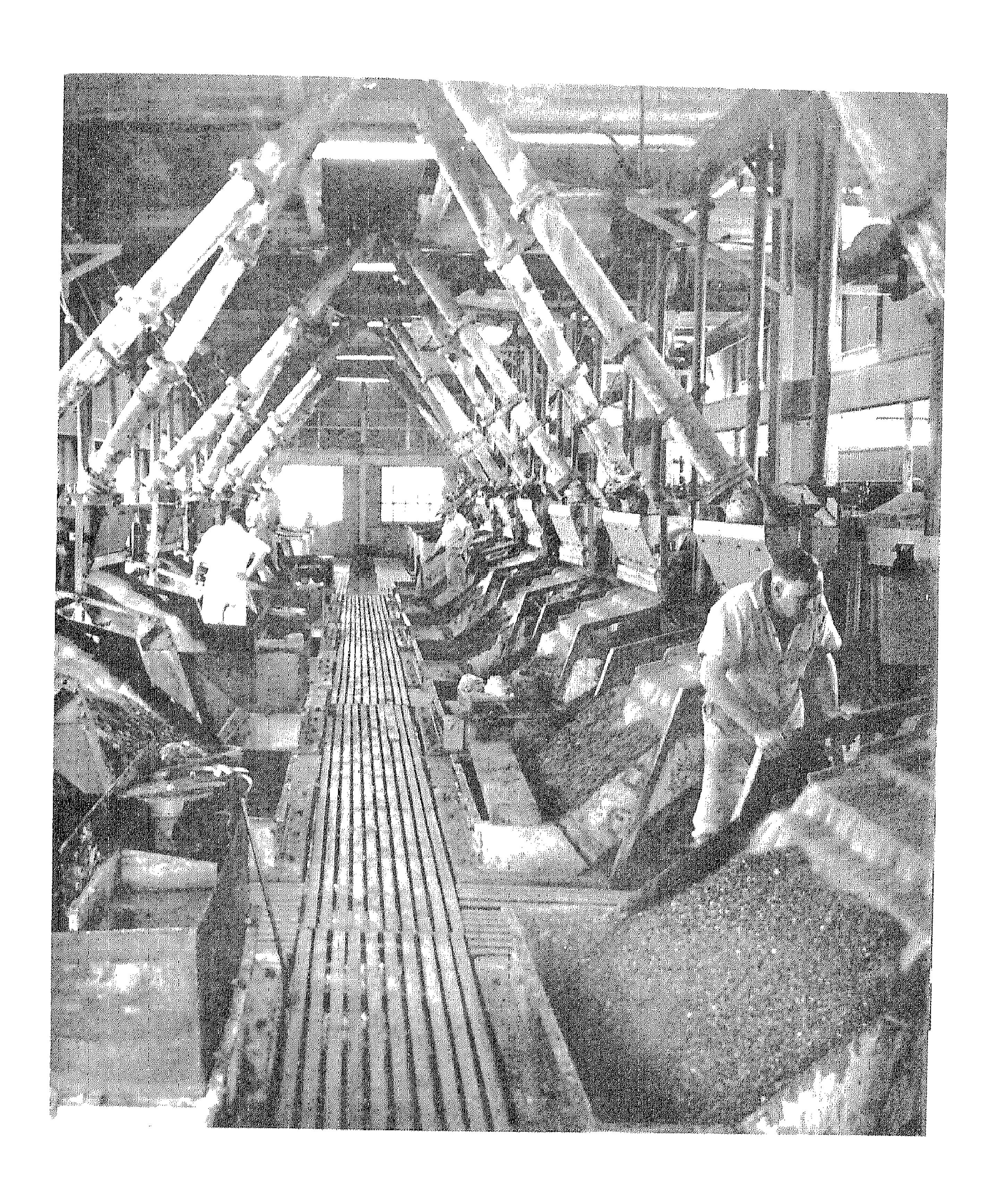

الماس
خف حمله
و
غلا ثمنه
متى سمعان بوري

● هو كربون صاف تبلور في داخل الأرض على مر ملايين السنين حتى أصبح ماسا. وهو من أقسى المواد المعروفة في العالم وأغلى حجر كريم ولا يضاهيه سعراً إلا الياقوت الأحمر المسمى «روبي» وذلك لندرة وجوده وتعدد خصائصه وهو يكون عند استخراجه في شكل أحجار خام وبأشكال مختلفة منها المكعب والمستطيل والمروس والمستدير. وله عدة ألوان منها الأبيض والأزرق والأصفر والأسمر والأخضر والأسود وبعد استخراجه يجرى تصنيفه حجماً ولوناً وصفاء. وهناك عدة عوامل ومواصفات تقرر سعر الماس وهذه المواصفات هي الحجم واللون ودرجة النقاوة وعامل أخير مهم هو طريقة صقله. فللحجر الماسي مواصفات ومقاسات عالمية متفق عليها عند صقل الحجر كالاستدارة والسمك أي الثخانة. وان شكل الحجر الماسي المسمى بالبرلنت هو كالهرم المقلوب إلى حد ما ولكي يكون كامل الأوصاف، وهذا نادر جداً، ينبغي أن يكون لونه ما يسميه عامة الشعب الأزرق. وهو في الحقيقة ليس باللون الأزرق إنما أبيض ناصع البياض مع ميل إلى بعض الزرقة وأن يكون جوهره لامعاً براقاً نظيفاً نقياً خالياً من أي خدش أو نقطة أو تشويه وان يكون صقله جيداً فاذا توافرت كل هذه الصفات في حجر ماسي من نوع البرلنت أصبح سعره خيالياً. وهناك قاعدة في أسعار الأحجار البرلنت وهي أنه كلما زاد وزن الحجر زاد سعر الوحدة بمعنى أنه إذا كان سعر القيراط الواحد من نوع ما هو خمسة آلاف ليرة مثلاً للقيراط الواحد عندما يكون الوزن قيراطاً واحداً فان المواصفات نفسها إذا توافرت في حجر آخر من النوعية نفسها وزنه قيراطين، تجعل سعر القيراط الواحد سبعة آلاف أو ثمانية آلاف ليرة وعندما يصبح وزنه ثلاثة قراريط يصبح سعر القيراط عشرة آلاف ليرة وهكذا. ولكن هذه القاعدة لا تنطبق إلاّ على الأحجار التي تزيد عن نصف القيراط حتى سبعة أو ثمانية قراريط فقط وما زاد عن هذا الوزن أو نقص فالقاعدة تصبح عادية. ولكنها مقسومة إلى قسمين قسم ما تحت النصف القيراط وقسم ما فوق الثمانية القراريط. وهناك أشكال عديدة من الماس البرلنت فالمستعمل بكثرة أي بنسبة ٩٠ في المائة هو المستدير. انما يوجد المربع والمستطيل والموكيز وشكل القلب وشكل المثلث. والماس يقسم إلى عدة أنواع وذلك تبعاً لطريقة صقله. فكل الذي ذكرناه سابقاً هو



أحد عمال المناجم في أفريقيا يثقب مكانا في الصخر ليزرع فيه أصبع متفجرات خلال عملية تنقيب عن الماس

للبرلنت. ويوجد الفلمنك وشكله كنصف الكرة أي مسطح من الأسفل ومثل القبة من الأعلى أما مصير شكل الحجر عند صقله فيقرره خبير الصقل حتى لا يفقد الحجر كثيراً من وزنه. فالحجر الخام القريب للشكل المستطيل يصقل مستطيلاً والقريب لشكل الإجاص يعمل كشكل الإجاص وهلم جراً. إن معامل صقل الماس موجودة في كثير من دول العالم. ولبنان فيه ما يزيد على العشرين معملاً من هذا النوع وهو رقم مرتفع بالنسبة لحجم لبنان الجغرافي وعدد سكانه. أما الأحجام بالنسبة للماس فهي عديدة متنوعة. فهنالك أحجار صغيرة وزن الواحد منها لا يتعدى اثنين من الألف من القيراط أي خمسمائة حجر تزن قيراطاً واحداً. (القيراط هو خمس الغرام، كل خمسة قراريط تساوي غراماً واحداً) وهناك الأكبر والأكبر. ان خمسة وتسعين في المائة من الماس المستخرج في العالم مصدره أفريقيا. ويوجد في صخور بركانية وفي بعض شواطئ الأنهار وخصوصاً الشواطئ الرملية الحصوية أي التي يكثر فيها الحصى. وحتى القرن السابع عشر لم يكن يستخرج إلاّ من الهند. وعندما نضب هناك ابتدأ التنقيب عنه في أماكن أخرى وتم اكتشافه في أفريقيا



عملية فرز الماس عن الأتربة والحصى.

بكميات كبيرة ثم في البرازيل ولكن بكميات ضئيلة. وفي العام ١٩٥٦ اكتشف في سيبيريا في الاتحاد السوفياتي.

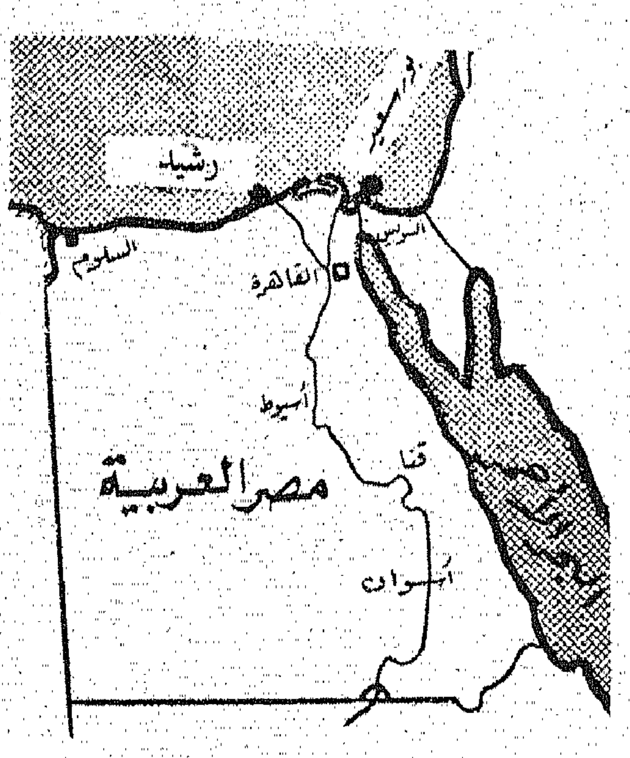
ان أكبر ماسة أكتشفت قد استخرجت من أفريقيا عام ١٩٠٥. وهي نجمة أفريقيا. وكان وزنها قبل صقلها ٣١٠٦ قراريط وبعد صقلها أصبح وزنها ٥٣٠،٣٠ قيراطاً وهي موجودة الآن بين مجموعة مجوهرات التاج البريطاني. أما الثانية فهي الاكسلسيور. استخرجت أيضاً من أفريقيا عام ١٨٩٣ وكان وزنها عند استخراجها ٩٩٥،٢٠ قيراطاً. ولكنها قطعت إلى عدة قطع وذلك لاستحالة صقلها قطعة واحدة وذلك نظراً لشكلها غير المتناسق. يلي ذلك الماسة المغولية المستخرجة أيضاً من الهند في القرن السابع عشر. وكان وزنها قبل صقلها ٨١٧،٥٠ قيراطاً ثم أصبح وزنها بعد صقلها ٢٨٧،٥٠ قيراطاً. أما الماسة كوهيفور، ولا زلنا في الهند، فكان وزنها عند استخراجها قبل خمسة آلاف عام ٨٠٠ قيراط. وقد فقدت ثم وجدت ثانية في العام ١٣٠٤ وجرى صقلها عام ١٨٤٩. وأصبح وزنها ١٠٨،٩٠قراريط فقط وهي باقية تمثل واحدة من مجوهرات التاج البريطاني. ماسة الجوبيلي استخرجت من جنوب أفريقيا عام ١٨٩٥ وزنها بعد صقلها ٢٤٥،٣٥ قيراطاً. ماسة الرجنت استخرجت من الهند عام ١٧٠١. وزنها بعد صقلها ١٤٠،٥ قيراطاً وموجودة الآن في متحف اللوفر في باريس وكانت سابقاً ضمن مجوهرات التاج الملكي الفرنسي. ماسة الأورلوف من الهند وزنها بعد الصقل ١٩٩،٦٠ قيراطاً. أهديت إلى كاترين الثانية الروسية عام ١٧٧٣. الماسة الزرقاء التي بلغ وزنها بعد الصقل ٤٤،٤٠ قيراطاً كانت ضمن مجوهرات أحد معابد الهند ثم انتقلت لعدة أشخاص جلبت لهم الشؤم وسوء الحظ ثم استقرت عام ١٩٥٠ في محلات هاري ونستون المعروفة في نيويورك. وهناك عدة ماسات مشهورة أخرى مثل الجونكر (٧٢٦ قيراطاً) والفاركاسي (٢٦٢ قيراطاً) ويسمونها نجمة الجنوب. وقد استخرجت من البرازيل. وهنالك ماسة الفلورنتين (١٣٧ قيراطاً) كما انه توجد ماسة وزنها ١٢٨،٥٠ قيراطاً موجودة في محلات تيفاني المعروفة في أميركا. هذا ويوجد العديد من الماسات القيمة الممتازة في العالم وخصوصاً ضمن مجوهرات العائلات الأميركية الغنية كعائلات ملوك البترول وأصحاب الملايين. وقد بدأت ماسات كثيرة ذات أسعار خيالية تنتقل إلى الأثرياء العرب وذلك لأسباب متعددة منها الزينة ومنها الاستثمار ومنها التخلص من العملات الورقية.

الأخف والأغلى

والماس هو الذي ينطبق عليه تماماً قول «ما خف حمله وغلا ثمنه». فانه من الأسهل كثيراً ان تنتقل وفي جيبك عشر ماسات ثمنها مليون دولار من أن تنقل بناية بعشرين طابقاً وبالثمن نفسه. ان الماس وخصوصاً ذا الحجم الكبير منه في تنقل دائم. فهو دائماً ينتقل من البلاد الفقيرة إلى الغنية ثم عندما يدور دولاب الزمن وتصبح الغنية فقيرة وتظهر دول أخرى غنية يعود إلى التنقل. وأكبر دليل على ذلك هو الدولة العثمانية وتطور وضعها منذ كانت اسطمبول هي محط أنظار عشاق المجوهرات من بائعين وشارين ومركزاً عالمياً لتجارة الماس نظراً لوجود السلطان والأمراء والوزراء والحاشية وما يشترونه من مجوهرات. كما أنه في عهد الملك فؤاد ثم فاروق في مصر انتقلت هذه التجارة إلى مصر وشهدت عصراً ذهبياً. كما أن روسيا القيصرية وفرنسا الملكية والمانيا الامبراطورية لم تشذ عن القاعدة. أما اليوم وبعد أن تغيرت الدنيا اجتذبت الدول أو بالأحرى أثرياء الدول الغنية الماس كما يجتذب المغناطيس الحديد. والبلدان الأولى في الصناعة لصقل الماس في العالم هي بلجيكا والكيان الصهيوني وهولاندا وتليها الهند. وهي في سباق مع الجميع في هذا المجال. وما يساعد الهند على التفوق هو رخص اليد العاملة. فالعامل الهندي الخبير يتقاضى ربع ايجار العامل البلجيكي. ولكن البلجيكيين متفوقون في صقل الاحجار الكبيرة وذلك لسهولة حصولهم عليها وسيطرتهم على مناجم الذهب في جنوب أفريقيا بينما يفتقر الهنود إلى الأحجار الخام الكبيرة نظراً لاحتكار الشركات الأجنبية البلجيكية والافريقية التي تتعاطف مع بلجيكيا لهذه الأحجار. كذلك فان لبريطانيا حصة كبيرة في تجارة الماس وصناعة صقله نظراً لارتباطاتها القديمة بأفريقيا وجذورها العميقة هناك منذ أيام الاستعمار البريطاني للقارة السوداء. كما انه تجدر الاشارة إلى ان العدو الاسرائيلي له نصيبه في هذا المضمار وهذا بديهي. فمن المعروف عن اليهود أنهم بطبيعتهم ميالون إلى الأعمال التجارية والأسهم والسندات والذهب والماس وما شاكلها. والولايات المتحدة هي السوق الرئيسية لمنتجاتهم من الماس كما ان لليهود بصفة خاصة نصيباً كبيراً في أكبر الشركات التي تملك مناجم الماس خصوصاً في جنوب أفريقيا. ●

عبر من التاريخ

معركة رشيد



٣١ آذار (مارس) ١٨٠٧

فتحي رضوان

● لاينفد حب التاريخ للاسماء الصغيرة والمجهولة. فاكبر وقائع التاريخ تدور على أرض قرى لم يسمع عنها احد. واكبر احداثه يضطلع بها مجهولون لم تلتفت اليهم من قبل عين. ولم تسمع بهم اذن.

فالمعارك التي غيرت التاريخ جرت على أرض بدر، و واترلو والعلمين وفالمي. والوقائع البحرية الكبرى جرت على مياه اكتيوم وأبو قير والطرف الاغر. وجريا على هذا المنهج المحبب الى قلب التاريخ لعبت رشيد في اليوم الحادي والثلاثين من آذار (مارس) سنة ١٨٠٧ دورا في هذا الجانب من العالم

وقد كانت موقعة رشيد في الحادي والثلاثين من آذار (مارس) سنة ١٨٠٧ موقعة فريدة لان جيشا بريطانيا مدربا يقوده قائدان بريطانيان محنكان ومحترفان لقيا هزيمتها كما قتل أحدهما. على يد جماعة من أهل رشيد اعدت نفسها على عجل وتلقائية ملهمة. اقسمت بالثقة بالنفس والاطمئنان الى النصر، واستبعاد ما يتركه استعظام قوة العدو من التردد أو التسويف ولو تذكرت

هذه الجماعة الصغيرة المؤمنة. انتصارات العدو الغازي المقتحم القريبة التي وقعت غير بعيد من رشيد نفسها. وفي مقدمتها معركة أبو قير البحرية. لألقت السلاح ولما كتب لها أن تغلب القائدين الكبيرين ويكوب وفريزر ولما أسرت من أسرت. وقتلت من قتلت.

ويوم رشيد يبرز في تاريخ عالم الحروب والسياسة معا في هالة من المجد لانه بدد احلام امبراطورية البريطانيين واطماعهم في هذا الجانب النفيس من العالم نحو ثلاثة أرباع قرن من الزمان. (١٨٠٧-١٨٨٢) فأتاح بذلك لمصر أن تحقق ثلاثة أمور ضخمة:

انشاء دولة شامخة حديثة مستقلة عن دولة العثمانيين قادرة على منافسة امبراطوريتهم ومنجزاتها ومحاولة الحلول محلها في زعامة العالم الاسلامي والعربي معاً.

استئناف مصر للعمل الحضاري الذي انقطع أو توقف منذ وضع الاتراك أقدامهم على أرضها سنة ١٥١٧ مما أعان المصريين كثيراً في حروبهم ومعاركهم ضد الاحتلال العسكري البريطاني والاحتلال الاوروبي الفكري والروحي.

والنظر في يوم رشيد الاغريد المتأمل والباحث بمدد هائل من الخواطر والافكار حتى كأنه مائة يوم. أو كأنه قطاع كامل من تاريخ مصر كله. وأهم ما يستوقف نظرك بساطة المصري المقاتل في ذلك اليوم. فلا ضجيج ولا تهويل.. بل شعب احس أن داره تقتحم. وعرضه ينتهك. فشهر سيفه وأرهف رمحه. ومضى الى القتال لا يلوى على شيء.

وثاني ما يستوقفك أن معركة رشيد وان تمت في بساطة. الا انها تمت مع ذلك في تنظيم وتدبير مما يؤكد ان اعلى مراتب الاجادة لا تتجلى الا في بساطة العمل.

وثالث ما يستوقفك أن أهل رشيد أدركوا انهم أهل مصر كلها وأنهم حينما يدفعون بالعدو المغير على أرضهم الى البحر. أو يوقعونه في الاسر انما يدافعون عن الارض كلها وعن الوطن بأسره لذلك فقد هبت روح مصر العميقة الخالدة الى نجدتهم فابدعوا ابداعها وكأنما كان يحارب معهم في صفوفهم وتحت أعلامهم أحمس وصلاح لذلك لم تظل المعركة وأن عظم اثرها وكبر خطرها.

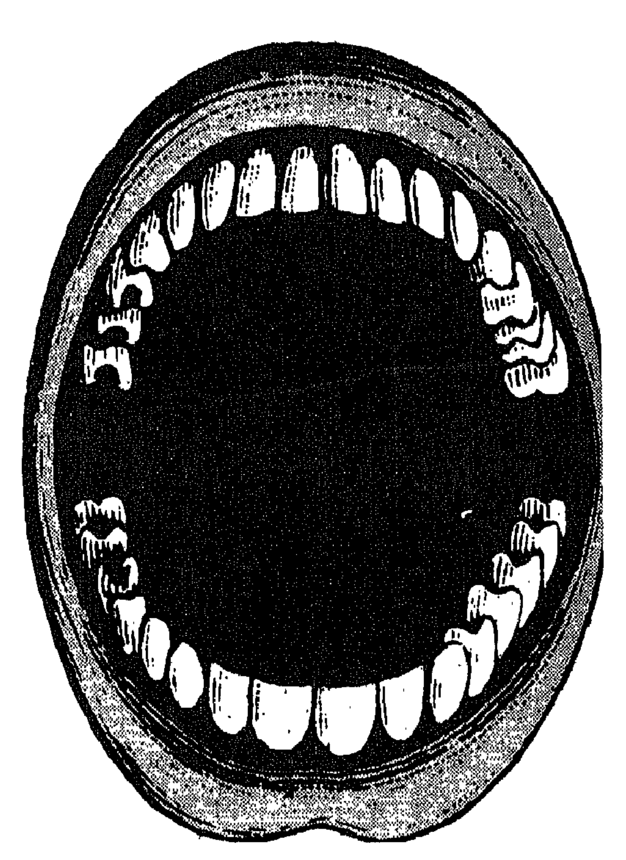
ثم يتوج هذا كله أن معركة رشيد جلت لكل جيل سابق ولا حق من المصريين. الحقيقة الكبرى التي كشفت عنها المعارك الكبرى وهي أن الحروب لا تكسب فقط بالسلاح الكثير ولا بالجند الكثيف. وانما تكسب اولا وقبل كل شيء بايمان المقاتلين بقضيتهم وعقدهم العزم على التضحية بكل ما يملكون. ومن هنا لم يكن عبثا أن آية الجهاد في القرآن قدمت القوة على رباط الخيل فالقوة تتسع لكل وسيلة من وسائل النصر في المعارك. ولم تكن صدفة كذلك ان اهل بدر كانوا ثلاثمائة واربعة عشر مقاتلاً فغلبوا تسعمائة. ولا ان الامبراطورية النمساوية البروسية حشدت جيوشها تحت قيادة قائد من اعظم الجيوش وسيرتها الى حدود فرنسا قمعا للثورة الفرنسية وكان كل شيء يؤكد أن جيوش الامبراطوريات ستمزق شمل جيش الغزاة الحفاة الذين عرفوا في التاريخ باسم «سان كيلوت» اي الذين لا يجدون ما يلبسونه ولكن معركة «فالمي» اذهلت كل خبراء الحرب. فقد ثبت الحفاة أمام مدافع العتاة حتى قالوا أن المطر وحل ارض المعركة في «فالمي» فصعب على الفرنسيين سحب مدافعهم من مواقعها. أي أنهم كانوا مرغمين لا أبطال: ولكن «غوته» شاعر المانيا العظيم لم يلتفت الى هذا التفسير وقال: انه عهد ينتهي وعهد يبدأ..

وما استنبطه الناس من معركة «فالمي» نستنبطه نحن من معركة رشيد.

ومن هنا وجب علينا في يوم ٣١ من آذار (مارس) أن نقف صفاً: ثم نحني الهام ونحسر الرؤوس تحية لرشيد العظيمة ومعركتها الخالدة ويومها الذي سيبقى على مر الزمن.

كيف نشأ طب الأسنان في الشرق القديم؟

د. ريمون فرام



● في اطار إهتمام «تاريخ العرب والعالم» بالتاريخ العام للشعوب والحضارات. تقدم فيما يلي محاولة للتأريخ لنشأة طب الأسنان في العصور القديمة وكيفية انتقاله من طابعه البدائي الذي كان أشبه بالسحر والشعوذة - إلى البدايات الأولى في اتخاذه لطابعه العلمي.

تركز هذه المقالة على دور علم الآثار في كشف جوانب محددة من أساليب تعاطي الأقدمين بوجع الأسنان أو تسويسها.

ويسرنا أن يشارك الأطباء والعلماء العرب في اغناء معلومات القارئ العربي حول ناحية أو أكثر من نواحي التاريخ العلمي للحضارات.

د. ريمون فرام، جرّاح في طب الأسنان. الجامعة اليسوعية

● اهتم الانسان بأسنانه منذ فجر التاريخ بسبب ما لها من علاقة مباشرة يومية بحاجة أساسية عنده وهي هضم الأكل.

وكان من الطبيعي أن يتطور الاهتمام بالأمراض التي تعتري أسنان الانسان كلما تقدمت الحضارة البشرية في مجال اكتشاف أسرار الطبيعة ومكوّناتها.

في البدء كانت مداواة وجع الأسنان تتلخص في خدش اللثة تحت السن المصاب بمسمار، مما يفصل، حسب اعتقاد الانسان البدائي، بين الألم والسن. وكان للسحر والشعوذة دور كبير في محاولة تخفيف وجع الانسان الناتج عن نخر أسنانه.

ولم يجر استعمال الأعشاب الطبية المخدّرة التي اكتشفت صدفة إلا حوالي العام ٤٠٠٠ أو ٣٥٠٠ ق.م. ومن هذه الأعشاب نذكر الخشخاش (نبات الأفيون) والقنّب الهندي واللّفاح والحشيش، وكانت تستخدم إما كشراب ساخن أو تحرق لتنتشر رائحة مخدرة أو تستعمل كما هي بفركها ووضعها موضع الألم.

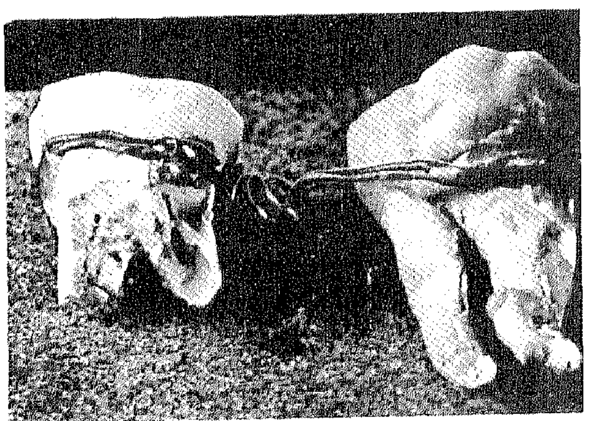
واستعملت هذه الوصفات الطبية الطبيعية كدواء مخفف لوجع الأسنان قروناً عديدة، حتى جاء اكتشاف الزاج (Vitriole) (أي السلفات المعروف حالياً) في القرن الثالث عشر الميلادي ليقدم كسباً جديداً لمنجزات الطب الحديث. ولكن لم يتم استخدام هذا الاكتشاف في صورة فعالة إلا بعد سنوات من التجارب والتردد استمرت خلالها معالجة تسوس الأسنان بالطريقة الوحيدة التي كانت تستأصل المرض من أساسه: الخلع.

وهنا كانت الأساليب مختلفة لكنها تلتقي كلها في ناحية واحدة وهي عدم أخذ موافقة المريض مسبقاً مهما تكن المبررات ومهما تعاظمت الأوجاع.

ومع اكتشاف البنج أصبحت مداواة أمراض الأسنان أقل صعوبة من السابق. وتمت العملية الجراحية الأولى في هذا المجال باستخدام البنج على يد الطبيب الاميركي هوراس ويلز في العام ١٨٤٤.

ولكن اذا كان البنج لم يكتشف ويستخدم إلا في العصور الحديثة، فكيف كان أجدادنا يعالجون أمراض الأسنان التي تسبب من الألم ما يشل قدرة الانسان عن الحركة وحتى عن التفكير السليم؟

الجواب نجده في أعمال التنقيب العديدة عن آثار



الضرس المخلخل يربط بخيط ذهبي مع الضرس السليم: اكتشاف يونغر في الجيزة

الانسان البدائي. فماذا تظهر لنا هذه الاكتشافات؟

رغم عدم انتشار تسوس الأسنان في تلك العصور الغابرة بسبب طبيعة المأكول في حد ذاتها، إلا ان الانسان البدائي كان يمتاز بنتوءات بارزة في أسنانه تظهر خصوصاً على شكل اعوجاجات حادة ووجود فراغات واسعة بين السن والأخرى. وكانت هذه الظاهرة الناتجة عن صلابة المواد الممضوغة، تفسر في صورة مختلفة تماماً عند شعب وآخر أو بين منطقة وأخرى: ففي ايطاليا فسرت هذه النتوءات على أنها علامة للحظ السعيد لصاحبها ولطول عمره. وفي سويسرا اعتبرت هذه الظاهرة بمثابة اشارة إلى ان صاحبها مؤهل ليصبح مغنيّا كبيراً. أما في مناطق أخرى، كشبه الجزيرة العربية، فكانت تفسر كنذير شؤم ليس فقط لصاحبها ولكن أيضاً لمن يصاحبه.

وساهم علماء الآثار مساهمة كبيرة في القاء الضوء على الجوانب الخفية المتعددة لتاريخ طب الأسنان في العصور الغابرة. من هذه الاكتشافات نذكر:

- الأسنان المزروعة في طريقة بدائية والتي وجدت في حفريات قرب صيدا (لبنان).
- الأضراس المحشوة في شكل مربع والتي وجدت في جماجم من الاكوادور (أميركا الجنوبية).
- التيجان الذهبية للأسنان والتي تعود إلى الامبراطورية الرومانية القديمة (٢٧ ق.م. – ٤٧٦م.).
- طقم أسنان اصطناعية وأبراج ذهبية اكتشفت عند أفراد من شعب الاتروسك القديم (حالياً في منطقة توسكانا الايطالية).



«طبيب أسنان يداوي فلاحاً». رسم للوكاس فان لايدن سنة ١٥٢٣ م.



عيادة طبيب أسنان قديمة : كانت تعج دائماً بالمرضى.

ومما لا شك فيه أن أهم الاكتشافات الأثرية في هذا المجال هي التي تعود إلى عهد الدولة الفرعونية القديمة (٣٢٠٠ ق.م. – ٢١١١ ق.م.). وبرهنت هذه الاكتشافات على معرفة أوائل الفراعنة ببعض أسرار طب الأسنان وجراحتها.

وتم استخلاص معظم المعلومات عن الحياة الاجتماعية في هذه الدولة استناداً إلى ما كتب على لفائف البردى. ويتفق المؤرخون على ان ايمحوتيب، وزير الملك زوزير (٢٨٠٠ ق.م.) كان صاحب أول النصوص الطبية المكتوبة.

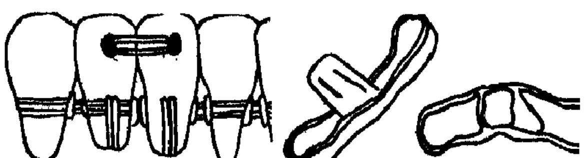
من بين عشرات العلماء والمؤرخين الذين تخصصوا في التنقيب عن الآثار الفرعونية لهذا الهدف بالذات، نشير إلى جهود ثلاثة منهم :

الباحث الأميركي هووتن الذي انكب في العام ١٩١٧ على دراسة مكوّنات الفك الأسفل لأحدى الجماجم التي يعود تاريخها إلى حوالى العام ٢٧٠٠ ق.م. ففي داخل هذا الفك تظهر كل الأسنان متآكلة. والمثير في الأمر هو وجود ثقبين تحت الأضراس استنتج منهما هووتن، بعد التدقيق والتحليل والمقاونة «... وجود معرفة بدائية أكيدة بجراحة

الاسنان في الدولة الفرعونية القديمة».

وتابع العالم الأميركي جيمس هنري بريستد ابحاث هووتن، فأكد في العام ١٩٣٠ ان وجود هذين الثقبين يشير في وضوح إلى استعمال أنواع بدائية لأدوات جراحية متخصصة، كانت من البرونز على الأرجح.

وفيما بعد أضاف عالم الآثار الاسترالي هيرمان يونغر اثباتاً جديداً في مجال التأكيد على تطور جراحة

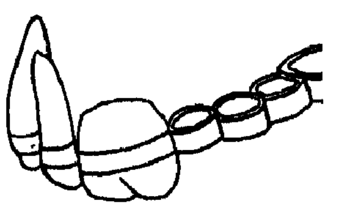


تيجان ذهبية للاسنان (روما القديمة).

الأسنان الاصطناعية (صيدا - لبنان).



أضراس محشوة (الأكوادور)

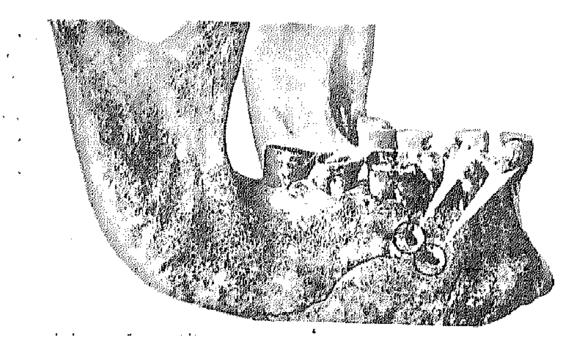


طقم أسنان اصطناعية ذهبية (الحضارة الأترورية)

طب الأسنان، وذلك من خلال اكتشافه لسنّين تربطهما سلسلة ذهبية مما يشير إلى معرفة الفراعنة بالمبادئ الأولية لطب الأسنان الترقيعي.

ومنذ ذلك الوقت ركز العلماء اهتمامهم في هذا الاتجاه وأخذوا يعيدون اكتشاف الآثار الفرعونية القديمة ليجلوا أسرار علم طب الأسنان الذي كان متطوراً جداً في ذلك الوقت - بالمقارنة مع بقية الشعوب الأخرى - لأسباب لا تزال حتى اليوم مدار خلاف بين العلماء والمؤرخين.

وللتدليل على ذلك، نورد فيما يلي رأي الباحث الدكتور بول غليونجي، المتخصص في علم الطب العام



هذا الفك وهذان الثقبان أثبتت ان الفراعنة عرفوا جراحة الأسنان قبل ٥٠٠٠ سنة.

عند قدامى المصريين، والذي كشف جوانب مهمة م التطور الكبير لطب الأسنان عندهم. فكتب موج ابحاثه:

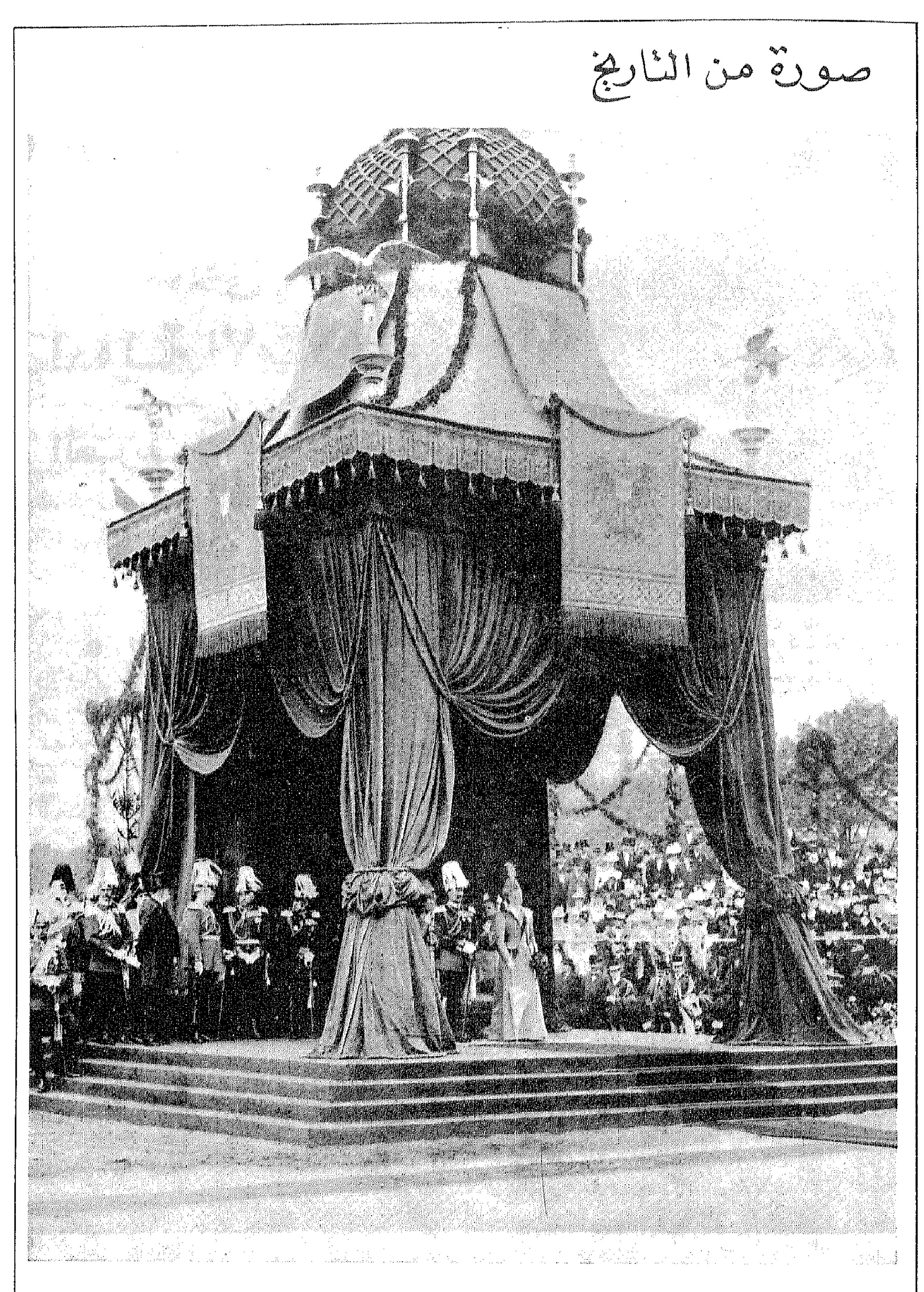
«كان أخصائيو الأسنان على درجات مختلفة فمنهم رؤساء الاخصائيين ومنهم الطبيب العادي.. وبالرغم من ان التسوس كان نادراً، فان البيور والخراريج كانت منتشرة. وما زاد في هذا الانتشا تقدم الحضارة وزيادة الترف في العصور القريبة خا في الطبقات العليا، كما هو ظاهر في جمجمة أمينوفيس الثالث الذي قال عنه اليوت سميث مازحاً بعدما وج خرّاجين تحت أسنانه: «لم يكن على فرعون في ترف طبية ان يواجه دسائس الكهنة فحسب لكنه كا ضحية لآلام أسنانه أيضاً».

«ومن أسماء أمراض الأسنان التي لم يصل علما اللغة إلى تفسير مدلولاتها اسم «آكل اللحم»، ففسر «أبيل» بالاسقربوط وغيره بالبيوريا».

«وفي حال حدوث التسوس كانوا يحشو الأسنان بالعسل والصمغ وسلفات النحاس، وكانت الأسنان المخلخلة تربط بالأسنان المجاورة لها بخيط م الذهب. وكانت الخراريج تصرّف بواسطة تربنة صغير في عظم الفك، ولم يصلنا أي دليل على انهم كانوا يخلعون الأسنان، إلا ان الأقباط بعدهم كانوا يخلعونه بالحديد بعد وضع مخدر من نبات الخربق على الخد أو على جذور الأسنان».

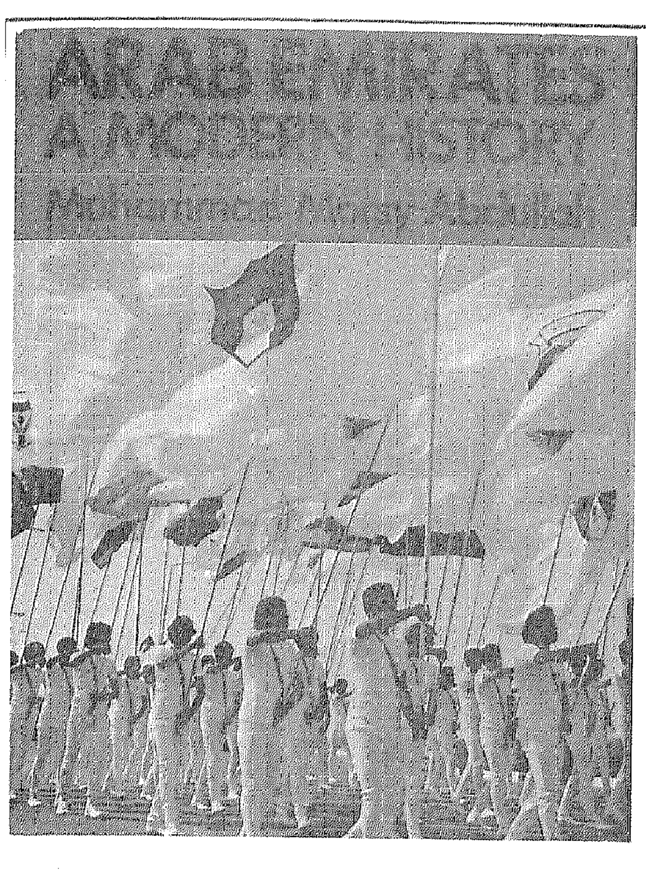
«ولتلقيح اللثة كانوا يصفون المراهم المركبة من الحليب والبلح الطازج والخروب الجاف أو الأيسوز والتيريبنتين وثمار الجميز..». (راجع المجلد الأول من موسوعة «تاريخ الحضارة المصرية»، منشورات وزارة الثقافة والارشاد القومي في مصر، لا تاريخ اصدار، ص ٥٥٦ - ٥٥٧). ●

صورة من التاريخ



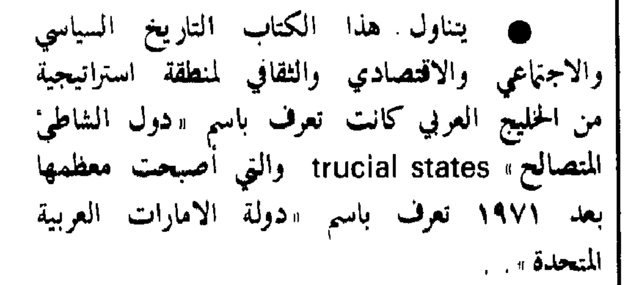
• خيمة القيصر الالماني وقرينته أثناء الاحتفال بتدشين قناة بحر الشمال والشرق، التي تربط منذ عام ١٨٩٥ بين البحرين.

مراجعة كتاب



التاريخ الحديث لدولة الامارات العربية المتحدة

د . محمد مرسي عبد الله



● يتناول . هذا الكتاب التاريخ السياسي والاجتماعي والاقتصادي والثقافي لمنطقة استراتيجية من الخليج العربي كانت تعرف باسم «دول الشاطئ المتصالح» trucial states والتي أصبحت معظمها بعد ١٩٧١ تعرف باسم «دولة الامارات العربية المتحدة» . .

يركز المؤلف في دراسته الوثائقية هذه على الفترة بين ١٨٩٢ (تاريخ دخول بريطانيا إلى المنطقة) و ١٩٧١ (تاريخ انسحابها منها) . من هنا فان الدور البريطاني في هذه المنطقة هو محور اهتمام الكاتب ، الذي استطاع . بحكم مركزه وتخصصه . أن يطلع على العديد من الوثائق السرية وغير المنشورة والتي استقاها من مراكز وأرشيف الدوائر الرسمية وشبه الرسمية في لندن وبرلين وباريس واسطنبول وواشنطن . اضافة إلى وسائل أخرى منها تقارير بعض البعثات التبشيرية الأميركية في المنطقة . أما المراجع المنشورة التي استند اليها هنا فهي في حدود ٧٦ مرجعاً .

● تأليف د . محمد مرسي عبد الله . مدير مركز التوثيق والأبحاث التابع للقصر الرئاسي في أبو ظبي . (باللغة الانكليزية ١٩٧٨) .

ومما يعطي للكتاب أهمية كبيرة كون المؤلف أغنى بحثه بالعديد من المقابلات الخاصة مع مشايخ القبائل ورؤساء العائلات الكبرى في دولة الامارات العربية المتحدة . اضافة إلى أحاديثه مع الرعايا الأجانب فيها والشخصيات السياسية والاجتماعية والديبلوماسية .

مقدمة الكتاب :

في المقدمة يشير د . مرسي عبد الله إلى أنه استند في بحثه هذا إلى أطروحة الدكتوراه التي قدمها إلى جامعة كمبريدج في العام ١٩٧٥ وهي بعنوان : «بريطانيا ودول الشاطئ المتصالح بين ١٨٩٢ و ١٩٣٩» .

وبعدما يبرر سبب اختياره لتاريخي ١٨٩٢ و ١٩٧١ إطاراً لبحثه . يوضح د . مرسي عبد الله أن تركيزه الرئيسي تحدد حول مكانة هذه الامارات قديماً وحديثاً في الخط السياسي والاستراتيجية البريطانية وحول تشابك العلاقات بين سياسة كل من السعودية وايران الشاهنشاهية وبريطانيا في هذه المنطقة المهمة من الخليج العربي .

ويخلص من كل ذلك ليبرهن على أن التخوف

الذي أبداه الغرب من احتمال حدوث «فراغ» في المنطقة غداة الانسحاب العسكري البريطاني من الخليج في أواخر العام ١٩٧١ لم يكن يستند إلى أي أساس واقعي.

الفصل الأول: «دول الشاطئ المتصالح والمصالح الأمبريالية البريطانية» (ص ٢١ – ٨٦).

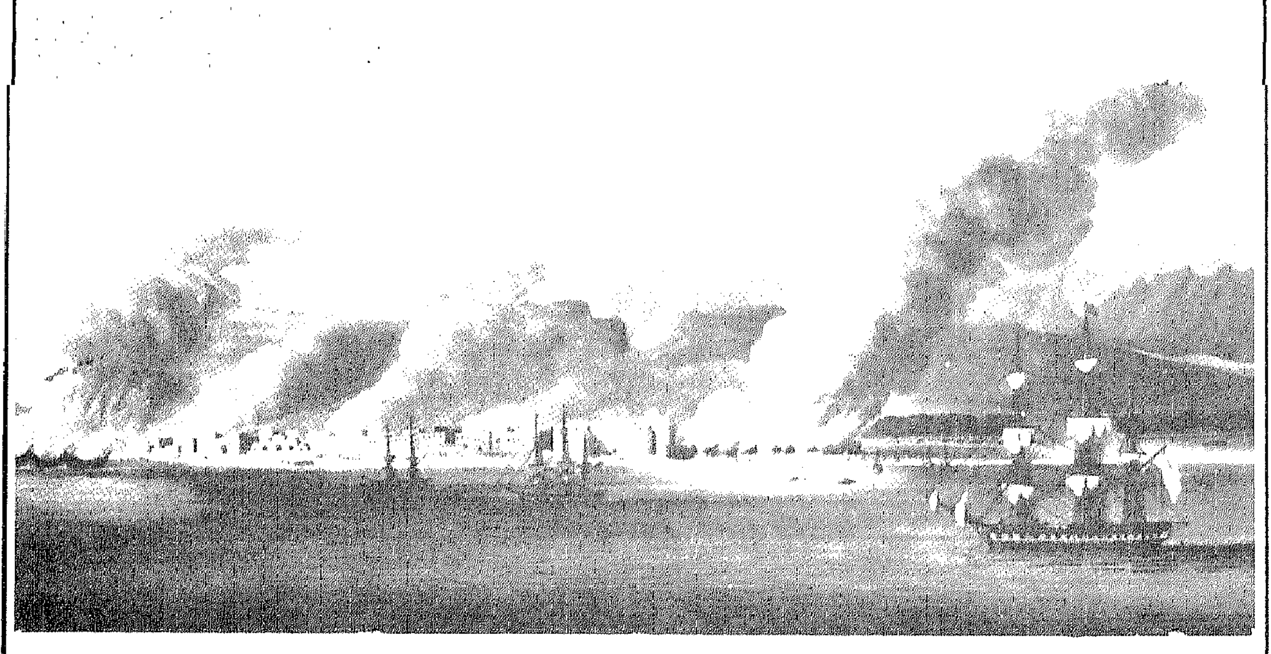
في هذا الفصل يتطرق المؤلف إلى العلاقات بين بريطانيا وهذه الدول من خلال التركيز على المصالح البريطانية في المنطقة وصراعها الخفي والعلني مع بقية الدول الكبرى يومها (فرنسا وروسيا وألمانيا ثم أميركا واليابان) لفرض هيمنتها سياسياً واقتصادياً وعسكرياً. وهو هنا يجمل الفترة كلها (١٨٩٢ – ١٩٧١) في الصفحات الستين الأولى مجزئاً اياها إلى ٣ مراحل تاريخية:

المرحلة الأولى (١٨٩٢ – ١٩١٨) تميزت حسب رأي المؤلف بعدم تدخل بريطانيا في الشؤون المحلية للشيوخ والحكام والأمراء «مع بعض الاستثناءات» (مثلاً. «حادثة دبي» في أواخر ١٩١٠. ص ٣٢ – ٣٨). وذلك بسبب أن هذه المنطقة – وحتى الحرب العالمية الثانية – كانت تعتبر مجرد نقطة استراتيجية للدفاع عن الوجود البريطاني في الهند. ويفسر الكاتب سبب دخول بريطانيا المنطقة بكثافة بأنه جاء كنتيجة مباشرة لتعرّض بواخرها لهجمات المتمردين القواسمة. حكام هذه المنطقة يومها. في بداية القرن التاسع عشر. مما أدى إلى شن الحملة العسكرية البريطانية على مرافئهم في عُمان (١٨١٩). وبالتالي اخضاعهم للتوقيع على اتفاقية (١٨٢٠) تلزمهم بوقف الهجمات على السفن البريطانية.

المرحلة الثانية (فترة ما بين الحربين العالميتين وحتى أوائل الستينات). تميزت بالاهتمام المتعاظم لبريطانيا بالمنطقة وتدخلها المباشر في شؤون سكانها المحليين. وذلك لعدة أسباب أبرزها اكتشاف النفط في أبو ظبي (١٩٤٥) بعد عشر سنوات من بدء التنقيب عن الذهب الأسود فيها. ثم الانسحاب البريطاني من الهند (١٩٤٧). وكانت هذه الفترة من أقسى فترات الصراع المرير بين بريطانيا ومنافسيها الغربيين واليابانيين.

المرحلة الثالثة (أواسط الستينات وحتى الانسحاب العسكري في أواخر ١٩٧١):

عزا د. مرسي عبد الله أهم أسباب الانسحاب الذي أعلنت عنه الحكومة البريطانية منذ العام ١٩٦٨ إلى الوضع الداخلي البريطاني نتيجة الخلاف بين المتحمسين لاستمرار الوجود البريطاني في الخارج والمؤيدين لحصر



الحملة البريطانية ضد القواسمة في العام ١٨١٩

اهتمام بريطانيا بمشاكلها الاقتصادية الداخلية ومصالحها في أوروبا. ويذكر هنا أن المبعوثين البريطانيين في المنطقة كانوا يميلون للرأي الأول.

الفصل الثاني:

التحولات الداخلية (ص ٨٩ – ١٥٦):

يمكن أن نعتبر هذا الفصل. مع الفصول الثلاثة الأخرى. الجانب الآخر من اللوحة التاريخية التي رسم د. مرسي عبد الله خطوطها الكبرى في الفصل الأول. اذ هو يكشف لنا. في هذه الفصول. المسببات العميقة والحقيقية لتحول السياسة البريطانية تجاه دول المنطقة من مبدأ عدم التدخل المباشر في شؤونها الداخلية إلى التدخل المباشر فالانسحاب أخيراً.

يبدأ المؤلف حديثه عن الحرب الأهلية خلال أوائل القرن الثامن عشر بين قبيلة الحيناوي (وكانت على رأسها عشيرة آل بو فلاح) وقبيلة الغفيري (وكانت على رأسها عشيرة القواسمة القوية). وكان دور بريطانيا في تلك المرحلة العمل على استتباب نوع من التوازن بين القبيلتين ومنع أي واحدة منها من التغلب على الاخرى.

بعد الحرب العالمية الأولى شهدت المنطقة تحولات كبيرة أوجزها المؤلف كما يلي:

انشاء أول هيئة تمثيلية محلية (بلدية دبي).

تأثير الانتفاضات الشعبية في سوريا وفلسطين والعراق ضد الانتدابين الفرنسي والبريطاني وضد الوجود الصهيوني النامي. في مشاعر السكان المحليين الذين أخذوا يظهرون تململاً واضحاً من ضغط الوجود الأجنبي العسكري في بلادهم. ويلمح هنا في ايجاز شديد إلى «ثورة الشيحوح في رؤوس الجبال» (١٩٣٠) (ص ١١٢). ثم يبسط للعلاقات بين السلطة البريطانية وبعض الحكام المحليين أمثال:

عبد الرحمن بن محمد. حاكم حيراح (الشارقة) (ص ١١٤ – ١٢٠).

والشيخ سلطان بن سالم. حاكم رأس الخيمة (ص ١٢٠ – ١٢٦).

ثم يتحدث عن انتفاضة دبي و«حركة المجلس» (١٩٢٩. ١٩٣٨ – آذار (مــارس) – ١٩٣٩) (ص ١٢٦ – ١٣٣).

تأثير الثقافة والصحافة الوطنية في الدول العربية المشرقية والمغربية على السواء. وهنا لا بد من التنويه بجهود المؤلف في التنقيب عن خفايا زيارتين كان لها أثر بارز في التطور اللاحق للشعور القومي العربي لدى سكان الخليج:

الأولى زيارة الزعيم التونسي «الثعالبي» للخليج. اذ ذكر المؤلف. استناداً إلى استقصاءات شخصية قام بها. انه لمناسبة هذه الزيارة نظم الطالب أحمد بن سليم شعراً، ترحيباً بالزعيم التونسي ألقاه في حضوره. وبعد الانتهاء من القاء القصيدة تقدم الثعالبي من الطالب وقال له بالحرف الواحد: «يا ابني. لا تنس أنك شاعر عربي يافع. وفي المستقبل عليك أن تنظم شعراً للنضال العربي الأوسع من أجل التحرير والتقدم» (من مقابلة خاصة مع الشاعر أحمد بن سليم. ص ١١٢).

الثانية زيارة الأديب اللبناني أمين الريحاني للمنطقة. حيث التقى في العام ١٩٢٢ بالملك ابن سعود بناء على طلب «قسم شؤون الشرق الأدنى في وزارة الخارجية الأميركية. وذلك بهدف وضع تقرير واف عن الوضع الداخلي في المنطقة وعن العلاقات السعودية – البريطانية. حينها أتهمته بريطانيا بخدمة المصالح البترولية للشركات الأميركية واذكاء شعور العداء ضدها. فحاولت عرقلة مهمته (راجع ص ٢١٤. الهامش رقم ٣٢).

بعد الحرب العالمية الثانية حلل المؤلف ما سمّاه «التحولات البعيدة المدى والحاسمة للمنطقة» (ص ١٣٣ – ١٥٢) من خلال تمييزه بين ثلاث مراحل تاريخية:

مرحلة ١٩٤٥ – نهاية الخمسينات. حين بدأ تحديث الثقافة والتعليم وانتشار الوعي القومي العربي. خصوصاً بعد نجاح الثورة الناصرية في مصر. مما دفع بريطانيا إلى زيادة دورها المباشر في المنطقة.

مرحلة ١٩٦٠ – ١٩٦٦ حين اتسعت

اجراءات التحديث في أبو ظبي ودبي. وأصبحت دبي مركز ترانزيت ومركزاً تجارياً ذا شأن.

- مرحلة ١٩٦٦ - ١٩٧١. حين جاء الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان إلى الحكم وباشر بتحديث الادارة الحكومية وتوسيع المشاركة في الحكم لأعضاء العائلة المالكة والشخصيات المحلية البارزة والكوادر الجديدة الشابة. وبعد العام ١٩٦٩ تزايد نفوذ أبو ظبي وبقية الامارات بعدما أصبحت دولاً مصدرة للنفط.

ولكن أهم تطور داخلي في نظر المؤلف كان اندفاع سكان الامارات. منذ الاعلان البريطاني بالانسحاب. إلى الوحدة فيما بينهم وتخطي الخلافات القبلية والعائلية المتوارثة وكسر التوازن الهش الذي حاولت بريطانيا المحافظة عليه طوال السنين الماضية.

وهنا يعمد المؤلف إلى نشر ملخص المقابلات التي أجراها مع الشخصيات والسكان العاديين العرب والاجانب حول شعورهم السياسي وموقفهم تجاه السياسة البريطانية في المنطقة. مما يضفي على الدراسة بعداً اجتماعياً حياً قلما نجده في كتب التاريخ العربي الحديث.

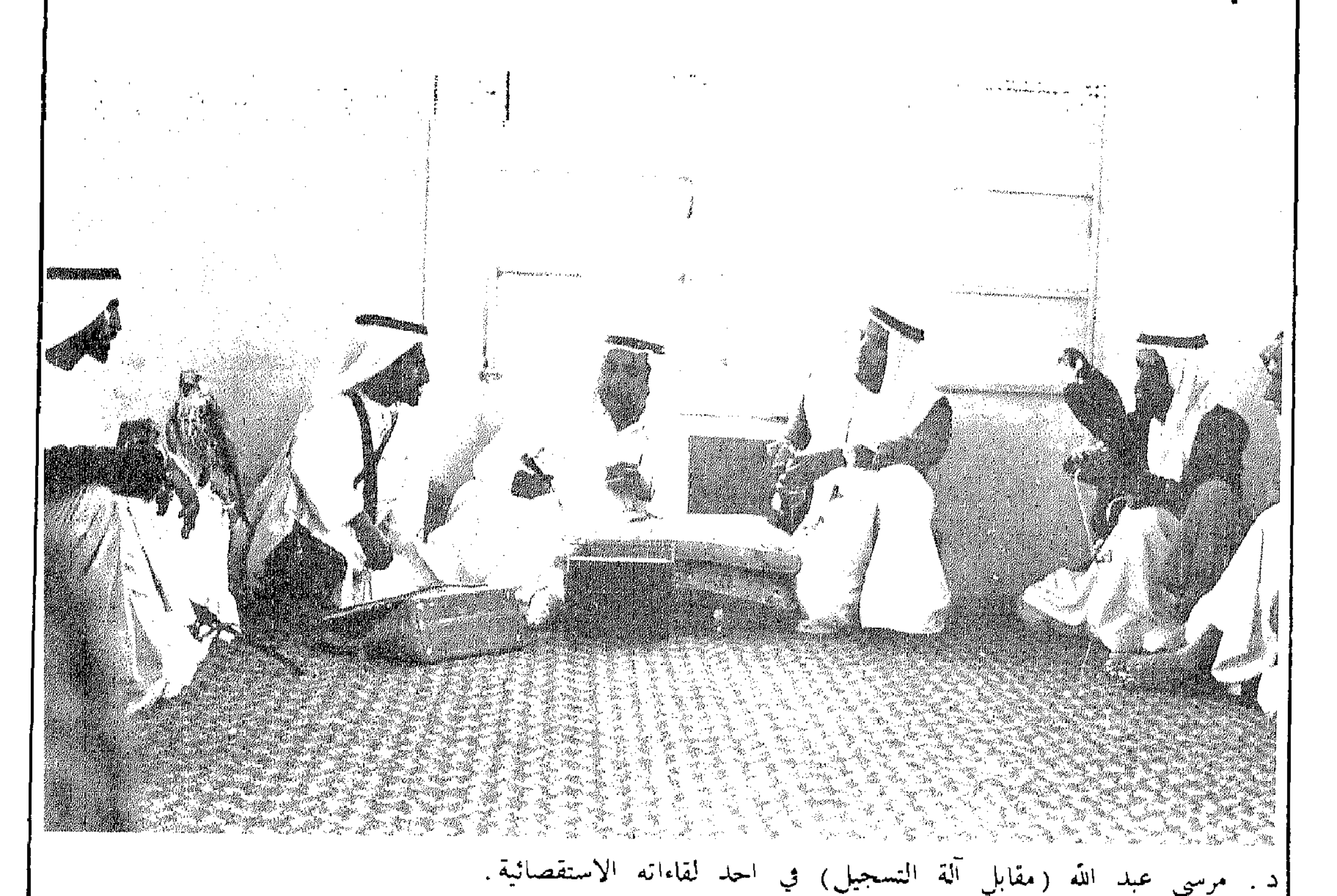
الفصل الثالث:

«الدول المجاورة للحدود الغربية لدول الشاطئ المتصالح» (ص ١٥٩ - ٢١٧).

في هذا الفصل يركز المؤلف على علاقات دول الشاطئ المتصالح بجاراتها على حدودها الغربية وهي قطر والسعودية.

ينطلق د. مرسي عبد الله أولاً من مناقشة الصراع بين قطر والدولة العثمانية على منطقة العضيض (١٨٧١ - ١٩١٣) (ص ١٦٠ - ١٦٨). لما لـه من أثر مباشر «لاحقاً» في الخلافات على الحدود بين قطر وأبو ظبي (ص ٢١٢ - ٢١٣).

ثم يتناول الخلافات على الحدود بين أبو ظبي والسعودية (١٩٢٣ - ١٩٣٩) بسبب احتمال وجود النفط في مناطقها. هذه الخلافات التي انتقلت بعد الحرب العالمية الثانية على واحات اللواء والبريمي وتجسدت في صورة الخلاف على رسم الحدود المشتركة بين البلدين (ص ١٨٠ - ٢١٢). ولم تحل مسألة الحدود المشتركة هذه إلا في العام ١٩٧٥.



د. مرسي عبد الله (مقابل آلة التسجيل) في احد لقاءاته الاستقصائية.



الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان و الامير فهد بن عبد العزيز أثناء التوقيع على اتفاق الحدود بين الدولتين في العام ١٩٧٥.

وفي هذا الفصل أيضاً يتطرق د. مرسي عبد الله في موضوعية صارمة وأمانة تاريخية مسؤولة إلى الدور البريطاني. المباشر وغير المباشر. في هذه الصراعات والنزاعات على الحدود. ويركز بشكل خاص على تحليل سياستي بريطانيا والسعودية تجاه دول الشاطئ المتصالح وقضاياها (ص ١٦٨ – ١٨٠). فيميّز بين أربع مراحل تاريخية:

١٩٠٢ – ١٩١٤/١٩١٤ – ١٩١٨/١٩١٨ – ١٩١٩
١٩٢٠ – ١٩٣٩

وهنا لا بد من الاشارة إلى ما كشفه. من خلال الوثائق السرية التي اطلع عليها المؤلف. عن دور ج. راندل. رئيس ادارة الشرق في وزارة الخارجية البريطانية بين ١٩٣٠ – ١٩٣٨. في هذه الصراعات (ص ١٩١ – ١٩٩). ويذكر أن راندل أصدر في لندن في العام ١٩٥٧ كتاباً بعنوان «السيف والزيتون

الفصل الرابع:

«بريطانيا وايران ودول الشاطئ المتصالح
(ص ٢٢١ – ٢٨٨).

يتحدث د. مرسي عبد الله في هذا الفصل عن النفوذ الايراني في منطقة الخليج كلها. وخصوصاً المطالبة الايرانية بجزر سيري وطمب وأبو موسي. مما دفعها. عشية الانسحاب العسكري البريطاني من المنطقة (١٩٧١/١١/٣٠) إلى احتلال هذه الجزر بالقوة.

وهنا أيضاً يبرز المؤلف دور بريطانيا في التدخل في الشؤون الداخلية لدول الشاطئ المتصالح من خلال الدفاع في بادئ الأمر عن حق القواسمة في السيادة على هذه الجزر. مما أدى إلى اضطراب العلاقات البريطانية – الايرانية بين ١٩٢٩ و ١٩٣٥. ثم لاحقاً

من خلال التسليم باحتلال «الأمر الواقع» الايراني لها في أواخر ١٩٧١.

كما يعرض تاريخ العلاقات البريطانية - الايرانية (ص ٢٢٣ - ٢٢٩. ثم ص ٢٤٦ - ٢٥٥). ومراحل الصراع بين ايران ودول الشاطئ المتصالح على السيادة على هذه الجزر الاستراتيجية منذ نهاية القرن التاسع عشر وحتى العام ١٩٧١ (ص ٢٣٣ - ٢٤٦. ثم ص ٢٥٥ - ٢٨٤).

الفصل الخامس:

«بريطانيا ومسقط ومسألة الحدود الداخلية للامارات» (ص ٢٩١ - ٣١٦).

يخص المؤلف هذا الفصل لعرض مسألة الحدود بين امارة القواسمة وسلطنة عمان ودور بريطانيا فيها. فيتحدث د. مرسي عبد الله بصراحة عن حقيقة وأسباب السياسة البريطانية في التمييز بين الامارات: لماذا اعترفت باستقلال رأس الخيمة (١٩٢١) (ص ٣١٠ - ٣١٢) وبالقلبع (١٩٣٦) (ص ٣١٢ - ٣١٥). بينما رفضت الاعتراف مثلاً باستقلال الفجيرة الا متأخرة (١٩٥٢)؟

وهكذا اشتدت النزاعات حول الحدود بين الامارات:

- مسألة الحدود بين مسقط ودول الشاطئ المتصالح (ص ١٩٦ - ٣٠٧).

- مسألة الحدود بين الامارات نفسها (ص ٣٠٧ - ٣١٥).

هنا تدخلت بريطانيا لرسم الحدود بينها: وفي شباط ١٩٦٣ وضعت «ادارة الأبحاث في وزارة الخارجية البريطانية» أول خارطة لحدود دول الشاطئ المتصالح (التي أصبحت معظمها فيما بعد دولة الامارات العربية المتحدة).

وفي الخاتمة (ص ٣١٩ - ٣٢٣) يوجز د. مرسي عبد الله الخطوط الكبرى لبحثه الوثائقي هذا الذي يعتبر بحق أول محاولة عربية لتاريخ نشأة وتكوين دولة الامارات العربية المتحدة.

ولنا هنا الملاحظات التالية حول الكتاب نسوقها في ايجاز:

١ - استناداً إلى مقدمة المؤلف الذي يدعو الباحثين العرب فيها إلى مناقشة المعلومات الجديدة الواردة في الكتاب اضافة إلى متابعة رصد التطورات منذ العام ١٩٧١. فاننا نتمنى أن تتم ترجمة هذه الدراسة الوثائقية القيمة إلى اللغة العربية في أقرب فرصة تعميماً للفائدة. خصوصاً بعد التطورات الأخيرة في ايران وبدء عهد جديد في العلاقات الايرانية - العربية.

٢ - ان د. مرسي عبد الله في كتابه يتابع مسيرة أولئك المؤرخين العرب القلائل الذين آلوا على نفسهم ملاحقة ما خفي حتى اليوم من حقائق تاريخنا المجهول في خزائن الدوائر الأجنبية. وهو اذ استفاد قدر المستطاع من الوثائق الرسمية البريطانية وغيرها التي وضعت قيد التداول بعد فك الحجز عليها حسب «مبدأ» مرور الزمن. فانه يشير إلى بقاء كل الوثائق البريطانية بعد العام ١٩٤٥ طي السرية في انتظار وقت الافراج عنها. وهذا ما يدعونا إلى التريث في إطلاق الأحكام النهائية على بعض جوانب تاريخنا الحديث بعد الحرب العالمية الثانية.

٣ ان طريقة د. مرسي عبد الله في دمج وقائع التاريخ المدوّن بأخبار التاريخ المستندة إلى تجارب وذكريات شخصية تعتبر خرقاً جريئاً لذلك النمط من الدراسات التاريخية التي تكتب بعيداً عن حركة الواقع ونبض الحياة المتجددة. وهو بالتالي يقدم نموذجاً عملياً لما يجب أن تكون عليه الدراسات الأكاديمية العربية في هذا المجال.

٤ - ولعل الميزة البارزة في منهجية د. مرسي عبد الله هنا تتلخص في ربطه القضايا بعضها بالبعض الآخر: من السياسة إلى الاقتصاد إلى الثقافة والفكر، اضافة إلى تجنبه عرض تاريخ نشأة الدولة من خلال سيرة حكامها الشخصية، مما يضعه بجدارة في عداد المباهرين إلى اغناء علم التاريخ الاجتماعي العربي الحديث. ●

كتـ

● عصام نعمان
● إلى أين يسير لبنان؟
أبحاث ومشروعات في قضايا المصير والنظام السياسي.
● دار الطليعة - بيروت

عصام نعمان

إلى
أين
يسير لبنان
؟

أبحاث ومشروعات في قضايا المصير
والنظام السياسي

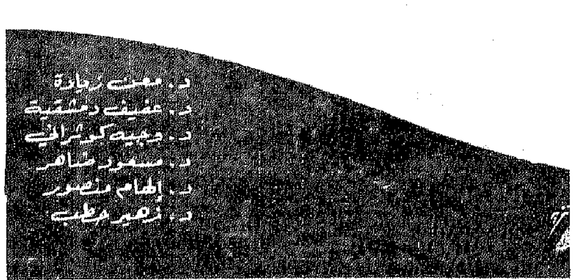
● «إلى أين يسير لبنان» لعصام نعمان، صدر أخيراً، عن دار الطليعة، بيروت، وهو يضم محاضرات ومقالات نشرت في «دراسات عربية» و «السفير»، و «المحرر» و «موندي مورننغ»، ومساهمات في ندوات علمية، بالاضافة إلى فصول كتبت خصيصاً للكتاب. الكاتب استاذ للقانون الدستوري في الجامعة اللبنانية.

نظرة سريعة على الكتاب: مفارقة ان النظام اللبناني سبق قيام الكيان اللبناني، ملامح هذا النظام، تحليل الرئيس الأسبق فؤاد شهاب قبل الانفجار حول التوازن الاجتماعي والناصرية والتنبؤ بالكارثة اللبنانية، مقترح قانون انتخابي: التمثيل النسبي الحزبي، رئيس للبنان لا للموازنة، احلال الضمانات الوطنية محل الامتيازات الطائفية، اعتماد اللامركزية الادارية وتعزيز التمثيل المحلي، والخطران اللذان يواجههما لبنان: الصهيوني والداخلي.

ويقدم الكتاب برسم حوار على مستوى الفكر السياسي مقترحات عديدة: مشروع تنظيم اداري جديد يقسم لبنان إلى ١٤ محافظة أو دائرة انتخابية، واقتراح بانشاء مجلس شيوخ، واحداث دستور جديد. واذا ارتئي الآن التمثيل الطائفي، يقدم مقترحاً جديداً للتوزيع الطائفي في مجلس النواب المؤلف من مائة وعشرين نائباً. كما يقدم الكتاب مقترح مشروع لالغاء الطائفية من مؤسسات الدولة ●

● مجموعة من الباحثين
● لبنان : الحضارة الواحدة
● النادي الثقافي العربي – لبنان





● «لبنان الحضارة الواحدة»، أصدره النادي الثقافي العربي، بيروت. وهو مجموعة محاضرات في اطار حلقة بالعنوان ذاته، قدمها عدد من الدكاترة.

– يبدأ الكتاب بمحاضرة د. معن زيادة، وهي محاضرة تبدأ بتحديد معنى الحضارة، والتساؤل عما اذا كانت في لبنان حضارة واحدة أم اثنتان، وتتميز المحاضرة باحتوائها بحثاً حضارياً جيداً ومهماً.

– د. عفيف دمشقية يتناول اللغة العربية كعنصر حضارة، ليس رثاء للغة، بل فهماً لها على انها وعاء لآراء وتطلعات وآمال، وأداة تواصل وتفاهم. وفي هذه المحاضرة أيضاً استعراض لحيوية اللغة العربية وتكيفها مع العلوم والتعبيرات والمصطلحات الحديثة. وهي بحث تاريخي لغوي.

– د. وجيه كوثراني. محاضرته هي عن تكون لبنان في اطار التجزئة الاستعمارية للمشرق العربي. وفيها بحث في الظروف التاريخية لتكوين لبنان، أولاً ضمن السلطنة العثمانية والخلفية الاقتصادية لذلك التكون، ثم ضمن سيطرة الرأسمالية الأوروبية ومشروعاتها للمنطقة، وحقيقة الجذور الجغرافية والسياسية للكيان اللبناني في القرن الماضي. ثم حقيقة العوامل التي سبقت الاستقلال ومهدت له.

– د. مسعود ضاهر: دستور لبنان الواحد ١٩٤٣، وتمهيد تاريخي عن كيفية وصول التطورات بالأمور إلى الميثاق، وخلاصة إلى القول انه ميثاق الطوائف اللبنانية، وليس ميثاق الوطن أو الشعب.

– د. الهام منصور: دور لبنان في حركة التحرر العربية ودورها فيه، مع شرح لتداخل حركات التحرر بين لبنان والعالم العربي.

– د. زهير حطب: لبنان الحياة الاجتماعية الواحدة. وهي تتحدث عن وحدة الوضع الاجتماعي ●

معاهدة سيفر

أو الاتفاق على اقتسام الامبراطورية العثمانية

١٠ آب (اغسطس) ١٩٢٠

سعيد كريديه

● خرجت تركيا من الحرب العالمية الاولى دولة مغلوبا على امرها. وقد استغل الحلفاء المنتصرون هذا الوضع ليفرضوا عليها حلولا وقرارات دون استشارتها، لذلك توصلوا لا تخاذ عدة قرارات في باريس وسان ريمو تمخض عنها معاهدة سيفر في ١٠ آب (اغسطس) ١٩٢٠.

والدول التي وقعت هذه المعاهدة هي:

١ – تركيا من جانب

٢ – وبريطانيا – فرنسا – ايطاليا – اليابان – بلجيكا – اليونان – بولندا – الحجاز – رومانيا – البرتغال – الصرب – تشيكوسلوفاكيا من جانب آخر.

بنود هذه المعاهدة:

١ – الشروط الاقليمية:

أ – المناطق العربية: سلخت الولايات العربية عن الممتلكات العثمانية واعترف بمملكة الحجاز كدولة مستقلة. كما فقدت تركيا السيطرة على سوريا وفلسطين والعراق التي درس مصيرها في ما بعد بين الدول الحليفة.

ب – تركيا في أوروبة: أعطيت تراقيا الشرقية لليونان. في الوقت نفسه استلمت الحكومة اليونانية تراقيا الغربية من الحلفاء واصبحت العاصمة التركية اسطنبول تبعد ٢٠ ميلا عن الحدود اليونانية.

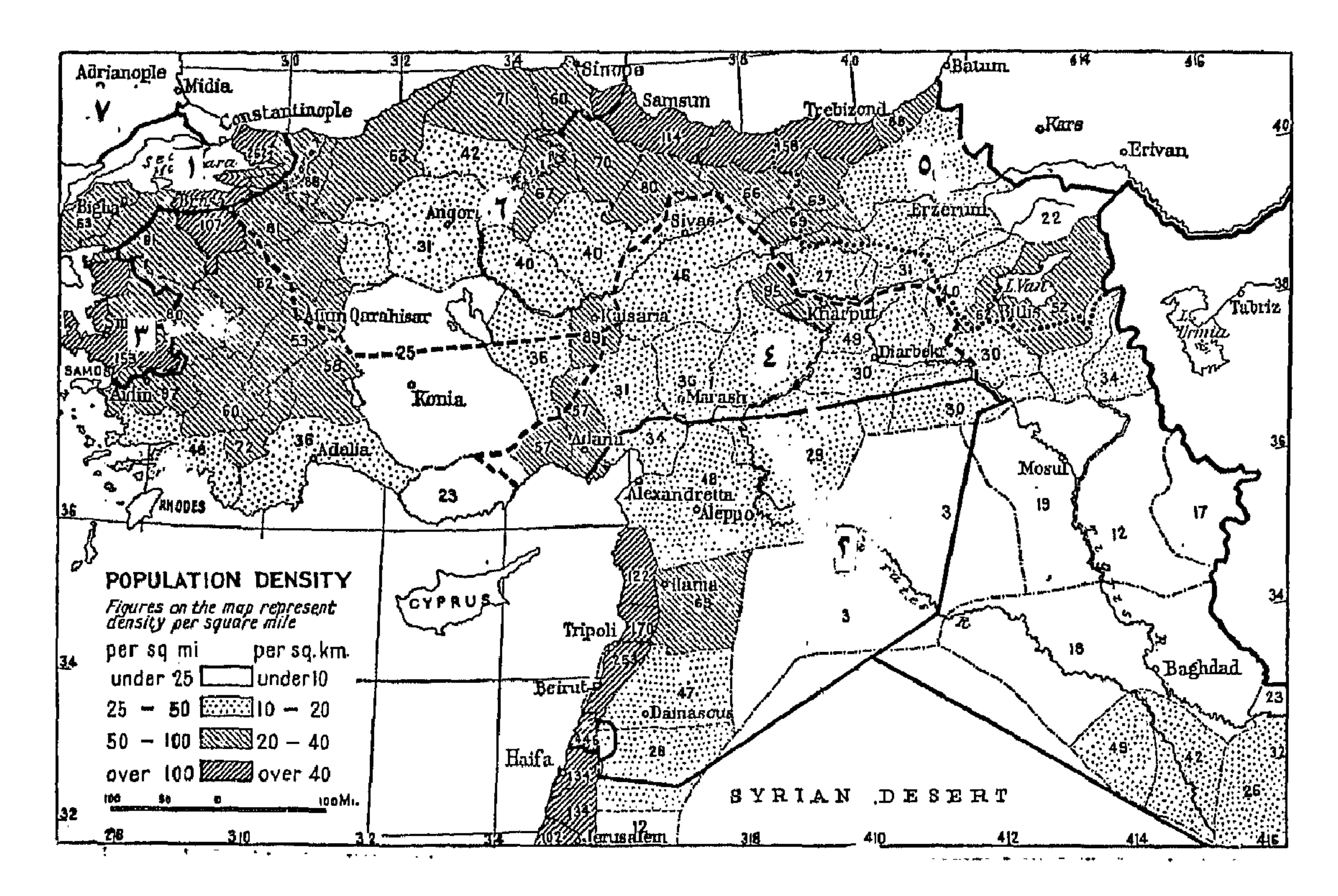
ج – ازمير وجزر ايجه: وضعت مدينا ازمير وجوارها تحت الادارة اليونانية لمدا خمس سنوات، يسمح بعدها لسكانها بواسطا استفتاء بالانضمام لليونان. كما اعطيت جزيرة امبروس وتندوس وبعض الجزر ذات الموقع الاستراتيجي في بحر ايجه لليونان. كما حصلت ايطاليا على جزر دوديكانز بما فيها جزيرا رودوس.

د – ارمينيا: اعترفت تركيا بأرمينيا كدولة مستقلة ذات سيادة.

هـ – كردستان: وافقت تركيا على منح المنطقة الكردية شرق نهر الفرات استقلالا ذاتيا. كما وافقت على ان ترضخ لكل التعديلات على الحدود مع ايران في المنطقة الكردية. وقد نصت الفقرة ٦٤ من المعاهدة على ما يلي:

اذا رغب الاكراد بعد سنة من توقيع هذه المعاهدة بالاستقلال عن تركيا وعرضوا هذا الموضوع على عصبة الأمم ورأت الاخيرة ان هذا الشعب جدير بالاستقلال فعلى تركيا ان تحقق رغباته.

و – اسطنبول ومضيقا البسفور والدردنيل: اكرهت تركيا على جعل مضيق



الخارطة :

منطقة ١ : منطقة المضائق واسطنبول

منطقة ٢ : منطقة النفوذ الفرنسي

منطقة ٣ : منطقة ازمير وجوارها التي اصبحت ملك اليونان

منطقة ٤ : منطقة النفوذ الايطالي

منطقة ٥ : ارمينيا

منطقة ٦ : ما تبقى من تركيا

منطقة ٧ : تراقيا الشرقية لليونان

البسفور والدردنيل ممرين دوليين والمناطق المجاورة لها مناطق منزوعة السلاح. وبقيت اسطنبول العاصمة تحت السيطرة التركية.

٢ – الشروط العسكرية : حدد الجيش التركي بـ ٥٠٠٠ جندي. ونتيجة لذلك الغيت الخدمة العسكرية ووضع حد للتسلح. كما حدد عدد السفن والبوارج في الاسطول الحربي، وألفت لجنة من قبل الحلفاء تراقب تنفيذ هذه الشروط.

٣ – الشروط المالية : رضخت تركيا فقبلت مراقبة بعيدة المدى من قبل بعثة تمثل بريطانيا وفرنسا وايطاليا. هذه البعثة مهمتها المراقبة والسيطرة على الديون الخاصة العثمانية – الميزانية – النقد والعملة – القروض الخاصة – الجمارك والضرائب غير المنظورة.

٤ – مسألة الاقليات: اجبرت تركيا في هذه المعاهدة على احترام حقوق وامتيازات الاقليات الدينية الموجودة على أراضيها وبصورة خاصة الارمن، واليونان والسريان والكلدان واليهود والاكراد والمسيحيين بوجه عام.

كما ضمنت هذه المعاهدة استسلام تركيا للدول الحليفة بقوة السلاح دون قيد أو شرط وانهاء حالة الحرب.

وفي الوقت نفسه وقعت معاهدة ثلاثية بين بريطانيا وفرنسا وايطاليا تتناول تقسيم الاراضي التركية في الاناضول الى منطقتي

نفوذ، احداهما فرنسية والأخرى إيطالية. وقد اتفق ان المنطقة الفرنسية هي نفسها المحددة في اتفاقية سايكس - بيكو. والمنطقة الايطالية تغطي المنطقة التي أعطيت لايطالية في جنوب غرب الأناضول طبقا لاتفاق لندن البحرى الذي عقد اثناء الحرب، ما عدا مدينة ازمير. وجدير بالذكر ان تركيا لم تكن ممّن وقّع على هذا الاتفاق رغم أنها تأثرت به سياسيا.

تعد معاهدة سيفر تجسيداً للأمبريالية على حد قول المؤرخ الاميركي الدكتور جورج لنتشوفسكي، ومذلة للأتراك إذ حولت دولتهم الى دولة صغيرة ذات حدود ضيقة وسيادة مضعضعة وضعيفة. فلم تكتف هذه المعاهدة بسلخ المناطق غير التركية عن الدولة العثمانية بل قضت بالاحتلال والسيطرة على الاناضول التركي نفسه. كما أثارت هذه المعاهدة استنكارا شديدا بين أفراد الشعب التركي ودفعت بعض العناصر الوطنية الى التكتل والاعلان عن أنها تقبل بالتنازل عن الأراضي العربية ولكنها ترفض ان تفرط في وحدة شبه جزيرة الاناضول وسيادتها واستقلالها لأنها موطن الاتراك. ●

المراجع والمصادر

- لنتشوفسكي جورج G-Lenczowski، الشرق الأوسط في شؤون العالم.
- عرمجاني، يمن: الشرق الأوسط ماضٍ وحاضر.
- مانسفيلد، بيتر: العالم العربي.
- الموسوعة البريطانية.

فرنسا تنظم بطولة ١٩٣٨ والكرة الايطالية المتجددة تنتصر

وفيق علم الدين

● على رغم الوضع السياسي المضطرب في أوروبا عشية الحرب العالمية الثانية، اشتركت ١٦ دولة في بطولة كأس العالم لكرة القدم التي جرت في العام ١٩٣٨ على الملاعب الفرنسية. ويلاحظ في هذه البطولة الثالثة غياب مصر التي اشتركت في الدورة السابقة، واشتراك الفريق الكوبي الناشىء للمرة الأولى في البطولة. كما يلاحظ ان الفريق النمساوي اضطر للاندماج «حبياً» في الفريق الهتلري بعدما كانت المانيا قد احتلت النمسا وضمتها اليها قبل أشهر قليلة.



الفريق الايطالي بعد الفوز ويبدو «العراب» فيتوريو بوتزو حاملاً الكاس وعلى يساره بيولا.

● منذ البدء لم تكن فرنسا المضيفة تأمل في احراز الكأس. وذلك بسبب ان كرة القدم فيها لم تصبح لعبة محترفة رسميا الا في العام ١٩٣٢.

كانت كل التكهنات يومها تشير إلى احتمال انتصار الفريق البرازيلي في سهولة، وهو الفريق الذي ضم اللاعب الناري ليونيداس، أفضل سلف لبيليه، فمنذ اليوم الأول لوصول الفريق البرازيلي إلى فرنسا كانت الانظار المتجهة إليه تزيده غروراً واعتزازاً بالنفس. طبعاً استندت هذه التكهنات إلى واقع كون اعضاء هذا الفريق الاميركي الجنوبي «ظاهرة رياضية» في كل معنى الكلمة: تحركهم وسط الملعب كان أشبه برقصة السامبا، وتكتيكاتهم بدت وكأنها خططت على يد ساحر بارع.

ولكن عندما وصل الفريق البرازيلي إلى الدور نصف النهائي ليواجه الفريق الايطالي لم تعد الترجيحات تميل إلى الجانب الأول: فالبرازيليون انتصروا بصعوبة على البولونيين (٦-٥)، ثم تعادلوا بصعوبة مع التشيكوسلوفاكيين (١-١)، بينما ربح الايطاليون في سهولة مباراتهم الأولى مع النروجيين (٢-١) ثم مباراتهم الثانية مع الفرنسيين (٣-١).

وعلى رغم ذلك صرح مدير الفريق البرازيلي، بيانتا، عشية الدور نصف النهائي:

«في هذه المباراة مع ايطاليا سنريح لاعبينا استعداداً للبطولة». فشكّل هذا التصريح بالطبع إهانة للفريق الايطالي الذي كتم غيظه وفجره في المباراة ففاز (٢-١).

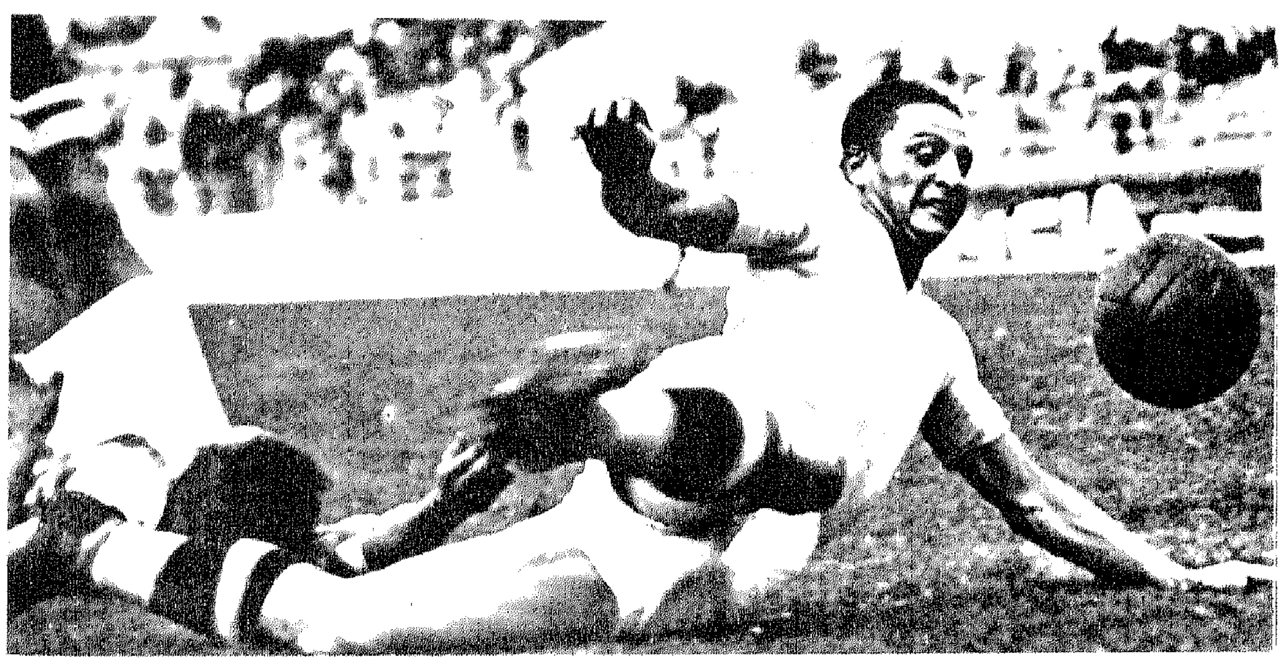
أما بيانتا، وهو محام سابق، فاضطر لتأجيل عودته إلى بلاده خوفاً من غضب مستقبليه.

مقابل الفريق الايطالي، فاز في الدور نصف النهائي فريق هنغاريا الذي لم يلق صعوبة تذكر في مبارياته مع «الهند الهولندية» - اليوم اندونيسيا- (٦ - صفر) ومع سويسرا (٢ - صفر) ثم في مباراته مع السويد (٥ - ١) في الدور نصف النهائي.

وفي التاسع عشر من حزيران (يونيو) ١٩٣٨ تقابل الفريقان الايطالي والهنغاري في باريس: الأول بادر إلى اتباع تكتيك الهجوم الخماسي المنظم، أما الثاني فتمسك برصانة الهجوم الشائع يومها والمستند إلى التمريرات القصيرة المتزنة.

فانتصرت الكرة الايطالية المتجددة على الكرة الهنغارية الكلاسيكية (٤ - ٢).

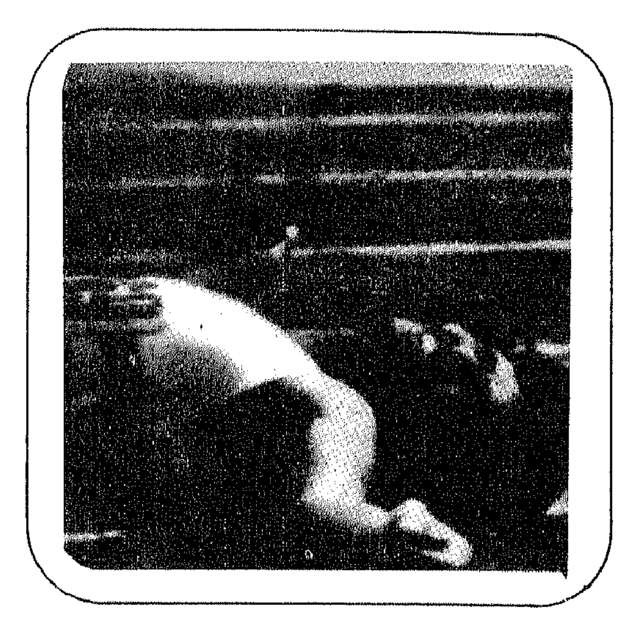
ومرة أخرى انتصرت ايطاليا الفاشية، ومرة أخرى انشرح صدر الدوتشي لفوز فريقه الرياضي متمنياً في الواقع لو استطاع تجيير هذا الفوز لـ «فريقه العسكري» الذي كان يستعد مع حلفائه للحرب العالمية الثانية بعد أشهر قليلة. ●



الايطالي بيولا الذي سجل ٥ أهداف في هذه البطولة فاستحق الطائرة الخاصة التي وضعها موسوليني في تصرفه.

المسابقة الرياضية

١ – عداء عربي فاز بالمدالية الذهبية في إحدى مسابقات العدو ، في دورة بنكوك للالعاب الاسيوية فمن هو؟

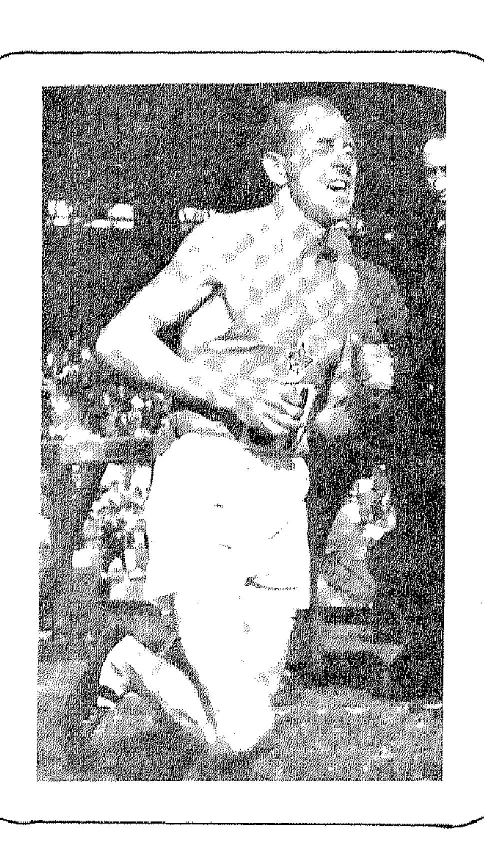


٢ – سباح وممثل اميركي نمساوي الاصل ، مولود في شيكاغو سنة ١٩٠٤ يعتبر أعظم السباحين المعروفين في تاريخ الرياضة . فاز خمس مرات ببطولة الالعاب الاولمبية لسباق المائة متر ، والاربعمائة متر ، والتتابع ٤×١٠٠ متر في العاب باريس ١٩٢٤ ، كما في ألعاب امستردام سنة ١٩٢٨ ، في سباقي المائة متر والتتابع . بطل الولايات المتحدة ٥٢ مرة ، وحطم ٦٧ رقماً عالمياً في السباحة . وكان أول رجل يجتاز المائة متر في أقل من دقيقة . ومع ذلك كان يخاف من الماء . فمن هو؟



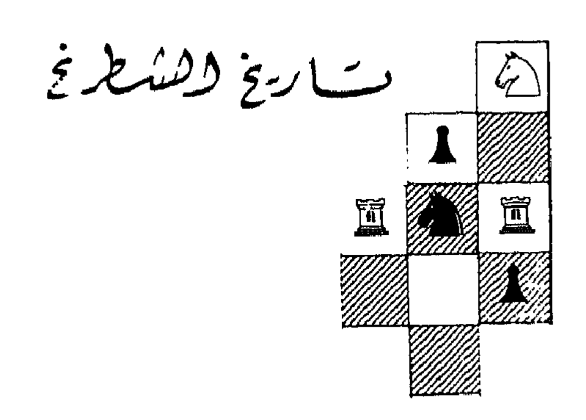
٣ – لقب بالقاطرة البشرية . هو عداء تشيكي ولد في سنة ١٩٢٢ . ويعتبر واحداً من أعظم الرياضيين قاطبة .

وكان اول رجل اجتاز اكثر من عشرين كيلو متراً في ساعة من الزمن ، وذلك سنة ١٩٥١ . وهو العداء الوحيد الذي فاز في دورة واحدة من الألعاب الاولمبية في سباقات الخمسة الأف والعشرة آلاف متر والماراتون معاً . وفي سنة ١٩٥٤ كان صاحب الارقام القياسية العالمية في سباقات كل المسافات المتراوحة بين ٥٠٠٠ متر و ٣٠ كيلو متراً .



الجوائز :

- الفائز الأول : مائة ليرة لبنانية .
- الفائز الثاني : اشتراك سنة في المجلة .
- الفائز الثالث : اشتراك نصف سنة في المجلة .



اشهر اللاعبين في القرن الثامن عشر

محمد مراد بكر

● أشهر لاعبي الدرجة الأولى في القرن الثامن عشر كانوا: المركيز «دي غروسمينى» وأخوه «دي لاغال»، لو شوفالييه «دي فيرون». ولو شوفالييه «دي سون»، مؤلف كتاب عن الشطرنج. أما أشهر لاعبي الدرجة الثانية فقد كانوا: الشانسولييه «داغيسو» وولده الرئيس «دي نيكولاي». دوق «مونتمارتر». دوق «دي ميروبوا»، الأب «شينارد». الأب «مايو». «فوبير دي سان بول» وغيرهم.

ويروى عن داغيسو، انه كان يلعب مع لاغال الشطرنج، فطلب الأخير من الأول مركزاً لأحد أصدقائه فلم يقبل الأول إلا بعد جولة في الشطرنج يربحها الأخير.

ويذكر المركيز «دي شاتر» في كتابه الذي صدر عام ١٧٠٩ في ليون في فرنسا ان المركيز «دي براسلان» وكان من أحسن لاعبي الشطرنج، قد سأله يوماً إذا كان يلعب الشطرنج، هذه اللعبة التي تلقى الاحترام الكلي في اسبانيا والبرتغال، ثم أضاف معلقاً على وضع القطع في هذه اللعبة العقلية والروحية، ويقصد بذلك الشاه والوزير والحصان والفيل، القلع والبيادق، هذه هي لعبة الحرب والملوك فليس هناك شيء في العالم يستطيع أن يفهمنا مصير الرؤساء الذين تخذلهم جنودهم حتى الموت مثل الشطرنج، حيث تجد الملوك والفرسان والفيلة والبيادق في هرج ومرج مع القلع في نهاية كل جولة.

ويروى شوازي في كتابه «حياة الكاهن دو شوازي» الصادر في لوزان وجنيف سنة ١٧٤٨ ص ٣ الطرفة التالية:

والد الكاهن دو شوازي كان فلاحاً، وقد دخل القصر الملكي بطريقة فريدة تمت كما يلي: كان يوماً عائداً من قرية تدعى بالبروا من مقاطعة النورماندي، عندما التقى في مولان المركيز، (لم يذكر الكاتب اسمه) وكان المركيز يعمل أميناً للمالية في القصر، وبعد التعارف والعشاء قاموا بجولة في الشطرنج، ولم يكن شوازي غبياً، فترك المركيز يربح منه. ورأى المركيز فيه لاعباً قوياً، لين الطباع فقام بادخاله إلى القصر وأوكل اليه أهم القضايا، وسر الملك هنري الثالث به وجعله مستشاراً للدولة، وأحبه فيما بعد الملك هنري الرابع وسمح له بمشاركته في أوقات اللهو.

كوندي المتوفى سنة ١٦٨٦ كان من هواة هذه اللعبة، يمارسها بانتظام، وخصوصاً عشية أغلب المعارك الكبيرة التي كان يقودها، وقد نقل اللعبة إلى أفراد الجيش. وتذكر مطبوعة «التسليات البريئة» المنشورة سنة ١٦٩٤، رأى الأمير كوندي في الشطرنج اذ يقول: لكي تصبح جنرالاً ناجحاً يجب أن تبدأ بتعلم الشطرنج.

كونتند ورفيل والمركيز دي بولمي في كتابهما عن الحياة الخاصة للفرنسيين المنشور في باريس سنة ١٧٧٩ ص ٣٨٤ يمدحان الشطرنج ويقابلان بينه وبين الموسيقى «على كل ليس في الشطرنج سوى ١٦ حجراً من كل جهة، ثمانية مهمة وثمانية تابعين ورقعة يسرحون عليها لا تحوي سوى ٦٤ خانة، وكذلك في الموسيقى، لا يوجد سوى ست إلى سبع أوزان، ١٢ أو ١٣ نغماً يمكن وضعها في خمسة أسطر ولكن من الممكن بعد دمجها خلق أصعب الانغام الموسيقية المتنوعة، وكذلك في الشطرنج تستطيع اجراء نقلات لا حد لها فوق هذه الرقعة الصغيرة وبواسطة هذا العدد المحدود من الأحجار. وقد نقلت مجلة البلاميد سنة ١٨٤٣ جولة لعبها الأمير دي كونتي مع المفكر الفرنسي الكبير جان جاك روسو.



نابليون بونابرت

أثناء غزوه لموسكو لعب نابليون مع مورا، بوريان، برتييه ودوق باسانو ويقول هذا الأخير ان نابليون كان يبدأ الجولة بشكل رديء، ولكن سرعان ما تستفيق عبقريته في نصف الجولة، كما كان يحسب ثلاث أو أربع نقلات مسبقاً مع امكاناتها كافة. وكان نابليون في أكثر غزواته يمضي أوقات فراغه بلعب الشطرنج.

في جزيرة سانت هيلين، كان يلعب كل يوم جولة. نابليون الثالث كان يلعب الشطرنج في بريطانيا، وكانوا يتعتبرونه من المهرة في هذه اللعبة.

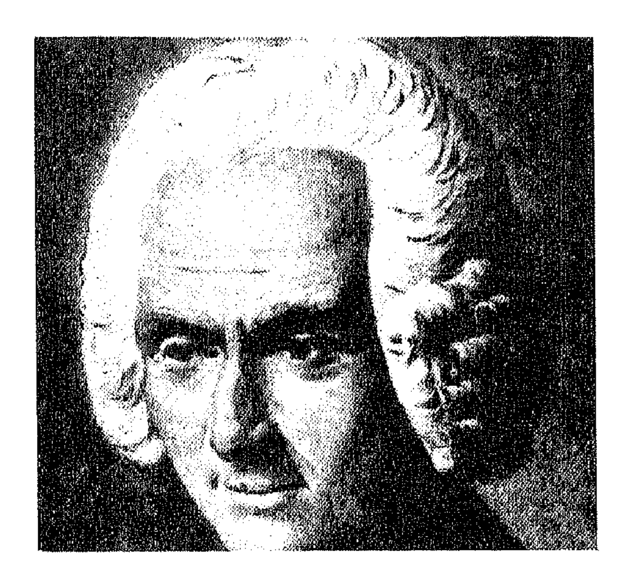
* * *

بول الأول امبراطور روسيا، في احدى رحلاته إلى باريس، ذهب إلى مقهى الريجانس متخفياً باسم كونت الشمال وكانت الساعة الرابعة، أي في الوقت الذي يكثر فيه لاعبو الشطرنج، فجلس قرب لاعبين وراهن على نقلة صعبة، فربح الرهان، وكان مبلغ لوي ذهباً. فأخذ المال وانصرف. إلى ذلك الحين لم يكن يعرفه أحد، ولكن دهشة الساقي في المقهى هي التي كشفته، ذلك ان الامبراطور عند خروجه أعطى ما ربحه بقشيشاً للساقي

ويروي ادوار فورنيه سنة ١٨٦٤ في كتابه «يوميات وروايات قصص باريس» ص ٢٦٠ إلى ٢٦٢ القصة التالية وان لم يصر على صحتها: دخل روبسبيير مقهى الريجانس كعادته وجلس خلف طاولة الشطرنج. واذا بشاب أنيق المظهر جميل الثياب يجلس قبالته دون استئذان، ويقوم بتقديم «حجرة» على الرقعة الموجودة أمام روبسبيير، فأجابه الأخير. وبدأت الجولة لتنتهي لصالح الشاب، فطلب جولة أخرى فوافق الشاب، ولكنه خسرها أيضاً، فشعر بكبريائه قد خدش من قبل شاب صغير لم يسبق له أن دخل المقهى، فما كان منه إلا أن سأل الشاب، ماذا كان الشرط، فأجابه الشاب دون تردد، رأس رجل وقد ربحته فأعطني إياه، سحب روبسبيير ورقة من جيبه ليكتب أمراً بالافراج عن الكونت (ر.)، لم يذكر اسمه كاملاً، الذي كان سجيناً، وسأل الشاب وهو يقدم له الأمر: وما دخلك أنت بهذا الكونت، فقام الشاب بكل لطف وانحنى قائلاً: أنا خطيبته يا مولاي.

جان جاك روسو، المفكر الكبير المتوفى سنة ١٧٧٨، يروي في اعترافاته (مذكراته) كيف تعلم الشطرنج فيقول:

كان هناك شخص من جنوا يدعى بانيير عمل موظفاً في قصر بيير الكبير في روسيا، وكان من أسوأ الرجال ومن كبار المجانين الذين لم أر مثلهم في حياتي. يروي دائماً عن مشاريع وهمية مجنونة مثله تدر الملايين مثل المطر. جاء هذا الرجل يوماً إلى شامبري لتصريف بعض القضايا فالتقى بوالدتي وأغرقها برواية مشاريعه الوهمية وأخذ بيير منها ما أدخرته فلساً بعد فلس، ولم أكن أحبه، إذ لم يترك شيئاً حقيراً لم يقم به، وفي يوم اقترح علي ان يعلمني الشطرنج الذي يعرفه قليلاً فحاولت غصبا عني، وبعد جهد تعلمت نقل الأحجار، ولكن سرعان ما تقدمت بالجلسة الأولى، إذ استطعت في آخر الجولة أن أعطيه الرخ الذي كان يمن علي به عند بدء الجلسة، وهكذا أحببت الشطرنج، فذهبت إلى السوق ابتاع رقعة وكتباً عن الشطرنج، وجلست في غرفتي أمضي الأيام والليالي أحفظ عن ظهر قلب الجولات وأعيد لعبها غيباً، وبعد شهرين أو ثلاثة من هذا العناء والتعب غير المعقول، ذهبت إلى المقهى أصفر الوجه نحيلاً من كثرة الارهاق لألاعب السيد بانيير هذا، فغلبني مرة، مرتين عشرين مرة، خطط كثيرة دارت في رأسي، ولكن خيالي لم يكن



جان جاك روسو

يسحقني، ولم أكن أرى الا غيمة أمام عيني، في كل مرة كنت أجهد مع كتاب فيليدور وكتاب ستاما، وأتمرن على دراسة كافة الجولات، ولكن الشيء نفسه كان يحدث معي في كل مرة، وبعد ان أنهكني التعب وجدت نفسي أضعف من السابق وأيقنت اني لم أتقدم خطوة واحدة عما تعلمته في الجولة الأولى. وكنت أرى نفسي دائماً في المكان نفسه الذي انتهت به الجولة الأولى. وقلت في نفسي لو اني تمرنت آلاف القرون فلن أستطيع أن أعطي شيئاً أكثر من عطاء الرخ لبانيير. لذا تركت الشطرنج.

أما فولتير المتوفى سنة ١٧٧٨ فيروى عنه أنه كان ماهراً في الشطرنج، وكان إذا لعب لا يلهيه شيء عن الجولة وكان يلعب دائماً مع الأب آدام.

يروي ريشيه كاهن سينون، في كتابه «تاريخ رعيته» القصة التالية: كان فيران، كونت دي فلاندر يسيء معاملة زوجته اذا ما ربحت منه في الشطرنج. وقد جرت معركة بوفين في ١٢١٤/٧/١٢ على أثر جولة مشابهة، اساء فيها معاملة زوجته، فوقع أسيراً واقتيد إلى باريس يرسف بالأغلال في يديه ورجليه، وسجن في قلعة اللوفر، وخلا الجو (كما يقول الكاتب) لزوجته الكونتيسة جان لتدير أملاك زوجها وتلعب الشطرنج مع شخص أكثر لياقة في معاملة النساء.

ويروي دوسير في كتابه «جردة عامة لتاريخ فرنسا» في المقطع الخاص بحياة فيليب الأول، انه على أثر اهانة من قبل لويس، الذي أصبح فيما بعد لويس السادس، لهنري ابن غيوم، وقعت حرب طويلة بين الافرنسيين والانكليز سنة ١١١٦. وتفصيل الخبر ان روبير وهنري أولاد الغازي غليوم الفاتح عندما كانوا في مقاطعة النورماندي، قاموا بزيارة ملك فرنسا فيليب الأول الذي كان في «كونفلان»، حيث مكثوا عدة أيام، ولما كان هنري يحب الشطرنج فقد قام بعد العشاء يلاعب لويس ابن فيليب الشطرنج. وكان هنري بارعاً، اذ استطاع بعد مناورات سريعة أن يقود الجولة لصالحه، ولما رأى لويس الخسارة على قاب قوسين أو أدنى، استشاط غيظاً، وحمل الرقعة ليقذفها بوجه هنري ملقباً إياه بأبن الزانية. وتفادى هنري الرقعة بيده وبعد التقاطها قام يضرب بها لويس بشدة أدمته وأحب أن يكمل عليه لولا ان امسك به أخوه. وهكذا اضطر الأخوان للهرب خوفاً من الملك. وكانت هذه الواقعة سبباً في حرب طويلة كما أسلفنا. رويت هذه القصة مرة أخرى في الصفحة ١١٨ من كتاب تاريخ ويوميات نورماندي (روان ١٥٨٩).

في سنة ١١١٩ بعد هزيمة الافرنسيين في «برينيفيل» وهربهم من الدوق حاكم النورماندي. أخذ جندي انكليزي بمقود حصان الملك لويس صارخاً. أسرنا الملك. فأجابه الملك ضاحكاً. ألا تعلم أنه حتى في الشطرنج لا يأسرون الملك واتبع ذلك بضربة بقبضة حسامه أردت الجندي قتيلاً في الحال.

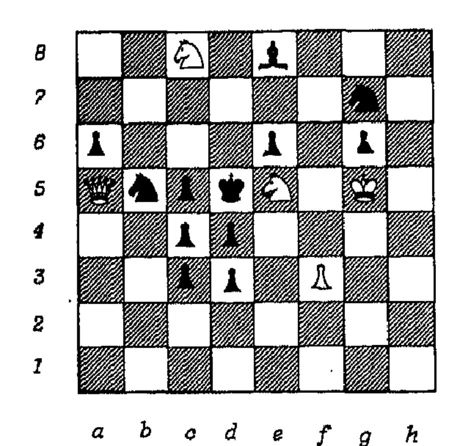
ويروى عن نابليون الأول قبل أن يصبح امبراطوراً، انه كان يذهب أحياناً إلى مقهى الريجانس ليلعب الشطرنج. وكان خصمه كثير التفكير قبل كل نقلة. ولكنه لم يكن يستطيع لجم عصبيته. فكان يعض شفتيه حينا ويضرب الأرض برجليه تارة أخرى، وأحياناً كان يضرب بيده على حافة الرقعة كما يفعل ضارب الطبل. ويشتد الضرب إلى درجة تجعل القطع تتراقص على الرقعة. أما اذا خسر فانه كان يضرب الطاولة بقوة بقبضة يده وكثيراً ما كانت القطع تطير من شدة الضربة. ولكن نابليون مع ذلك كان يقوم بمناورات بارعة في الشطرنج شأنه في الحرب. وكثيراً ما كان يلعب الشطرنج عند جوزفين. وفي: مصر كان نابليون يلعب الشطرنج مع السيد بوسيلغ، قائد جيش الشرق أو مع اميدي جوبير ولكن الأول كان أحسن لعباً وكثيراً ما ربح ضد قاهر الاهرام.

أثناء غزوه لبولونيا. قدموا له سفير الفرس فسمح باللعب امامه مع برتييه وكان نابليون أحياناً. يقوم بصورة غير شعورية بتحريك القطع عوضاً عن اللاعبين. ●

المسألة رقم ١٣

مات بنقلتين

المسألة رقم ١٤



مات بثلاث نقلات

حل المسابقة رقم ٥

المسألة رقم ٩ : المفتاح : cxg2

المسألة رقم ١٠ : المفتاح : Fd4

أمام الأسود ثلاث امكانات ويربح الأبيض في كل مرة

الامكانية الأولى :	cf6	1 — Fd4 2— Rç2
الامكانية الثانية :	Cf4	1 — Fd4 2 — Rd2
الامكانية الثالثة :	Cg4	1 — Fd4 2 — RÇ4·

النقلة الثالثة في الامكانات الثلاث واضحة للأبيض وهو يربح بسهولة.

* * *

الأجوبة :

لوحظ هذه المرة كثرة عدد المشتركين في هذه المسابقة وهذا مما يسرنا لأن ذلك يدل أولاً على مدى الاهتمام بهذه الزاوية وعلى ان المجلة أخذت تنتشر في أماكن لم تكن تصلها سابقاً. ولكنه من الملاحظ أيضاً انه رغم هذه الكثرة لم يتوصل أحدهم إلى حل كل المسائل باستثناء الآنسة مي محمد التي استحقت الجائزة الأولى ، والسيد سليم اللاذقي الذي استحق الجائزة الثانية ، (اشتراك سنة في مجلة تاريخ العرب والعالم).



الابراج الفلكية

بُرج الثور

٢١ نيسان (ابريل) ٢١ ايار (مايو)

منى تنير



رأس الثور رمز برج الثور

● بغض النظر عن الطابع العلمي أو الاسطوري الذي تتخذه المعتقدات الفلكية في أذهان الناس، فان فيها مقداراً من العلم، كانت للعلماء العرب حصة فيه، أمثال عبد الرحمن الصوفي الرازي وأبي الريحان البيروني. ولقد كان «لعلم التنجيم» بداية وتطور، حتى وصل إلينا. وكان لكل برج من البروج قصة وتاريخ. وفي ما يلي تاريخ برج الثور :

يرمز عادة إلى برج الثور برأسه، وذلك للتدليل على الصفات الصعبة والمميزة لمواليد هذا البرج عموماً : فهم عمليون في تفكيرهم وممارساتهم ويمكن الوثوق بهم. إنهم صبورون وحازمون في مواقفهم وقراراتهم. يبحثون دوماً عن الأشخاص والأشياء التي توفر لهم الشعور بالأمان، ربما بسبب العزلة التي يضطرون للجوء اليها كخط دفاع لهم. ثم إنهم غالباً ما يبرعون في المجالات المالية وفي الأعمال الكبرى ولا يجزعون بالتالي من تحمل أية مسؤولية تعرض عليهم شرط أن يوافقوا عليها باندفاع.

إلى ذلك فهم منهجيون في أعمالهم، يجدون دائماً الوقت الكافي لكل شيء. من هنا يمكن تفسير سبب تقديرهم لقيمة الجمال في كل شيء ويهتمون عموماً بالفنون وبالطبيعة وجميع المواضيع المتعلقة بهما. وأخيراً فهم عاطفيون وعصبيون إلى درجة كبيرة، ولا يسعون لاقامة علاقات صداقة مع الغير إلا اذا كانت دائمة، أي مستندة إلى غير أساس المصلحة الذاتية والآنية.

وحسب الأساطير الأغريقية فان برج الثور يرمز إلى قصة اختطاف «أوروبا»، شقيقة قدموس، من قبل زيوس (أو جوبيتير عند الرومان القدماء) الذي تقمص في شكل ثور، وأخذها معه إلى كريت لتصبح والدة مينوس، ملك المدينة.

ويقال ان زيوس اختار شكل الثور بسبب ما كان معروفاً عند الاغريق من انهم اعتبروا آلهتهم صورة مكبرة عن الانسان في شعورهم وحاجاتهم. من هنا اشتهرت في كريت الرياضة القاسية والخطرة والتي تتلخص في القفز فوق الثيران الهائجة.

أما في الأساطير الرومانية القديمة فان للثور دوراً مميزاً، اذ ان الرومانيين عبدوا «ميترا»، الاله الفارسي الأصل، الذي اشتهر في اساطيرهم بتقديمه «الثور المقدس» ذبيحة لاله الشمس. والمعروف ان ميترا عند الفرس كانت انثى وتمثل إلهة الشمس.

وفي هذا الصدد يفيدنا كتاب «روما وامبراطوريتها» (الجزء الثاني من «تاريخ الحضارات العام»، تأليف اندريه ايمار وجانين أوبواييه، تعريب يوسف وفريد داغر، منشورات عويدات بيروت، ١٩٦٤) ان «ميترا» الروماني تجلى للناس كالنور والشمس وارتبط اسمه بالنظام الكوني ويحمل بين يديه الظفر والخلاص.

ومن الطريف ان معظم مواليد برج الثور يعتبرون أنفسهم أحياناً وفي لحظات معينة مركز اهتمام الناس والمجتمع، لذلك تكثر ادعاءاتهم الفكرية التي لا تستند أحياناً إلى أساس مادي.

ويذكر، في هذا المجال أيضاً، ان صورة هذه الاله الشاب تبرز ناتئة في الرسوم التي تصوره، وهو يعتمر قبعته الفريجية بعدما أرغم إلى الأرض ثوراً ضخماً فأدماه (ص ٤١٥). وجاء في المصدر نفسه



أدولف هتلر.



شكسبير.

(ص ٦٢٦) انه في العام ١٩٧ ق.م. اقام الامبراطور ساويروس في مدينة ليون حفلة ضخمة لمناسبة انتصاره على ألبينوس، تخللتها مراسم تضحية بثور ضخم. وهكذا غدا لقب «ميترا» (أي ما معناه الحرفي: المنيع) لقبا من الألقاب الامبراطورية وجعلوا من هذا الاله شفيع الامبراطورية الرومانية.

استناداً إلى أبحاث العلماء فان برج الثور له تأثير مباشر في ناحية محددة من الجسم البشري هي الحنجرة ومحيطها.

من الشخصيات العالمية في التاريخ القديم والحديث التي ولدت في برج الثور نذكر: الفيزيائي الفرنسي بيار كوري - الموسيقار تشايكوفسكي - الكاتب الفرنسي بلزاك - الموسيقار الالماني برامز - الممثل الأميركي غاري كوبر - السياسي والعسكري البريطاني أوليفر كرومويل - الرسام الاسباني سلفادور دالي - الملكة اليزابث الثانية - الممثل الأميركي هنري فوندا - عالم النفس النمساوي زيغموند فرويد - هتلر - روبيسبيير - الفيلسوف البريطاني برتراند راسل - شيكسبير - هوشي منه - ماكيا فيللي - سقراط والفنان والعالم الايطالي ليونارد دوفينشي. ●

تاريخ الطوابع في المملكة العربية السعودية

سعدان السلطان

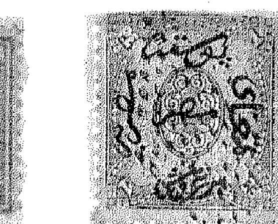
المملكة العربية السعودية :

● احتل العثمانيون البلاد سنة ١٥١٧ ومن ثم حكمها الوهابيون من سنة ١٨١٣ إلى ١٨١٨ ، لمحمد علي الكبير واسرته إلى سنة ١٨٤٠ ثم العثمانيون ثانية إلى ١٩١٦.

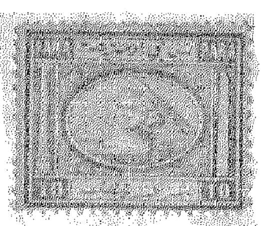
في هذه الحقبة من الزمن لم تبدأ الحجاز باستعمال طوابع حجازية ولا تركية . بل طوابع مصرية . إذ كان لمصر في الحجاز في عهد الخديوي اسماعيل أول مكتب بريد في ميناء جدة وكان الأول والوحيد في المملكة كلها ، لأن ميناء جدة كانت المركز الرئيسي والمهم لتجارة الحجاز . (افتتح اعماله في ٨ حزيران – يونيو – سنة ١٨٦٥) ، وكانت المدن الداخلية المقدسة ، مكة والمدينة ، محرَّمة على غير المؤمنين ، فكان السياح والحجاج المسلمون القاصدون الحج يحملون عادة رسائلهم لحين عودتهم إلى ميناء جدة ، أو يكلفون بها المسافرين في القوافل التجارية الذاهبة إلى تلك الجهة.

ويبدو أن السبب الاساسي لوجود المكتب البريدي المصري في جدة ، هو خدمة مصالح التجار المصريين ، بحيث نرى ان معظم الغلافات المرسلة كانت موجهة إلى السويس أو منها استطراداً إلى القاهرة والاسكندرية . وكان الرسم البريدي للرسالة الواحدة إلى السويس قرشاً مصرياً واحداً ، ونصف قرش إضافياً إلى المراكز الداخلية من مصر . وقد بدئ العمل بهذا الاجراء في شهر تموز – يوليو – سنة ١٨٧٥ ولغاية نيسان (ابريل) سنة ١٨٧٨ تاريخ تغيير قيمة الرسم إلى واحد ونصف قرش إلى أية جهة أو بلد في مصر.

وعندما كان يحدث نقص في الفئات المطلوبة كان يقطع طابع القرش أو القرشين قطعاً مائلاً من زاوية إلى زاوية ، ويكون لكل قطعة منها نصف قيمة الطابع الأساسي ، وذلك لسد الحاجة إلى فئة واحد ونصف قرش وهي الرسم البريدي المطلوب . (ان مثل هذه الطوابع المقسومة أصبح نادراً وغالي الثمن).



١

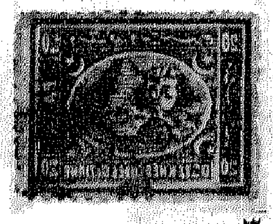


٢

أما الطوابع التي استعملها المكتب الأول الذي افتتح أعماله في ٨ حزيران (يونيو) سنة ١٨٦٥ فكانت من مجموعة مصر الأولى الموشحة والمجموعات الثلاث اللاحقة التي تحمل صورة الاهرام وأبي الهول . (صور ١، ٢، ٣، ٤).

أما الأختام الخاصة التي استعملت في هذا المكتب فكانت خمسة أختام فقط (صورة ٥، ٦، ٧، ٨، ٩) ، ويلاحظ ان الأخير منها لم يكن يحمل تاريخاً واستعمل فقط للدوائر الحكومية . وهكذا فان هذه الأختام الخاصة التي تحمل اسم جدة لتُبطل الطوابع المصرية المستعملة هناك ، جعل الطوابع المصرية المستعملة في الحجاز تصنَّف مع طوابع بمجموعة الحجاز . وبتاريخ ٣٠ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٨٨١ ، أقفل هذا المكتب البريدي المصري في جدة نهائياً.

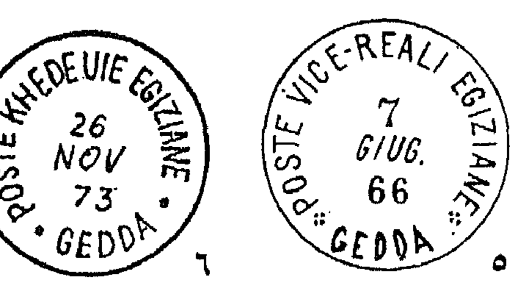
وبعد ذلك بفترة قصيرة بادرت الادارة العثمانية إلى فتح عدة مكاتب بريد في القسم الشرقي من شبه الجزيرة العربية الحجازية ، وخصوصاً في معظم المدن على طريق سكة الحديد الحجازية التاريخية.



٣



٤



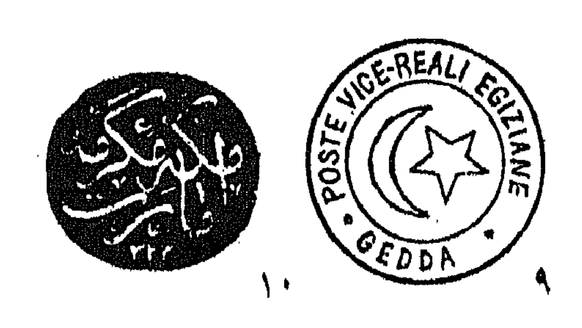
٥ ٦

ومن البديهي ان تكون الطوابع التركية السارية المفعول حينئذٍ هي التي استعملت في تلك المكاتب وكانت تختم باختام نحاسية مفرغة تمسك بالاصبعين. وكانت ثلاثة، جدة ومكة والمدينة (صورة نموذج واحد رقم ١٠). وفي السنة نفسها صُنعت اختام غريبة الشكل والمظهر منها: «ابها» (١٨٩٠) و«جدة» (١٨٨٦) و«قنفدة» (١٨٩٢) و«مكة المكرمة» (١٨٨١) و«مدينة منورة» (١٨٨١) و«طائف» (١٨٩٢) (صورة نموذج واحد رقم ١١). وبعدها صدرت الاختام المستديرة المعروفة والتي تحمل اسم المصدر والتاريخ. (صورة نموذج واحد رقم ١٢).



٧ ٨

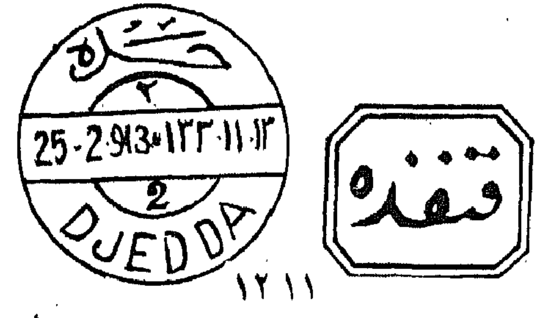
وبعد خروج الاتراك من البلاد واعلان استقلالها بتاريخ ٢٧ حزيران (يونيو) سنة ١٩١٦. أعلن الأمير حسين بن علي بمرسوم، منع استعمال الطوابع العثمانية بعد ذلك التاريخ. ولعدم وجود طوابع جاهزة فوراً. صار اصدار اختام خاصة كتب عليها: «Fee Paid» و«خالص الأجرة» ثم اختام مثمّنة مختلفة (صورتان ١٣ . ١٤). وقد بقيت هذه الأختام مدة وجيزة هي كالآتي: في مكة وجدة من ٢٦ حزيران (يونيو) سنـــــة ١٩١٦ إلى ٤ تشرين الأول (أكتوبر)



٩ ١٠

سنة ١٩١٦. وفي الطائف من ٥ تموز (يوليو) سنة ١٩١٧ إلى ٩ آب (أغسطس) سنة ٢٩١٧. وايمبو من ٣ آب (أغسطس) سنة ١٩١٦ إلى ٥ كانون الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٧. وابتداء من ٢٠ آب (أغسطس) سنة ١٩١٦ والى تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ١٩١٧، صدرت أربع مجموعات بريدية ومجموعة للأجور المستحقة، كلها متشابهة الرسوم وتتألف من ١٩ طابعاً مخرّماً بأشكال وقياسات مختلفة، وتحمل تسعة نماذج من الرسوم، محلاة بزخارف عربية، كتب عليها: «بريد حجازي»، وطبعت بمطابع دائرة المساحة في القاهرة، التي كانت تحت النفوذ البريطاني.

والواقع ان الرسوم التي انتخبت لهذه الطوابع كانت نماذج لرسوم كثيرة عرضت على الأمير حسين بن علي للموافقة عليها ومنها نماذج خاصة تحمل مناظر مختلفة تشبه كثيراً طوابع تركيا في حينها. وكان يُرغّبه بها آنذاك صديقه السيد رونالد ستورز. لكن الأمير فضّل



١٢ ١١

الرسوم التي تمثل الخط العربي الصرف وليس أيّاً مما عليه مسحة تركية أو مصرية أو بريطانية؛ مع ان الرسامين المصريين أخفوا زخارف هذه الطوابع من نماذج مصرية بحتة، منها: المسجد العمري في القدس بمصر العليا ومسجد السلطان برقوق بشارع النحاسين ومسجد الصالح في القاهرة، وأيضاً من زخارف القرآن الكريم الموجود في مقبرة السلطان الشكري. (صورة نموذج رقم ١٥ بريدي و١٦ أجور مستحقة).

المكاتب الأجنبية:

بالاضافة. إلى المكاتب الأجنبية التي عملت في



١٣



١٤

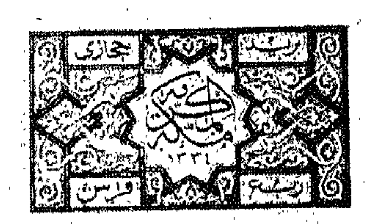
الشرق ووردت في دراساتنا السابقة نشير هنا إلى :

١ – مكاتب بريد المانيا التي عملت أيضاً في الشرق الأوسط وافتتحت مكاتبها في استنبول وازمير وبيروت والقدس ويافا، وقبل اصدار طوابع خاصة بهذه المكاتب، كانت تستعمل طوابع المانيا بدءاً باصدارات سنة ١٨٦٨/٦٩/٧٢ و ٨٠، ثم وشحت طوابع المانيا ابتداء من اصدار سنة ١٨٨٤ بالبارة والقروش واصدرت ست مجموعات للبريد العادي ومجموعة واحدة للمطبوعات وعددها ٥٧ طابعاً. والجدير بالذكر ان قيمة هذه الطوابع ارتفعت على ما يزيد عن تسعة آلاف فرنك في الكاتالوغ الافرنسي هذه السنة وذلك لندرتها، ويلاحظ ان المستعمل منها تزيد قيمته على غير المستعمل.

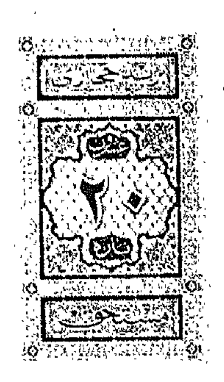
٢ – مكاتب ايطاليا افتتحت أعمالها سنة ١٨٧٤ واستعملت طوابع ايطاليا لسنة ١٨٦٣/٧٧ بعد توشيحات مختلفة وعملت في البانيا واستنبول ودورازو والقدس وجعنينة وسالونيك وأزمير وفالونا وعددها ١٩٤ طابعاً، تؤلف ٢١ مجموعة بريدية ومجموعتين للبريد الداخلي اكسبرس ومجموعة أجور مستحقة استعملت فقط في استنبول.

٣ – مكاتب بولونيا بدأت أعمالها سنة ١٩١٩ واستعملت اصداري بولونيا لسنة ١٩١٩ و ١٩٢١ بعد ان وشحتها بكلمة (Levant)، واستعملت كذلك في استنبول إلى ان اقفل المكتب نهائياً في ٢٧ تشرين الأول (أكتوبر) سنة ١٩٢٣.

٤ – مكاتب رومانيا بدأت أعمالها سنة ١٨٩٦



واستعملت اصدار رومانيا لسنة ١٨٩٣ بعد توشيحها بالبارة والقرش، ثم وشحت مجموعة ثانية لسنة ١٩٠١/١٩١٨ بدائرة كتب بداخلها بلغة البلد، «بريد روماني – استنبول ١٩١٩ وأحرف بريد برق هاتف P.T.T واستعملت فقط في الخط البحري ما بين استنبول وكونستنزا في رومانيا ●



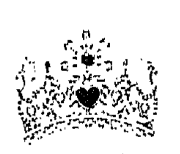
١٦

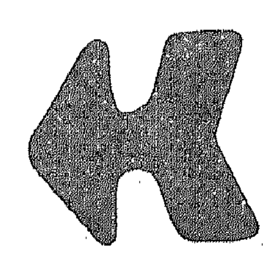
حركة البيع والشراء :

● هذا المكان مخصص لهواة جمع الطوابع والراغبين في المبادلة أو البيع أو الشراء. وقد درسنا أحسن الوسائل العالمية الحديثة لهذه الغاية وسنضع خبرتنا في خدمة القراء.

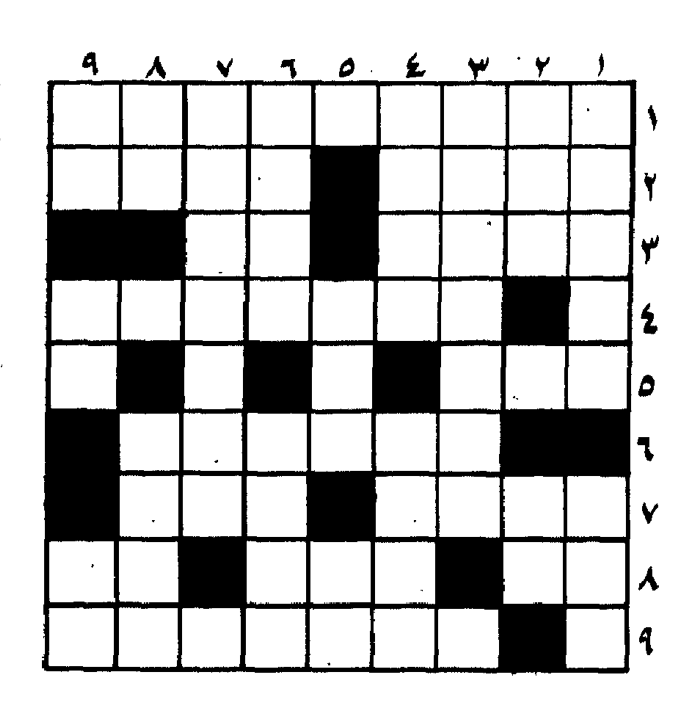
أسئلة القراء

● نرحب بجميع الأسئلة من لدى القراء وهواة جمع الطوابع وسننشر في هذا المكان ما يكون منها مهماً ومفيداً. ارسل ملاحظاتك واقتراحاتك إلى مجلة «تاريخ العرب والعالم» – قسم الطوابع. ص.ب (٥٩٠٥) – بيروت.





مسابقة الشهر

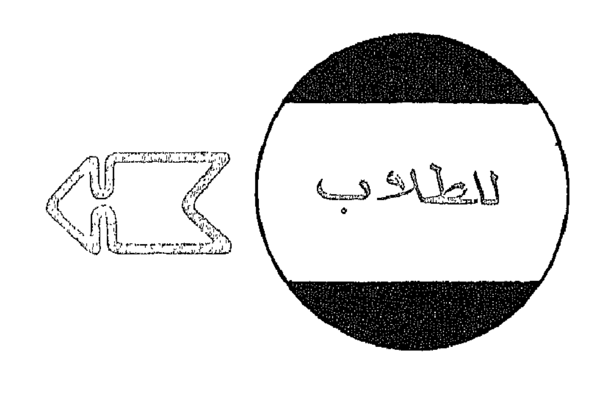


أفقياً :

١ – ملك عربي .
٢ – مدينة سعودية ولها سميّ في لبنان (معكوسة) . مؤذن الرسول .
٣ – حي لا يموت . حجر صوّاني كان سلاح انسان الغابات (معكوسة) .
٤ – وبغري .
٥ – يوجد في الصحراء
٦ – مدينة عربية .
٧ – مصائي . جبل قرب مكة (معكوسة) .
٨ – تعب . أدغال . للتأفف .
٩ – مدينة عربية .

عمودياً :

١ – مدينة في السعودية . مدينة في السعودية .
٢ – نوع من الغزلان (معكوسة) . فكّ .
٣ – مرطّبان بالماء .
٤ – يخاتل (معكوسة) . جمع ليل .
٥ – سهد . كثر
٦ – تجربة ومعرفة . نجيعي (معكوسة) .
٧ – مدينة سعودية .
٨ – للنّهي . كفالة .
٩ – ارشد . للنداء . فتّت .



فقط ...

اعداد : سحر بعاصيري
الجامعة الاميركية

هدف هذه الزاوية هو تشجيع الطلاب في جامعات ومعاهد العالم العربي على البحث العلمي. خصوصاً البحث في تاريخ العرب والعالم.

ومن أجل هذه الغاية خصصت جوائز للطلاب الذين يرسلون الحلول الصحيحة في موعد أقصاه نهاية الشهر الذي يصدر فيه العدد.

والمطلوب الاجابة عن الأسئلة جميعها وأرفاقها بالقسيمة المنشورة إلى جانب الزاوية. ولا يشترك في القرعة على اختيار الفائزين بالجوائز من أخطأ في أحد الحلول.

اذا رغبت صديقي الطالب بالاشتراك في المسابقة فما عليك إلاّ أن ترسل الأجوبة مع القسيمة إلى عنوان المجلة مرفقة باسمك وعنوانك في الجامعة أو الكلية أو المعهد الذي تواصل تعليمك فيه. وتهمل كل رسالة لا تحتوي هذه المعلومات لأن المسابقة للطلاب.. وللطلاب فقط.

ماهي؟

● سياسة وضعتها الولايات المتحدة الأميركية بالاستناد إلى اقتراح قدمه وزير الخارجية الأميركية عام ١٩٤٧ وذلك في خطاب القاه في جامعة هارفرد. ويقضي المشروع بتقديم المساعدات الاقتصادية للأقطار الأوروبية بقصد مساعدتها على اعادة بناء مرافقها الاقتصادية بعد الحرب العالمية الثانية.

هدف المشروع كان احكام السيطرة الاميركية على أوروبا.

من هو؟

● كاتب عربي اصلاحي. ولد في حلب وتعلم فيها. انشأ جريدة «الشهباء» ثم «الاعتدال». عطلتها تركيا. فهاجر إلى مصر لمواصلة دعوته العربية التحريرية. واتصل بجمال الدين الافغاني. يعتبر رائداً في الفكر الاصلاحي السياسي والاجتماعي.

ماهي؟

● كانت تابعة لفرنسا. مساحتها ٢٢٦١ كيلو متر مربع ويبلغ عدد سكانها حوالى ٢٨٤.٠٠٠ نسمة. تقع في المحيط الهندي. عاصمتها دزاؤدزي. استقلت مؤخراً وتسعى لدخول الجامعة العربية.

جغرافيا



● ما هو اسم المدينة التي هربت إليها حكومة التبت في منفاها عام ١٩٥٩؟

ملاحظات عامة

● في مسابقة العدد الخامس. وردتنا إجابات كثيرة عن السؤال الثالث. ان الموقع الاستراتيجي هو مضائق تيران. والواقع ان الموقع هو شرم الشيخ. فهذا الموقع هو اليابسة التي تشرف على مضائق تيران. ولو قصدنا المضائق. لما ذكرناه في السؤال.

● الرسائل تردنا والاسم مكتوب على المغلف دون الرسالة. الرجاء تكراراً من الراغبين في الاشتراك بالمسابقة. ان يكتبوا الاسم والعنوان على الرسالة. وليس على المغلف فقط. ذلك ان فرز الاجابات يتم بالجملة. وبعد ان تتلف المغلفات.

● يسأل بعض المشتركين عن حجم الاجابة المطلوبة. الأسئلة يمكن الاجابة عنها باسم واحد أو بذكر الموقع... الخ. أما إذا كانت الاجابة تحتمل الالتباس فيمكن للطالب أن يشرحها بما شاء. وغالب الظن ان سطراً يفي بالغرض في هذه الحال.

الجوائز

الجائزة الأولى: مائة ليرة لبنانية أو ما يعادلها.

الجائزة الثانية: اشتراك سنة في المجلة.

الجائزة الثالثة: اشتراك نصف سنة في المجلة.

الفائزون في المسابقة الخامسة:

● عبد اللطيف المنلا – المدرسة المهنية – الكويت – مائة ليرة لبنانية.
● مازن عبد اللطيف مجذوب – مدرسة الانترناشونال كولدج – بيروت – اشتراك سنة في المجلة.
● غسان المفتي – مدرسة مار الياس بطينا الثانوية – بيروت – اشتراك نصف سنة في المجلة.

فائزون ولكن الحظ لم يسعفهم في القرعة:

● نديم عبده – جامعة القديس يوسف – بيروت.
● محمد أحمد صالح – ثانوية رأس النبع الرسمية.
● سلمان عبد الوهاب العريض – مدرسة المنامة الثانوية الصناعية – البحرين.
● خالد عظمي – مدرسة الانترناشونال كولدج – بيروت.
● حسن محمد أبو نعسة – الجامعة اللبنانية – بيروت.

بريد القراء

● أحمد أبو سبيت . الروشة بيروت :

○ اشتركت في مسابقة الطلاب . وكانت اجاباتك صحيحة كلها . لكنك لم ترفق بالرسالة القسيمة الألزامية للاشتراك بالمسابقة . نرجو ألاّ تغفل ذلك في المرة التالية . ونتمنى ان تكون من الفائزين .

● نديم عبده . جامعة القديس يوسف . بيروت :

○ نحن نعتني فعلاً بالمواضيع التي تسرد « الاحداث التاريخية » .. والواقع ان هذه هي كل مهمة المجلة . لكن التاريخ في المفهوم العلمي الحديث لم يعد مجرد سرد للحروب وسير الملوك . كما كان ماضياً . فالعمران في الجزيرة العربية هو تاريخ . وكتاب الاغاني للاصفهاني هو تاريخ . وقصة الميثاق الوطني اللبناني هو أيضاً تاريخ . وحتى الأدب في أوائل القرن العشرين يدخل ضمن التاريخ . لذلك فنحن نعتني بكل أوجه التاريخ الأجتماعي والسياسي والعسكري . والحضاري إجمالاً . وليس في امكاننا ان نهمل ناحية لنركز على أخرى . أما عن امكان مساهمة الطلبة دون مستوى التخرج في الكتابة للمجلة . فنحن نرحب بكل مساهمة . والمقياس عندنا هو في مستوى الكتابة والبحث وليس في المستوى الاكاديمي للكاتب فقط .

● فيصل محمد شقير . جامعة دمشق :

يرى ان سعر المجلة مرتفع وانها لا تقدم ما يكفي من المسابقات والجوائز . وانها لا تهتم بالغلاف والطباعة والورق .

○ ان المجلات التي ذكرتها يا أخ فيصل . والتي تراها رخيصة . هي مجلات تدعمها مالياً دول بترولية غنية . وأما مجلة « تاريخ العرب والعالم » فهي مستقلة مالياً تمام الاستقلال . ويذهب ثلاث أرباع الثمن الذي تدفعه الى الطباعة وشركات التوزيع . ولسنا نوافق على ان المسابقات قليلة . كما لا نوافق على ان الطباعة والغلاف دون المستوى . خصوصاً اذا قورنت ببعض ما ذكرت من مجلات . هذا مع العلم ان العدد الخامس قد حقق قفزة واضحة في الطباعة والورق والالوان .

● مازن عبد اللطيف المجذوب . انترناشونال كولدج . بيروت :

نشكر لك ملاحظاتك القيمة . بالنسبة لملاحظتك الأولى . انتهت المشكلة . فقد استقر حجم المجلة بعد تغيير الورق . وفي النقطة الثانية . المتعلقة بحجم الحرف . استقر الحجم على ما ستجده في العدد السابع . اما النقطة الثالثة فهي تحت الدرس .

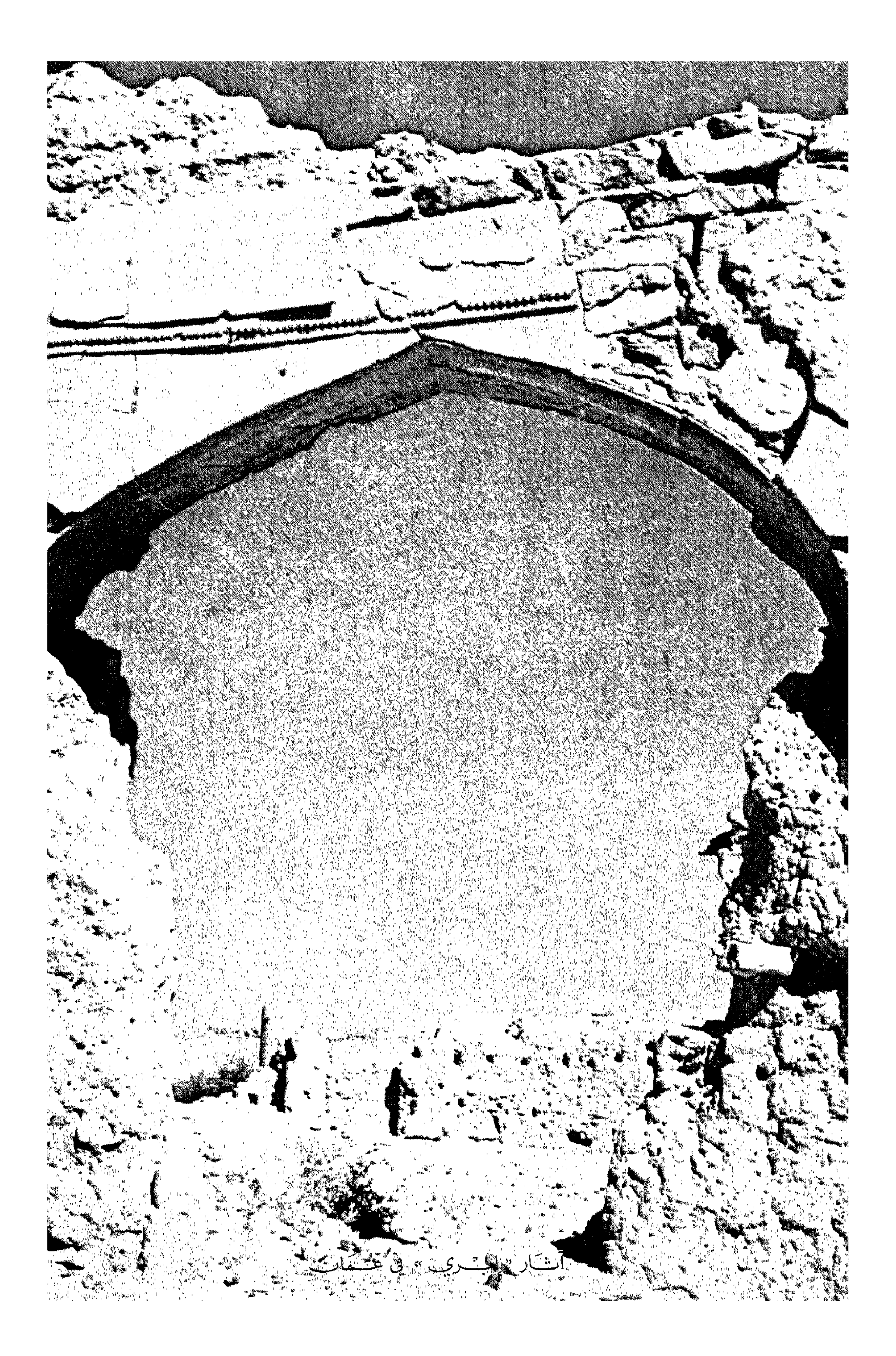
● كامل سعيد – حمص :

○ استلمنا رسالتكم واجبنا عنها برسالة خاصة .

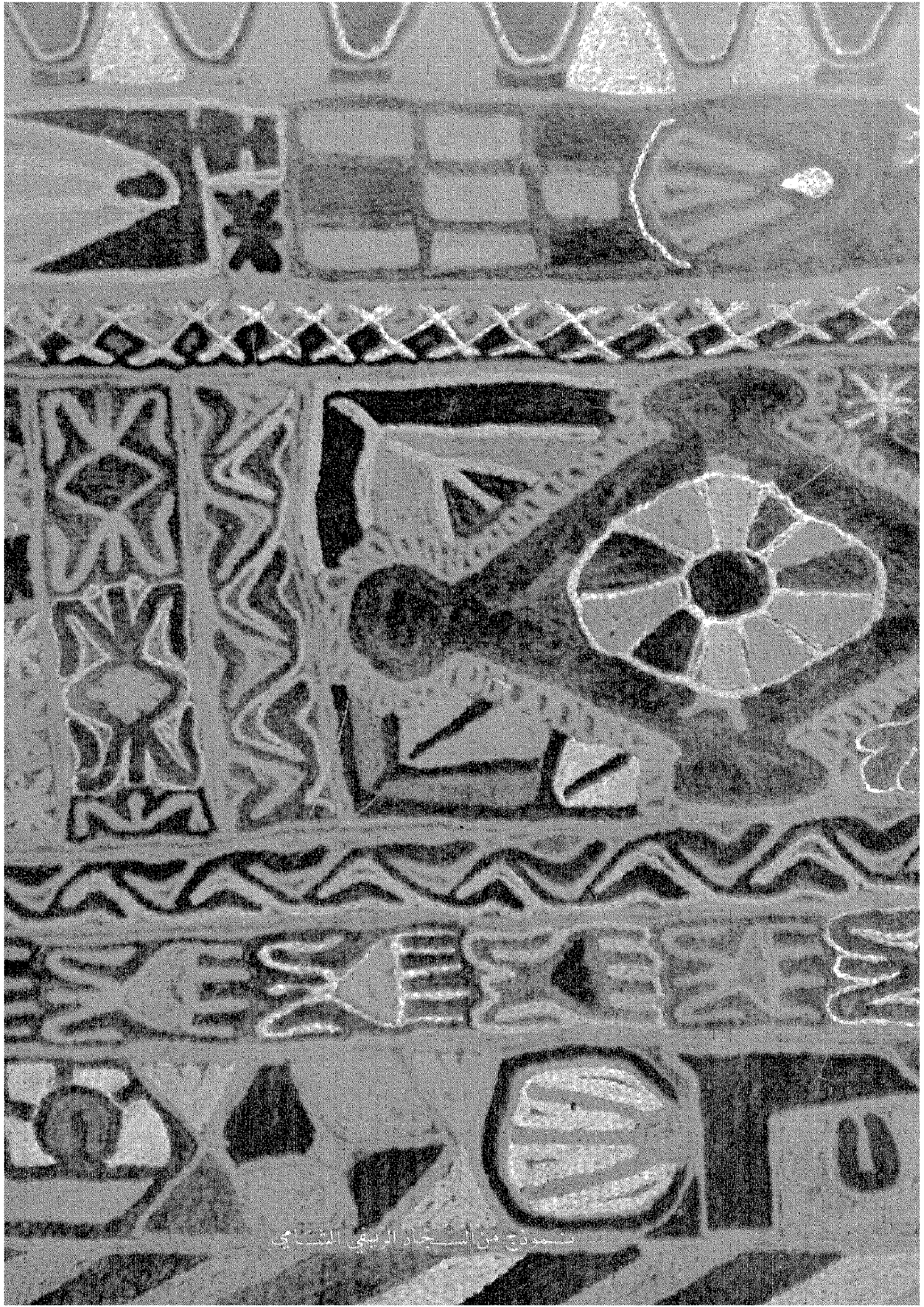
● عبد الكريم الدراوش – دار الحكمة بدمشق :

« لقد انتظرنا بفارغ الصبر ولادة مجلة كهذه توضح تاريخ الوطن العربي وحضارته في القديم والحديث وتوضح جانباً هاماً مما اغفل ذكره من بعض القضايا المصيرية وخاصة في هذا الظرف الدقيق من تاريخنا المعاصر » .

○ نشكر لكم عواطفكم الطيبة .



آثار «[illegible]بري» في عُمان



نموذج من السجاد الريفي السوري